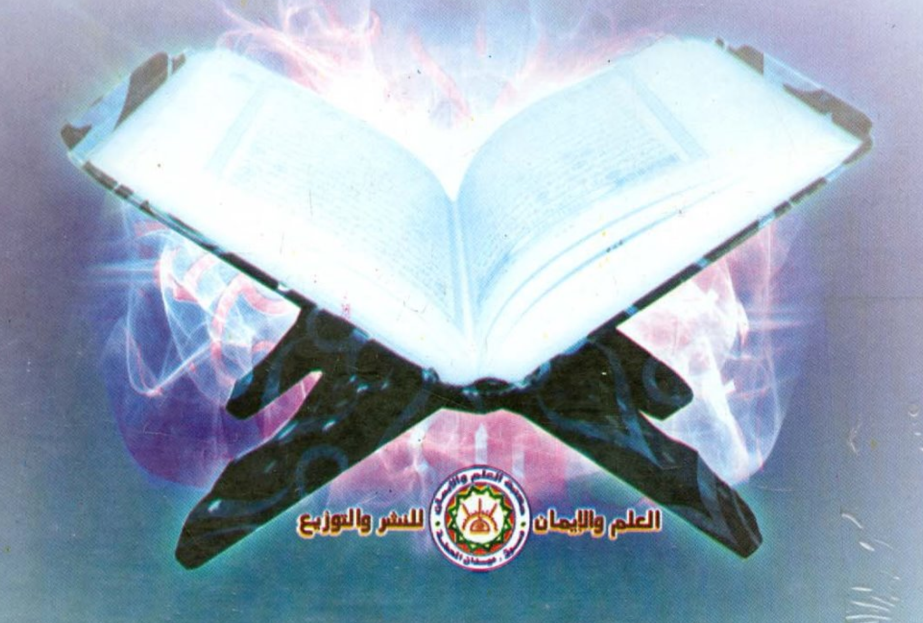
حاضر العالم الإسلامي

الدكتور

فرغلي علي الهريدي



البيانات	
عنوان الكتاب – Title	حاضر العالم الإسلامي
المؤلف - Author	الدكتور / فرغلي على الهريدي .
الطبعة - Edition	الأولى .
الناشر - Publisher	العلم والإيمان للنشر والتوزيع .
عنوان الناشر Address	كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
بيانات الوصف المادي	عدد الصفحات Pag. : ٣٦٩ — مقياس النسخة Size : ١٧,٥ × ٢٤,٥ — التجليد : مجلد
المطبعة - Printer	الجلال .
عنوان المطبعة - Address	العامرية إسكندرية.
اللغة الأصل	اللغة العربية .
رقم الإيداع	٢٠٩٧ـ ٢٠٠٨م
الترقيم الدولي .I.S.B.N	977- 308 - 172 - 9
تاريخ النشر - Date	2010



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعين به، نستغفره ونتوب إليه، وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أعظم ما يجب أن نهتم به هو دراسة أهم وأخطر ما يواجه العالم الإسلامي، ويسرنا أن نقدم في هذا الكتاب دراسة لحاضر العالم الإسلامي الذي يعاني من مشكلات جمة، وأهمها مشكلاته مع الاستعمار. ودراسة حاضر العالم الإسلامي يجب أن تسهم في تكوين الفكر الإسلامي لدى المسلمين ليتعرفوا على مشاكل وقضايا عصرهم، ليس للتعرف في حد ذاته، ولكن للعمل على ايجاد الحلول والعلاج، سواء كان ذلك من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الاجتماعية حتى يمكن مواجهة القوى المعادية للإسلام.

وقد تناول هذا الكتاب مفهوم حاضر العالم الإسلامي، وعرضا موجزا عن موقف القوى غير الإسلامية من الإسلام عبر التاريخ، والتعريف بجغرافية العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وذلك من خلال فصل تمهيدي، وقد قسمنا بعد هذا الفصل التمهيدي إلى بابين عنوان الباب الأول: الاستعمار الغربي ووسائله في إضعاف العالم الإسلامي، وقد اشتمل على ثلاثة فصول، تناولنا في الأول دور الاستعمار في إيجاد طبقة من أبناء المسلمين وتشجيعهم على تبني مذاهب إسلامية تخدم أهدافهم، وفي الثاني، الاستشراق والتنصير ودورهما في خدمة الاستعمار الغربي، أما الثالث، فقد تناول تشجيع الاستعمار للنزعات القومية والعنصرية في العالم الإسلامي.

وكان عنوان الباب الثاني: الصحوات الإسلامية والحلول المقترحة لحل مشكلات العالم الإسلامي، وقد اشتمل على أربعة فصول، الأول تناول

الصحوات الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، وتناول الثاني الصحوات الإسلامية في العصر الحديث، أما الفصل الثالث فقد تناول الحلول المقترحة لحل مشاكل العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وأخيرا الفصل الرابع عن بشائر الصحوات الإسلامية الحاضرة ودور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي المعاصر.

ونأمل أن تسهم دراسة الطلاب والطالبات لمثل هذه الموضوعات إلى فهم أكثر اتساعا، وهو ما نعتقد ضرورته لتعميق الولاء والانتماء للأمة الإسلامية، والله نسأل أن ينفع به، وأن يجزي من رجعنا إليه خير الجزاء، وأن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع للأمة الإسلامية.

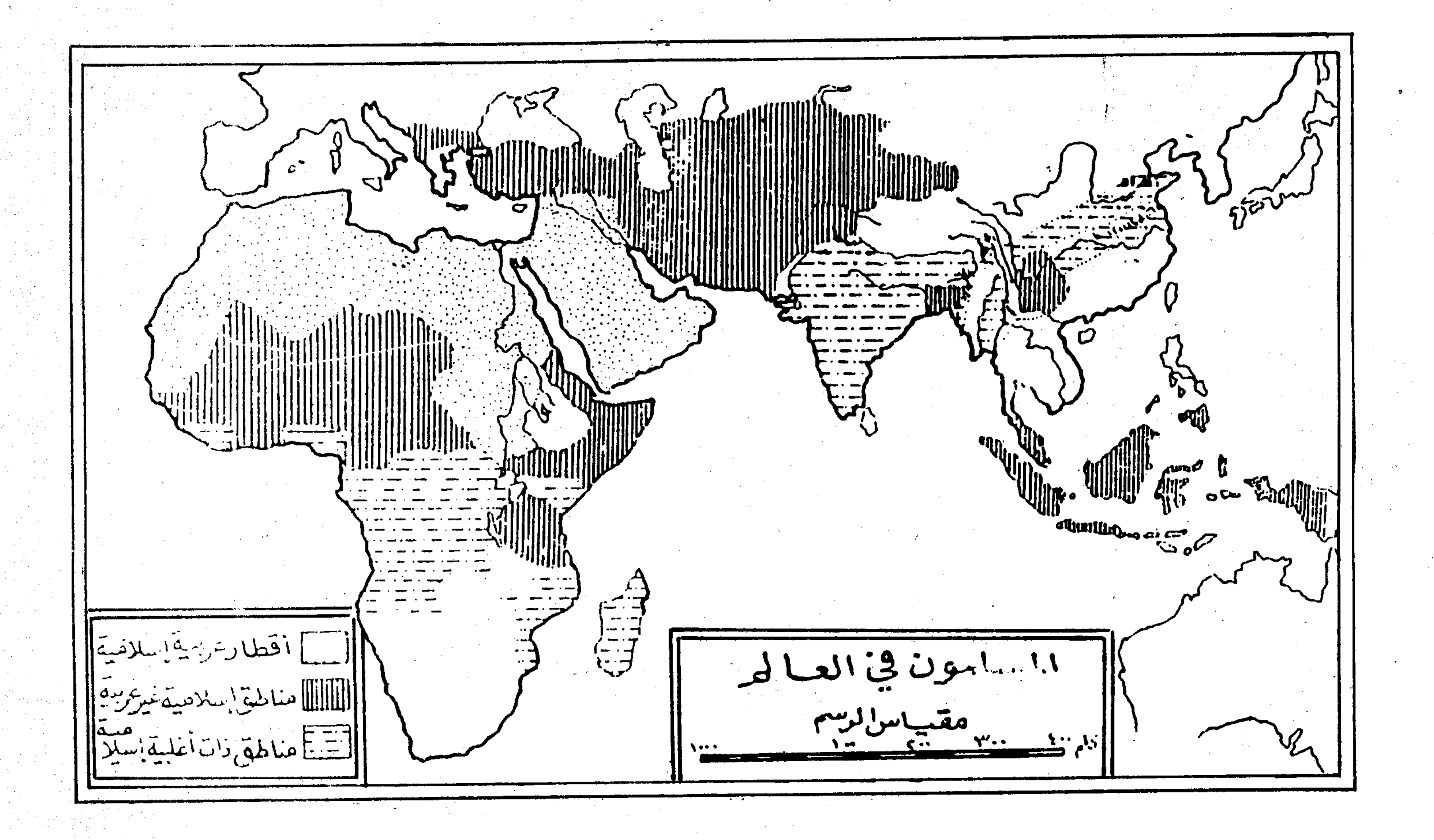
المؤلف

فصل تمهيدي

مفهوم حاضر العالم الإسلامي

موقف القوى غير الإسلامية من الإسلام عبر التاريخ

التعريف بجغرافية العالم الإسلامي في الوقت الحاضر


المسلمون في العالم
مقياس الرسم
أقطار عربية إسلامية
مناطق إسلامية غير عربية
مناطق ذات أغلبية إسلامية

مفهوم حاضر العالم الإسلامي

العالم الإسلامي هو الذي نستطيع أن نطلق عليه اسم عالم أكثر من أي عالم آخر حيث الروابط بين الأفراد متماسكة إلى حد كبير، ومتينة بشكل واسع، وإذا كنا نرى أن هذه الروابط واهية في بعض الظروف، فذلك للدعاية الواسعة التي يطلقها أعداء المسلمين، وللسيطرة الأجنبية الموجودة على أجزاء واسعة منه[١].

وبمعنى آخر أن العالم الإسلامي هو الشعوب والدول ذات العقيدة الإسلامية على اختلاف بيئاتها، ومناطقها، وتباين ثقافاتها، وتعدد سلالاتها البشرية، والدول الإسلامية هي الدول التي يغلب على سكانها الإسلام كعقيدة، أو هي الدول التي يسكنها أغلبية مسلمة، كأن يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع السكان، كما يندرج تحت مفهوم العالم الإسلامي أيضا الأقليات المسلمة التي تعيش في دول غير إسلامية، أي يكون المسلمين فيها أقل من ٥٠٪[٢].

ويقسم الفقهاء العالم إلى دار إسلام ودار حرب: فالعالم الإسلامي -فقهيا- هو دار الإسلام، أي أن كل بلد يحكم بالإسلام فهو دار إسلام، وأن حكم الإسلام له شروط ثلاثة مأخوذة من الكتاب والسنة، تضفي الشرعية على حكم ما، أي أن الحكم فيه حكم الشريعة أو حكم الإسلام، والشروط الثلاثة هي:

١- أن يكون الشرع لله، يقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الشورى: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١).

٢- أن تكون شريعة الله هي العليا، فلا ترتفع إليها شريعة، ولا تعلوا عليها شريعة ودليله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات: ١).

٣- أن تطبق شريعة الله كاملة غير مجزأة، في مجالاتها المختلفة، عقيدة، وأخلاقا، وشعائر ومعاملات، يقول تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٣)، وقوله: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: ٤٩).

والبعض يقسم دار الإسلام إلى:

١- دار عدل: إذا سادها حكم الشريعة، وحكمها خليفة، ومن ثم وجبت الهجرة إليها.

٢- دار بغي: وهي التي يستولي عليها البغاة الخارجون على الخليفة، ووجبت نصرة الخليفة الشرعي.

٣- دار بدعة: وهي التي غلب فيها حكم البدع، واختفى فيها حكم السنة وواجب المسلمين محاربة البدعة ليكون الحكم لله.

٤- دار مسلوبة: وهي التي كانت بيد المسلمين تحكم بالإسلام، ثم غلب عليها الكفار فسلبوها، وفرض الجهاد لاسترجاعها[٣].

ودار الإسلام: على وحدة قبلتها، ووحدة كتابها، ووحدة دينها، ووحدة لغتها في الغالب، إلا أنها توزعت وتشتت وتمزقت، لا يجمعها إلا الآذان للصلاة.

إن الأمة الإسلامية مفروض فيها أن تكون ذات وحدة سياسية، بلا تمزق ولا تفتيت، لما يجمعها من مقومات اختصت بها دون غيرها، ولقد أجبر الإسلام أبناءه الذين دخلوه على تعلم لغة القرآن الكريم، لكي تصح صلاتهم ويستقيم فهمهم له.

أما دار الحرب -دار الكفر- فهي تنقسم إسلاميا إلى دار معاهدة، ودار حرب، ودار المعاهدة من شروطها أن تكون خاضعة للنظام الإسلامي، لا تعين دار الحرب على دار الإسلام، ولا تناهض دعوة المسلمين إلى الإسلام، ولا الدعاة في ربوعها، بل تقدم لها كل عون لكي يعرفوا رعايا دار المعاهدة بالدين الحنيف، دون إجبار أحد منهم على اعتناق دين، ثم هي تدفع جزية لدار الإسلام لقاء دخولها في عهد معها، ولقاء حماية دار الإسلام، مع التزامها بموالاتها لدار الإسلام، وعدم الطعن في تعاليم دينها أو عدم التشهير بها، ثم هي تلتزم ببعض تعاليم دينها، بمنع الربا وعدم السرقة وعدم الزنا، وما عدا ذلك فهي حرة، تدق أجراس كنائسها، وترفع صليبها، وتحتفل بأعيادها وتشرب خمرها، وتأكل خنزيرها، وتغني تراتيلها، ما دامت داخل حدودها ووراء أسوارها، والذي لا شك فيه، أن هذا غير موجود الآن.

أما دار الحرب، فهي دار بينها وبين المسلمين عداء وحرب دائرة، حتى تنتهي الحرب بنصر المؤمنين ودخولهم فاتحين، أو بمعاهدة لصلح أو لموادعة، أو لمهادنة، حسب نوع العهد، فأين دار الحرب من هذا؟[٤]

ويحارب الإسلام فكرة الحرب بين الأمم، أو النزاع بين الشرق والغرب، أو القتال بين الأجناس، أو الصراع بين الأعراق، والجهاد في الإسلام فقط بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر[٥].

وبهذا فإن مفهوم حاضر العالم الإسلامي، وبالتالي تحديده يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الدين الإسلامي، فالدين الإسلامي لا ينحصر في كونه مجرد نظام أخلاقي له تأثيره على روح الإنسان وفكره، ولكنه عقيدة قوية، وسلطة، وهو نظام قانوني كامل، ويصلح تماما كأساس لقيام نظام عادل ومعاصر للحكم، وباختصار فإن الإسلام (دين ودولة) ففيه الجانب الروحي وفيه الجانب الذي يمكنه من قيام دولة[٦].

وجغرافيا -يمتد العالم الإسلامي اليوم على بقعة واسعة من الأرض، فمن المحيط الأطلسي غربا حتى مياه المحيط الهادي شرقا، أي من خط طول ٢٠ غربا حتى خط طول ١٤٠ شرقا، أي ما يساوي ١٨٠٠٠كم، أما بالنسبة إلى درجات العرض فتقع أكثر بلاد المسلمين شمال خط الاستواء ما عدا شواطئ أفريقيا على المحيط الهندي فتسايرها على درجات كثيرة جنوب خط الاستواء، ثم إن أغلب أراضي إندونيسيا تقع في المنطقة الاستوائية، وهذا الامتداد يتجاوز درجة العرض ٥٠ شمالا، وهذه البقعة الواسعة تقع في البر القديم وتشمل ثلثي مساحة أفريقيا، حيث معظم المناطق التي تقع شمال خط الاستواء تقع ضمن بلاد المسلمين، وتشمل أكثر من ثلث مساحة آسيا أيضا، أما العالم الجديد فقد هاجرت إليه جماعات متفرقة في كل ناحية أفرادا وجماعات، ولا تزال نسبة المسلمين في العالم الجديد ضئيلة جدا(٧).

موقف القوى غير الإسلامية من الإسلام عبر التاريخ

مني العالم الإسلامي بكثير من الأعداء الذين تسلطوا عليه من خارجه، وهاجموه، وفتكوا بكثير من المسلمين فتكا قاسيا، وأنزلوا بهذا العالم صنوفا من التنكيل، وكانوا من أقسى الأسباب التي غرست الضعف والهوان به.

وينقسم هؤلاء الأعداء إلى قسمين كما يلي:

قسم غلبة الإسلام بعد هذا الصراع فاعتنق الإسلام بعمق أو بشكل سطحي وهم المغول، وقسم بدأ صراعه ضد الإسلام من مطلع الإسلام، واستمر صراعه حتى العهد الحاضر، وهو الغرب المسيحي باتجاهاته الصليبية، وهي تتمثل في:

١- الصراع بين المسلمين والبيزنطيين في صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية.

٢- موقعة (ملاذكرد) (١٠٧١م) التي كانت من الأسباب المباشرة للحروب الصليبية، وكانت بين السلاجقة والبيزنطيين.

٣- الحروب الصليبية الشهيرة التي استغرقت قرنين من الزمان (١٠٩٧-١٢٩٢م).

٤- الزحف الصليبي على إسبانيا والمغرب العربي الذي بدأ مع بدء الحروب الصليبية في الشرق، وظل في حركته حتى القرن العشرين.

٥- الحركة الصليبية ضد الإمبراطورية العثمانية من منتصف القرن الرابع عشر وحتى القرن العشرين.

٦- الحركة الصليبية وراء الحملة الفرنسية على مصر والشام.

٧- الحركة الصليبية وراء الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي.

٨- الحركة الصليبية لزرع الصهيونية بين دول العالم الإسلامي وحمايتها[٨].

ومن الإنصاف أن نقارن بين المنطقة العربية وأوربا في بداية عصر النهضة لنجد التقارب واضحا بين المنطقتين، والسبق الأوربي كان من السهل اللحاق به لولا سياسة أوربا تجاه هذه المنطقة، ولولا السطو المسلح على خيراتها ونهب كنوزها، وسرقة خزائن الكتب والعلم فيها، والفارق بين النهضتين يومئذ هو أن يقظة العالم الإسلامي كانت هادئة سليمة الطوية، أهدافها أخلاقية.

لقد اجتمعت كلمة أوربا -رغم ما بينها من خلافات- على تمزيق أطراف العالم الإسلامي واستنزاف خيراته، وبدأوا هذه المؤامرة بالهند البعيدة عن مركز الخلافة، وكانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية طليعة هذه المأساة، ثم بدأ التنافس بين إنجلترا وفرنسا على الاستيلاء على خيرات العالم العربي، ويشهد على ذلك كنوز العرب والمسلمين العلمية والأدبية والتاريخية التي سطا عليها المستعمر، وهي ما زالت موجودة في متاحف بريطانيا وفرنسا[٦].

وقد عمدت أوربا إلى نشر حضارتها مسمومة بسموم ثقافتها الملحدة، إما بإرساليات تبشيرية باتفاق مع البابا، وإما ببعثات تستقدمها من بلاد المسلمين، يقومون بتغريبهم، ويقومون بعزلهم عن دينهم.

وتتمثل الآثار المعادية للإسلام في الحضارات التي قامت في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا، حيث لعب كل منهم دورا مخربا في عدائه للإسلام، إن تركيا التي استطاعت أن تستولي على الكنيسة الشرقية في روما وتحولها إلى مسجد، وأرهبت أوربا حتى تجمع من دولها الجزية، ورفض سلطانها (عبدالحميد الثاني) أن يسمح لليهود بالنزول في فلسطين قائلا: "إنها ليست ميراث ورثته عن آبائي وأجدادي.. ولكنها بلاد المسلمين"، هي نفسها تركيا التي تحولت إلى مصدر خطر على الإسلام، حيث استطاع الماسونيون أن يكونوا جمعية الاتحاد والترقي، وعن طريقها تم قلب نظام الحكم، والإطاحة بعرش الخلافة، وتثبيت دعائم دولة علمانية، تحارب الإسلام والمسلمين، وتكون معول هدم للحضارة الإسلامية.. إن تركيا التي تحول جسمها.. جسم الرجل المريض، لتقع الدول العربية في أفريقيا وآسيا والدول الأوربية المسلمة غنيمة لدول حلف الأطلنطي أو حلف وارسو، فتقتسم إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وروسيا وغيرها تركة تركيا[١٠].

وتاريخيا كان التفاعل المعادي مع الحضارة العربية الإسلامية يدور كما يذكر "صموئيل هانتيجتون": مع الأرواحيين والوثنيين والآن بشكل متزايد مع الشعوب المسيحية السوداء الواقعة إلى الجنوب، وفي الماضي اختزل هذا العداء في صورة تجار العبيد العرب المتاجرين بالعبيد السود، كما ينعكس على حدود الإسلام الشمالية التي تزايد تفجر الصراع بين الأرثوذكس والمسلمين بما في ذلك مذبحة البوسنة وسراييفو[١١].

هناك جماعة تسمى جماعة الإنجيليين وعددها أربعون مليونا، وتتألف هذه الجماعة من مائتين وخمسين منظمة منتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية وتمتلك العديد من دور النشر ومحطات التليفزيون، وهذه الجماعة تعتقد بل تؤمن بعودة المسيح، ولن يعود المسيح -كما تدعي- إلا بعد قيام اليهود بتحطيم المسجد الأقصى، وتدمير قبة الصخرة، وبناء الهيكل.

وهم يخططون لمعركة "هرمجدون" الفاصلة، وبعدها ستختفي المدن الكبرى كلندن وباريس وروما والقاهرة وطوكيو وموسكو وشيكاغو.. إلخ -كما يزعمون- وسيعود الإنسان إلى فطرته الأولى وبداوته، ولن يبق حيا من معركة هرمجدون إلا ١٤٤٠٠٠٠ يهودي يخفيهم الله ويحرسهم على عينه ليكونوا نواة شعبه المختار في الأجيال السابقة، وهذه الجماعة الخطرة تبلغ بعثاتها التبشيرية خارج أمريكا أربعين ألف بعثة.

إن سبب تخلف المسلمين هو البعد عن القيم الإسلامية والتراث الإسلامي الزاخر، واندفاعنا إلى الغرب نقلدهم ونأخذ عنهم أسوأ ما فيهم، الثورات والانقلابات والمصادمات وإشعال الخلافات في كل شيء، وبين أيدينا كنز من القيم لا ندرك قيمته، أما مستقبل البترول العربي فإن لم ينضب سوف تكون هناك بدائل عنه، فهل عملنا حسابنا لهذا اليوم؟ مطلوب انتفاضة وإنقاذ الأمة الإسلامية من الديون والقروض(١٢).

إن الإسلام منذ ظهوره نظر إلى الإنسانية على أنها وحدة، فدعا إلى تكريم الإنسانية في كل إنسان، وبالتالي كانت نظرته إلى الرق والرقيق تظهر تخلف القانون الروماني وكل قوانين الأمم الأخرى من المتحضرين في ذلك العصر، وقد جاء الإسلام ومعه كرامة الإنسانية التي هي مبدأ سام من مبادئه، وانطلاقا من هذه المبادئ بدأ بمحاربة الرق.

إن الإسلام ما سكت على الرق إلا لأنه كان ضرورة من ضرورات المعاملة بالمثل في الحروب، وإزاء الهجمة المعادية الشرسة على الإسلام اليوم، نحن بحاجة إلى أن نعي هذه الحقيقة، وأن نتجه بخطابنا على أساسها للآخرين، فالإسلام رائد في مجال محاربة الرق والعبودية، بينما الذين يشنون حملتهم الإعلامية المعادية على الإسلام، ما زال نظام العبودية إلى اليوم منتشراً بينهم وفي بلادهم وإن أخذ تسميات أخرى، كاسترقاق الأطفال عبر تشغيلهم بأعمال لا أخلاقية وكشبكات الرقيق الأبيض التي تتاجر بالجنس(١٣).

وعلى جانب آخر، ولدت الدولة العثمانية معاصرة لميلاد الإمبراطورية الروسية الأرثوذكسية فتمضي الإمبراطورية الإسلامية تتابع ما ارتضاه بعض المؤرخين حركة الفتوح الإسلامية جنوباً وغرباً حتى أبواب فيينا، وتتوقف حركة الفتوح في منتصف القرن الخامس عشر، وهي نفس الفترة التي تجددت فيها الروح الصليبية في أوربا بهدف وقف زحف الدولة الإسلامية بل وغزوها(١٤).

ويضرب صراع الحضارات بجذوره بعمق في مكان آخر في آسيا، ويعلن الصدام التاريخي بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية عن نفسه الآن، ليس في التنافس بين باكستان والهند فحسب، ولكن أيضاً في النزاع الديني المحتدم داخل الهند بين الجماعات الهندوسية المتشددة وبين الأقلية الإسلامية في الهند وإعادة تدمير "مسجد أيوديا" في ديسمبر ١٩٩١م(١٥).

التعريف بجغرافية العالم الإسلامي في الوقت الحاضر

الإسلام بطبيعته دين عالمي انفتاحي، انطلاقي، عقلاني، معرفي، ويجب أن تكون نقطة البدء في هذا الشأن هي تحقيق التزاوج الكامل من التكامل الاقتصادي بين بلدان العالم الإسلامي الفسيح، الذي يشكل بمساحته الجغرافية المترامية ما يقرب من

نصف مساحة الكرة الأرضية، حيث يساعد إرساء البناء الاقتصادي الإسلامي، بالشكل التكتيكي التكاملي المذكور على توفير التمويلات اللازمة للبناء والنهوض الحضاري الإسلامي[١٦].

الموقع:

يقع العالم الإسلامي في قلب العالم ممسكاً بأطرافه، متحكماً في محيطاته، وبحاره وخطوط ملاحته، زاخراً بأهم الأنهار، وأخصب الأراضي، وأعظم الثروات، ومدخلاً المحيط الهندي في أرض إسلامية (مضيق ملقا في الشرق بين الملايو وسومطرة، ومضيق باب المندب في الغرب) ومضايق هرمز والدردنيل والبسفور، وبذلك يمكن التحكم في الملاحة الدولية بين الشرق والغرب، ومدخلاً البحر المتوسط في أرض إسلامية (شرقا قناة السويس وغربا مضيق جبل طارق).

والبحر المتوسط كان يوماً كله بحيرة إسلامية ولا تزال شواطؤه الشرقية والجنوبية، وكذلك البحر الأسود والبحر الميت، والبحر الأحمر كذلك بحيرة إسلامية لولا إسرائيل.

وأنهار النيل، ودجلة والفرات، ونهر السند، ونهر النيجر وغيرها تجرى في بلاد إسلامية.

أما عن الموقع الفلكي، يبدأ غربا عند خط طول ١٨ (بالساحل الأفريقي المطل على المحيط الأطلنطي)، ويمتد شرقاً إلى حدود إقليم التركستان الصينية وباكستان الغربية عند خط طول ٩٠، أي أنه يمتد ١٠٨ درجة طولية.

أما عرضا فيمتد ما بين دائرتي عرض ٥٠ شمالاً (إقليم تركستان) إلى ١٠ جنوب خط الاستواء (الجزر الإندونيسية في آسيا، أما أفريقيا فيمتد إلى جنوب خط الاستواء حتى حدود الصومال).

وأهم ما يميز العالم الإسلامي أن مركز العالم كله في مكة المكرمة، وبالتحديد في موقع الكعبة الشريفة، أي أن الأمة الإسلامية أمة وسط في موقعها، ومن ثم فإن العالم الإسلامي جغرافيا واستراتيجيا يتفوق في موقعه على أية بقعة في العالم كله[١٧].

الناحية المناخية:

يمتد العالم الإسلامي كما سبق من خط الاستواء حتى يتجاوز دائرة العرض ٥٠ شمالاً، ويمر مدار السرطان في منتصفه تقريباً، لذلك نجده يشمل عدداً من أنواع المناخ.

المناخ الاستوائي: ويمتاز بحرارة وأمطار دائمة وغابات كثيفة.

المناخ السوداني: ويمتد شمال المناخ الاستوائي، ويمتاز بأمطار صيفية بينما يبقى الشتاء جافا، وتكون الحرارة مرتفعة والغابات أقل كثافة، وتنتشر به الزراعة.

المناخ الصحراوي: ويمتد على مدار السرطان وخلف الحواجز الجبلية التي تمنع وصول الرياح البحرية إلى المنطقة، وتكثر بها الواحات.

مناخ البحر المتوسط: ويسود غرب آسيا ويتصف بأمطار شتوية بينما يبقى الصيف جافاً، وتحجز الجبال آثاره من أن تصل إلى الداخل[١٨].

الموارد الطبيعية:

نظراً لاتساع العالم الإسلامي وتنوع مناخه، فقد تنوعت حاصلاته الزراعية، الأمر الذي يؤدي إلى التكامل الزراعي الذي لا يتوفر لأي عالم غير العالم الإسلامي، وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي.

وبجانب تنوع الحاصلات الزراعية أيضاً تكثر المراعي الطبيعية، وبالتالي يتميز العالم الإسلامي بثروة حيوانية وفيرة، أيضاً نظرا لتحكمه في مسطح مائي واسع فتتوافر فيه ثروة مائية غنية.

والعالم الإسلامي غني بمعادنه المستغلة، وغير المستغلة والاحتياطية خاصة البترول والغاز الطبيعي والحديد والفوسفات والقصدير والمنجنيز والرصاص والأملاح المعدنية وغيرها.

ونظراً لتنوع المصادر الطبيعية سابقة الذكر في العالم الإسلامي فقد أتاح ذلك الفرصة لأن يكون عالماً صناعياً إذ تتوافر فيه مقومات الصناعة وهي:

- وفرة المواد الخام الزراعية والمعدنية والحيوانية والغابية.
- وفرة مصادر الطاقة، القوى المحركة.
- وفرة رؤوس الأموال خاصة في البلدان المنتجة للبترول.
- وفرة الأيدي العاملة خاصة في إندونيسيا وباكستان ومصر.
- وجود الأسواق الاستهلاكية.

ولا يفوتنا أن العالم الإسلامي مركز المواصلات العالمية البرية والبحرية والجوية لتميزه بالموقع الجغرافي الاستراتيجي الممتاز كما سبقت الإشارة(١٩).

هوامش الفصل التمهيدي

١- محمود شاكر: العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص١٠، ١١.

٢- د. عادل طه يونس: العالم الإسلامي اليوم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠، ص ١٢.

٣- د. علي جريشة: حاضر العالم الإسلامي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ص ١٥-١٨.

٤- يوسف البدري: بصمات الاستعمار في المجتمعات الإسلامية، دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩٠٥.

٥- محمود شاكر: مرجع سابق، ص ١١.

٦- د. عادل طه يونس: مرجع سابق، ص١١.

٧- محمود شاكر، مرجع سابق، ص ١٥، ١٦.

٨- د. أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٦، المجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٩٩٤، ص ١٩٤، ١٩٥.

٩- د. محمد السيد الجليند: فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٥، ٧٦.

١٠- يوسف البدري، مرجع سابق، ض٣٠، ٣١.

١١- صموئيل بي، هانتيجتون، ترجمة مجدي شرشر، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥، ص ٢٧.

١٢- منار الإسلام، العدد السابع، رجب ١٤١٨هـ، نوفمبر ١٩٩٧، ص ٨٣.

١٣- نفسه، ص ٨٥.

١٤- نفسه ص ١١٦ ، ١١٧.

١٥- د. عبدالله الأشعل : المسلمون والنظام العالمي الجديد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٩ ، ص١٠.

١٦- صموئيل هانتيجتون: مرجع سابق ، ص ٢٩.

١٧- الوعي الإسلامي ، عدد ٣٩٢ ربيع الآخر ١٤١٩هـ ، يوليو/أغسطس ١٩٩٨ ، ص ٣٧.

١٨- د. علي جريشة ، مرجع سابق ص ١٠ ، ١١.

١٩- محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص ١٨ ، ١٩.

٢٠- د. جميل عبدالله محمود المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، ج١ ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠-٣٧.

الباب الأول

الاستعمار الغربي ووسائله في إضعاف العالم الإسلامي منذ القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي

الفصل الأول:
دور الاستعمار في تشجيع البدع والأفكار الهدامة
في العالم الإسلامي

أولاً: السيد/ أحمد خان

ثانياً: القاديانية

ثالثاً: البابية والبهائية

في فترات الضعف التي مر بها تاريخ المسلمين مني العالم الإسلامي بجماعات من أعداء الإسلام عجزوا عن مقاومته وهم خارج دائرته، فتظاهروا بالدخول فيه ليحاربوه من الداخل، فذلك أيسر لهم وأحرى ألا يثير ثائرة المسلمين ضدهم، وكانت حربهم هذه المرة حرباً عقائدية فنفثوا سمومهم ونشروا ضلالاتهم متظاهرين بأنهم يحقون الحق وينيرون السبيل، وقد كثر هؤلاء في شبه القارة الهندية، وعملوا جاهدين على نشر معتقداتهم في مناطق مختلفة من العالم وبخاصة منطقة الشرق الأقصى، هؤلاء أيضاً كانوا مسلمين في أصل تفكيرهم، ولكن ألوانا من الإغراء دفعتهم إلى الإنحراف الذي أصبح أساساً لمذهبهم وأفكارهم[١].

وكانت البلاد الإسلامية تمر بأحلك ظروف حياتها السياسية والاجتماعية، وكان هدف الاستعمار هو تقسيم هذه البلاد لتسهل السيطرة عليها، وكانت إيران يعصف بها القلق والاضطراب، وتنازع السيطرة عليها أطماع الدول الأجنبية، وكان أكثر الإيرانيين يدينون بمذهب الإثني عشرية ويرقبون ظهور الغائب أو المهدي المنتظر، وهناك الزرادشتيون يرقبون ظهور موعودهم "بهرام شاه"، واليهود يرقبون ظهور "المخلص" الموعود، والمسيحيون يترقبون رجعة المسيح عليه السلام[٢]، ويبدوا أن السياسة الاستعمارية كانت تسير على نمط واحد وإن تعددت الدول الاستعمارية، ففي الهند كان الإنجليز أكثر وعياً من زملائهم الهولنديين حين دفعوا القاديانية وأعانوها بعد أن أعيتهم ثورات المسلمين، ومن ثم احتضنوا البابية وبعدها البهائية في إيران، لأن كل هذه الجماعات كانت تدعو إلى إلغاء الجهاد والقبول بالوصاية الاستعمارية[٣].

ويشكك كاتب أيرلندي يدعى (برنس BURNS) في عقيدة ختم النبوة في مؤلفه: الإسلام والمسيحية وعلم الحياة والتوحيد، قائلا: إن القول بختم محمد

للنبوات يعني إغلاق باب المعرفة في وجه الإنسان، وهذه العقيدة في حد ذاتها تعني أن الإنسان قد بلغ حد الكمال، وينبغي أن نلفت النظر إلى أن الكاتب (برنس) يتفق هنا مع القاديانيين والبهائيين في إنكار ختم النبوة.

وخطأ هذا الكاتب ومن لف لفيفه أنه سوَّى بين النبوة القائمة على الوحي الثابت والمعرفة الإنسانية المكتسبة بالعقل والبحث والنظر، كما سوَّى كذلك بين النبي المعصوم، والعالم أو المصلح غير المعصوم، وينبغي أن يكون معلوماً أن القرآن إذ يقرر ختم النبوة لا يعني إغلاق باب المعرفة والعلم أبداً، بين الله والإنسان بل على العكس فإنه يدعو إليهما في كل آياته، ويضع الإسلام العلم في مرتبة فوق مرتبة العبادة، ويكفي أن نعرف أن الله تعالى قد جعل معجزة الإسلام معجزة عقلية لا مادية، وهو يطعن في عقيدة المسلمين بخصوص سلامة القرآن من التحريف، ويقول بأنه في الأيام الأولى للإسلام (يقصد بعد تمام التنزيل) كانت توجد نسخ كثيرة ومختلفة للقرآن، وأن نقاد الإسلام والمسيحية معاً قد أشاروا إلى وجود نسخ من الإنجيل والقرآن قد هجرت ومنعت من القراءة.

والقول أن الأناجيل كتبها رجال تحوطهم كثير من الجهالة في أزمنة مختلفة وبلغات مختلفة ليس منها بالطبع اللغة التي تكلم بها السيد المسيح عليه السلام، بل إن من كتاب الأناجيل من لم ير المسيح قط، بل إن بعض من شاهد المسيح وسمع منه رفضت الكنيسة إنجيله مثل برنابا وغيره كثير.

أما القرآن الكريم فقد خلا من التحريف، فالقرآن تكفل الله بحفظه وهيأ له كل أسباب الحفظ في الصدور وفي الصحف والبردى، وفي العصر الحديث الحفظ على الأشرطة والأسطوانات وغير ذلك[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وفي سبيل الحديث عن تلك الشخصيات والمذاهب والشيع التي خدمت أهداف الاستعمار نتناول دعوة السيد/ أحمد خان في الهند، وكذلك فرقة القاديانية، وجماعة البابية والبهائية.

أولاً: السيد أحمد خان

كان المسلمون أصحاب السيادة في الهند حتى بدأت جولة الاستعمار الأوربي ودخلت الهند تحت النفوذ البريطاني، فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الأمر في المستعمرة الغنية الواسعة الأرجاء، حتى كانت ثورة الهند عام ١٨٥٧م، وبعد إخماد الثورة انزوى المسلمون بعيدا عن التعاون مع الحكم الجديد، وفي هذه الحالة من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين في الهند، كما نزل بغيرهم في كثير من بلاد الإسلام الأخرى(٥)، وروج الإنجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية، ووسعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند، وعمل الإنجليز على تشويه تاريخ المسلمين في الهند، وفي ظل هذه الأوضاع ظهر السيد/ أحمد خان الذي لعب دوراً هاماً في سياسة المسلمين في الهند في الفترة من عام (١٢٧٥-١٣١٦هـ/١٨٥٨-١٨٩٨م)، فقد سعى سعيه لإصلاح ذات البين بين المسلمين والحكومة الإنجليزية(٦) التي استطاعت أن تتبنى أحمد خان وتشجعه، حتى بدأ أول ما بدأ بالمناداة بأفكار الغرب، مثل قوله بمذهب: "الطبيعيين الدهريين" القائل أنه لا وجود في هذا إلا للطبيعة، وأن كل الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الواحد.

استطاع أحمد خان أن يغري بضلالاته هذه بعضا من أبناء الأغنياء الطائشين والسائرين في ركاب الاستعمار(٧) الذي ساعده على تأسيس المدرسة الإنجليزية الإسلامية في عام ١٨٧٥ في "عليكرة"، وقد تحولت بعد ذلك إلى جامعة ومركز

للفكر التجديدي[٨]، وقد لجأ أعوانه أحياناً إلى تحريف الكتاب الكريم لما يوافق آراءهم ونظرياتهم، فعمل أحمد خان على تفسير القرآن الكريم متخذا من عقله أساساً لهذا التفسير غير ملتزم للألفاظ ودلالتها، ولما أجمع عليه علماء المسلمين على مر الزمن فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن، وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء ويستهزئ بالشعائر الدينية، كما شجب هو وأعوانه الجهاد، ومن آرائه السياسية التي ركز عليها ما يلي:

١- أن الهند هي شبه القارة وليست دولة.

٢- أن المسلمين والهندوس يشكلون أمتين لا أمة واحدة.

٣- أن الانفصال بين المسلمين والهندوس أمر حتمي[٩].

وقد عارض أحمد خان مشاركة المسلمين في تأسيس البرلمان الوطني الهندي في عام ١٨٨٥، لأنه خشي أن تتحول الكتلة الإسلامية إلى أقلية في البرلمان[١٠]، هذا رغم ولاءه للسيادة البريطانية في الهند، حيث شارك الإنجليز في المؤتمر الوطني الهندي، وقاموا بتأسيس قاعدة للمثقفين الهنود (وأغلبهم من الهندوس) فكان يعلم أن انتصار حزب المؤتمر سيضع المسلمين في قبضة الهندوس الذين يفوقونهم في العدد[١١].

ودعا أحمد خان إلى التعاون بين المسلمين والغرب فيما أسماه "إنسانية الأديان" وهي دعوة تشبه الفكرة المسماة اليوم "بالعالمية" وكانت تعرف من قبل باسم "الماسونية"، وفيها تنتفي الفوارق بين الأوطان والقوميات، والأديان والمذاهب[١٢].

والجدير بالذكر أن هذه الديمقراطية النبيلة من وجهة نظر هذه الزعامة المسلمة الهندية كانت نكبة على المسلمين، وفي ذلك يقول أحمد خان: «لعل مبدأ الحكم الذاتي بواسطة هيئات الممثلين المحليين هو أكبر وأعظم وأنبل درس تتعلمه الهند من كرم إنجلترا، ولكننا عندما نقلد إنجلترا في نظام هيئات الممثلين، فإنه من الأهمية

القصوى بمكان أن نتذكر أن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية الراهنة في الهند ما هي إلا نتاج لتاريخ يمتد قروناً من الطغيان ومن فساد الحكم، وسيطرة جنس على جنس آخر، ودين على دين آخر».

ويكمل قائلاً: «إن الآثار الإنسانية التي جاء بها الحكم البريطاني لم تقض بعد على ذكريات أيام النزاع والشقاق والخصام التي سبقت فترة السلم التي جاءت بها السيادة البريطانية على الهند». «إن الهند تعتبر قارة وحدها، إذ تقطنها أعداد زاخرة وهائلة من الناس تنحدر من أجناس مختلفة، وتؤمن بمذاهب متباينة، ولقد كانت التعاليم الدينية الصارمة فاصلا يفصل حتى بين الجيران، وإن نظام الطبقات ما يزال إلى اليوم سائداً وقوياً...».

ويستطرد: «.... إنني بت قانعاً أن هاتين الأمتين (الهندوس والمسلمون) لا يمكن أن تتفقا اتفاقاً قلبياً كاملاً في أي شيء من الأشياء، إنه ليس ثمة عداء سافر الآن بين الفئتين، ولكنه سيزداد مباشرة في المستقبل بفعل من يسمون بالمثقفين».

لقد كان سيد أحمد خان بعيد النظر حين أبدى تعاوناً كبيراً مع السلطات الاستعمارية البريطانية في الهند على اعتبار أنها السلطات التي يمكن أن تهيئ له الفرصة لتحقيق هدفه الأسمى وهو قيام دولة إسلامية، وبدلاً من أن يتأثر بالدعوات إلى قتال ومعارضة الإنجليز لما أقدموا عليه من آثام بالنسبة للمسلمين بصفة خاصة وللهند بصفة عامة، اعترف باليد العليا للإنجليز في البلاد وفتح قنوات تعاون معهم اكتسب بها ثقتهم وكسبوا هم ثقته، وثار كل في طريق تحقيق أهدافه الخاصة واضعا هدفا أسمى أمامه باستمرار(١٣).

وفي عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م تم تأسيس ندوة العلماء وفتحت أبوابها لكل من يريد المشاركة فيها من المؤمنين بالله ورسوله، وأسس هؤلاء العلماء دار العلوم التابعة للندوة عام ١٣١٦هـ، والغاية منها ألا تتسع شقة الخلاف بين المتجددين والجامدين،

وتعهدها "شبلي النعمان" الذي كان قد ساعد أحمد خان في إنشاء «عليكرة»، وكان أشد حرصا منه في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي وأشد إيماناً بأهمية هذا التراث وعمل على بعث تاريخ الإسلام.

وقد خلف أحمد خان عدة مؤلفات كان منها كتابه المشهور بعنوان (أساليب الثورة الهندية عام ١٨٥٨م)، حاول فيه التدليل على أن مسلمي الهند لم يكونوا وحدهم هم المسؤولين عن ثورة ١٨٥٧م، وأنهم لذلك لا يستحقون كل اللوم الذي وجه إليهم، كما نشر في عام ١٨٦١م كتاباً آخر بعنوان (مسلمو الهند الموالين) حاول فيه إزالة الانطباع الذي أوجده الهندوس وغيرهم بأن المسلمين هم الذين قاموا وحدهم بثورة ١٨٥٧م[١٥].

ثانياً: القاديانية

هي فرقة من الغلاة أتباع (ميرزا غلام أحمد القادياني) المنسوب لبلدة (قاديان) من أعمال كشمير بالهند[١٦]، وتنسب أحياناً إلى شخص مبتدعها (أحمد القادياني) فيقال (الأحمدية)[١٧].

ولد ميرزا غلام أحمد عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٩م في قاديان إحدى قرى مديرية "غورد أسفور" في إقليم البنجاب، من أسرة كانت تسكن "سمرقند" ثم رحلوا إلى الهند واستوطنوا قاديان، وصارت لهم الرئاسة في تلك الناحية، ثم دارت عليهم الدوائر وذهبت عنهم تلك الرئاسة ونهبت أموالهم، ثم صار لهم بعض النفوذ على بعض القرى بعد الاحتلال البريطاني للهند، ويذكر غلام أحمد سلسلة نسبه على النحو التالي: «غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد بن ميرزا كل محمد بن ميرزا فيض محمد بن ميرزا محمد قائم بن ميرزا أحمد أسلم بن ميرزا دولار بك بن ميرزا الله دين بن ميرزا جعفر بك بن ميرزا محمد بك بن ميرزا محمد عبدالباقي

بن ميرزا محمد سلطان بن ميرزا هادي بك»[١٨]، ويذكر د. أحمد شلبي: «أنه من أسرة تنتمي إلى الترك، وهي في الأصل وافدة من سمرقند، ولكن غلام أحمد أخذ ينسب نفسه عندما بدأت دعوته إلى الفرس، ويذكر أن أمه من سلالة الفاطميين»، وأن هذه الأسرة كانت تمتلك أملاكا واسعة في قاديان، ولكن أحد أجداده خسرها في حرب ضد السيخ الذين كان لهم نفوذ كبير في المنطقة[١٩].

ومعنى غلام أحمد أنه عبد أحمد، أي عبد النبيﷺ، وكان يعتبر نفسه مجدداً لروح الإسلام، وتابع للنبيﷺ وإن كان هو نفسه يوحى إليه[٢٠]، وقد اعتبره أتباعه بمثابة المهدي المنتظر أو المسيح[٢١].

كانت حياة غلام أحمد أقرب للفقر والفاقة بعد وفاة أبيه، وعرف شبابه بانحراف صحي ونفسي، فقد مرض بأمراض الهستريا والنوبات العصبية، وكان يعارض استعمال الدواء للأمراض، ويزعم أن إرادة الله ينبغي ألا تقاوم، والدواء مقاومة لإرادة الله بالمرض، ولكل هذه العوامل كثر أتباعه خاصة من البسطاء والمخدوعين عند بداية دعوته، ولذلك عندما انتقل بحياته إلى الترف والنعيم، بل الإسراف والبذخ ثار عليه بعض أتباعه[٢٢].

أما عن ثقافة غلام أحمد فإنه لما بلغ سن التعليم شرع في تلقي مبادئ العلوم، وقراءة القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية في مكتب القرية وفي داره، وكان ولوعاً بالبحث والدراسة ومطالعة الكتب فقرأ بعض كتب الفارسية، والكتب المتوسطة في المنطق، والفلسفة، والعلوم الدينية والأدبية، والجدير بالذكر أنه اعتمد في ثقافته الدينية على نفسه لا على يد شيخ أو أستاذ معلم، فطالع كتب التفسير، وأولع بمطالعة كتب الشيعة، وأهل السنة، وكتب الأديان الأخرى، وكان والده يحترف مهنة الطب، فتعلم على يده الطب القديم، وتردد على مجالس العلم فجادل وناظر وخاض معارك كلامية، حتى أحس في نفسه قدرة خاصة.

أما عن حياته الأسرية الشخصية، فقد تزوج لأول مرة عام ١٨٥٣م وكان سنه أربعة عشر عاماً وأنجب ولدين هما: الميرزا سلطان أحمد، والميرزا فضل أحمد، ثم في سن الخامسة والأربعين تزوج زواجه الثاني وكان ذلك عام ١٨٤٤، وأنجب من زوجته الثانية، الميرزا بشير الدين محمود (خليفته)، والميرزا بشير أحمد، صاحب كتاب (سيرة المهدي)، والميرزا شريف أحمد، ثم طلق الزوجة الأولى عام ١٨٩١[٢٣]، أما زوجته الثانية فقد جاءت بعد ادعاءاته الدينية، ولذلك كانوا يطلقون عليها (أم المؤمنين)، وتاقت نفسه لزواج ثالث: وحدد الفتاة التي أراد أن يتزوجها، وأعلن أن ذلك قضاء الله وإرادة السماء، وخابت نبوءته فلم يتزوج هذه الفتاة، بل تزوجت سواه، وكان ذلك كافيا لبيان ادعاءاته وأكاذيبه، ولكن الذين يرحبون بالضلال كثيرون[٢٤].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا أصبح القاديانيون ضالون؟ مسلماً اسماً وهم ضد الإسلام، والواقع أنه في عهد سلطة الإنجليز بالهند تمت صفقة مشبوهة بين الإنجليز وبين والد غلام أحمد بمقتضاها أعاد الإنجليز لميرزا مرتضى والد غلام أحمد أكثر ممتلكاته في نظير أن تقدم هذه الأسرة خدماتها للإنجليز ضد الهند من جانب، وضد المسلمين في كل مكان من جانب آخر، ويقول غلام أحمد عن رد هذه الممتلكات: «... ثم رد الله إلى أبي بعض القرى في عهد الدولة البريطانية».

وعن الخدمات التي كانت الخيانة طابعها يقول غلام أحمد: «دلت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لحكومة الإنجليز من أول عهدها، لقد خصصت له الحكومة كرسيا للجلوس في كل الحفلات الرسمية إلى جانب الحاكم البريطاني، فلقد ساعدهم والدي مساعدة كبيرة في قمع تمرد ١٨٥٧م، فقدم فرقة مؤلفة من خمسين فارساً لمساعدة الحكومة الإنجليزية في قمع هذه الثورة، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة، وكان أخي

الأكبر (غلام قادر) بجوار الإنجليز على جبهة من جبهات الحرب ضد الثائرين الهنود»[٢٥]، لذا فإن كل سعادته التي جعلته يميل إلى الخيانة تمثلت في جلوس والده على كرسي بجانب الحاكم البريطاني ورد بعض أملاكه.

وقد عرفت ثورة الهند هذه باسم ثورة (سيباي) أو ثورة (التزييت) حيث كان الإنجليز يقومون بتزييت سلاحهم ورصاص البنادق بدهن الخنزير ودهن البقر استهانة بعقائد المسلمين والهندوس لعلمهم بتحريم الخنزير عند المسلمين وتقديس البقر عند الهندوس، والثورة حدثت أثناء حكم اللورد (دالهوزي) ١٨٥٦-١٨٥٧م، وذلك لأسباب أخرى إضافة للسبب المذكور، مثل: إجبار (شركة الهند الشرقية الإنجليزية) الأهالي على تنفيذ أوامرها التي لم تكن متفقة والوضع في البلاد، وقيام الحاكم البريطاني (دالهوزي) باعتقال أحد الملوك الوطنيين الهنود وضم بلاده لأملاك الشركة عام ١٨٥٦، وإلغاء كثير من الألقاب والمرتبات التي كان يتمتع بها بقايا ملوك الولايات التي ضمت للشركة من قبل، وأصدر الهندوس والمسلمين بياناً مشتركاً باختيار الملك (بهادر شاه) قائداً أعلى للثورة.

اندلعت الثورة في الثكنات العسكرية في (ميرث) لقسوة معاملة الإنجليز لهم، وفي ١١ مايو زحف الجند الهنود إلى العاصمة (دلهي) وانهزم الإنجليز، كما قامت الثورة في البنغال وفي منطقة دمدم وفي لكنو في ٥ يونيه، وقد أعمل الهنود القتل والسلب في بيوت الإنجليز، ونتج عن ثورة سيباي هذه ضم الهند عام ١٨٥٨م إلى التاج البريطاني، واعتبرت بريطانيا المسلمين في الهند أكثر خطراً إذ تراودهم ذكريات الحكم العربي، علاوة على عزوفهم عن الثقافة الإنجليزية.

ومن أسباب فشل الثورة ضد بريطانيا انضمام السيخ للإنجليز في البنجاب، ووقوف ملوك حيدر آباد مع الإنجليز ضد الملوك المسلمين، ثم تدفق الجنود الإنجليز من الخارج، علاوة على تفرق الهنود مثل (ميرزا ألهي بخش) صهر الملك وغيره ممن

كانوا يتولون أعمالاً مهمة، والبعض كانوا خونة وجواسيس[٢٦] ناهيك عما قام به والد غلام أحمد بتقديمه فرقة من فرسانه لمساعدة الإنجليز كما سبقت الإشارة.

وعمل الإنجليز على بث الفتنة والفرقة بين المسلمين، فقاموا بتوزيع منشور باسم الملك يضمن وعداً للمسلمين خاصة: أنه بعد الانتصار ستوزع عليهم وحدهم الإقطاعيات الواسعة، مما أدى إلى سقوط العاصمة دلهي، وأصيبت الثورة بضربة قاضية[٢٧].

على كل حال، فقد أخفقت ثورة الهند الكبرى (ثورة ١٨٥٧م) وأصابت المسلمين في الهند نكبة الهزيمة، وعانوا وطأة الاستعمار السياسي والثقافي، وانتشر القسوس في الهند يدعون إلى المسيحية، ويحرصون على زعزعة العقيدة الإسلامية، وكان الجيل الناشئ الذي لم ترسخ فيه التعاليم الدينية فريسة هذه الدعوة، وكانت المدارس الثانوية والكليات قليلة، وظهرت حركة التنصير، وكانت بنجاب أكبر مجال للقلق الفكري وضعف العقيدة والعلم، فقد قاست هذه الناحية من بلاد الهند من حكم أشبه بالحكومة العسكرية ثمانين حولا، ضعفت خلالها الحمية الدينية[٢٨].

ويتعاون هؤلاء الخونة مع الإنجليز ضد الوطن الذي تعيش فيه هذه الأسرة القاديانية، ضاعت الهند وضمت للتاج البريطاني، والعجيب في ذلك تفاخر غلام أحمد بما فعله والده، وفي هذا يقول د. أحمد شلبي: «فما كان أجدره أن يخفي هذه الأحداث المخزية، ولكن الرجل الذي تقوَّل على الله وحارب الإسلام ليس ببعيد عنه أن يحارب الوطنيين ويتحدث عن هذه الحروب بهذه الروح المنحرفة»[٢٩].

مراحل تطور الدعوة القاديانية:

المرحلة الأولى: وتبدأ بعد ثورة ١٨٥٧ وتوقف حركة الجهاد، وهي مرحلة إعداد وتهيؤ، حيث نشطت حركة الجدل والمناظرات يغذيها الاستعمار واتباعه من القسوس والمنصرين، فقد هادن الإنجليز وربط نفسه بعجلتهم فقدموا له المساعدات

الأدبية والمادية التي جعلته يطفو على مسرح الأحداث الدينية والسياسية في الهند في أول الأمر، ثم امتدت أفكاره إلى الأقطار المجاورة للهند فيما بعد، وكان في كثير من المناظرات ينتصر للإسلام ويدافع عنه مما لفت إليه الأنظار، وجذب إليه الأتباع والمعجبين، حتى بلغ إعجابهم به مظهر التقديس.

وقد بدأ أمره يزداد ظهوراً وشهرة حينما أعلن "أنه عثر على قبر المسيح عليه السلام في قرية اسمها سرنجار" بمنطقة كشمير، وزعم أن السيد المسيح قد هاجر إلى كشمير بعد تألب اليهود عليه ومحاولة قتله، وظل في تلك المنطقة حتى بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً، ثم توفي في تلك البلدة ودفن فيها، ولم يقدم السيد ميرزا أي دليل علمي أو ديني على زعمه، ولكنه وجد رغم ذلك من يصدق به[٣٠]، والواقع أن هذا كذب وافتراء فالسيد المسيح توفاه الله ورفعه إليه، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (آل عمران: ٥٥)، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٨).

المرحلة الثانية: دعوى الإصلاح والتجديد (١٨٧٩-١٨٩١م): حيث أعلن ميرزا غلام من نفسه إماماً مهدياً بعث ليجدد الإسلام، واستعان بالحديث الشريف: «إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها»، ونادى بأنه رجل المائة الأخيرة، أي المائة الرابعة عشر، وكان أول ادعاء له القول بأن روح المسيح قد حلت فيه، كما أدعى أن محمد ﷺ كذلك حل فيه فتجمعت فيه روح عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ[٣١]، وهذا هو القادياني، فهو نبي تحت عباءة النبي محمد ﷺ وفي ظليته، يقول: هذا الخاتم المتواضع (يقصد نفسه) لم يدع يوما أنه نبي أو رسول بالمعنى الحقيقي، إن الله دعاني نبيا بطريق الاستعارة، نبوتي انعكاس لنبوة

محمد ﷺ، والظل لا يكون له وجود حقيقي، وإنما هو صورة للشخص الأصلي الذي يعرف من خلاله.

ويقول: لقد ذكرت مراراً أن ما أتلوه من كلام هو من عند الله كالقرآن والتوراة، وأنا نبي ظلي بروزي من أنبياء الله، وتجب طاعتي على كل مسلم، وأن يؤمن أني المسيح الموعود، وكل من بلغته دعوتي ولم يؤمن بأني كذلك، سيحاسب على ذلك في الآخرة، وإن شهد أن لا إله إلا الله.

ويقول: إنني صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد ﷺ، وقد أنزل الله لتصديقي ما يربو على عشرة آلاف آية، وشهد لي القرآن، وشهد لي الرسول، وعين الأنبياء زمان بعثتي، وذلك هو عصرنا هذا، والقرآن يعيّن عصري، وقد شهدت لي السماء والأرض، وما من نبي إلا قد شهد لي (يشير بذلك إلى قول القرآن: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف: ٦)[٣٢].

لاقى غلام أحمد نجاحاً عظيماً خلال هذه المرحلة، فالهند بلاد المعتقدات والخرافات والأساطير، وهو يدعي أنه ملهم ومأمور من الله، وهذا رفع شأنه بين مريديه وأتباعه.

المرحلة الثالثة: الادعاء بأنه المسيح الموعود، وأنه جاء ليدك العقيدة الصليبية وليكسر الصليب ويقتل الخنازير، وهذه المرحلة تشمل الفترة بين سنتي ١٨٩١ و١٩٠٠م[٣٣]، ولما أحس من نفسه أن مثل هذا الادعاء قد يثير بعض المسلمين في الهند بدأ يقدم تفسيراته لهذا الادعاء، فقال: أنا أعتقد كل ما يعتقده أهل السنة، كما أعتقد أن محمدا ﷺ خاتم النبيين ومن يدعي النبوة بعده، هو كافر كاذب لأني أؤمن أن الرسالة بدأت من آدم وانتهت إلى رسول الله ﷺ.

ثم ينتقل نقلة أخرى لإعلان دعوته الحقيقية فيقول: "أنا لست بنبي، ولكن الله جعلني محدثا وكليما، ولكي أجدد دين المصطفى"، ويقول: "أنا لست بنبي أضاهي محمدا ﷺ أو جئت بشريعة جديدة بل كل ما فيه أني نبي متبع"، وبطبيعة الحال فإن هذا ينطلي على السذج والبسطاء في مجتمع يعج بكثير من التيارات والعقائد والمذاهب، ولما وجد أن الأمر استوى عوده، وحان وقته، أعلن أنه نبي يوحى إليه حيث يقول: "والله الذي في قبضته روحي: هو الذي أرسلني وسماني نبيا... وأظهر لصدق دعواه آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينة".

المرحلة الأخيرة: (١٩٠٠-١٩٠٨م): لم يعد الأمر أمر مسيح أو مهدي أو مجدد إلى غير ذلك من الادعاءات، وإنما أصبح يعلن بكل بجاحة أنه نبي يوحى إليه [٣٤]، والذي يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل، وقد طاب هذا الادعاء للميرزا، فعندما حصل خلاف بين أتباعه أمامه حول هذه المرحلة صاح فيهم "لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي"، وقد وصل إلى قمة الكذب والادعاء عندما ذكر مقارنة بينه وبين سيد الخلق وضح فيها أنه وصل إلى قمة الروحانية التي لم ينلها نبي قبله، ومخافة انفضاض أتباعه عنه أعلن أن رسالته مؤيدة للإسلام لاناسخة لشريعته[٣٥].

زعماء القاديانية:

توفي غلام أحمد عام ١٩٠٨ وتولى أمر هذه الفرقة من بعده عدة رجال ذكرت الدراسات المهتمة بالموضوع منهم ما يلي:

١ - الحكيم نور الدين : المولود عام ١٨٤١ في بلدة بهيرة من مديرية شاه بور من إقليم البنجاب، بويع بالخلافة بعد وفاة الميرزا عام ١٩٠٨ ولقب بالخليفة الأول، وخليفة المسيح الموعود نور الدين الأعظم وبقي في خلافته حتى مات في ١٣ مارس ١٩١٤م.

٢ - محمد علي: شغل منصب أمين الجماعة الأحمدية بقاديان إبان ظهور ميرزا بدعوته وزعيم شعبة لاهور التي عرفت بالأحمدية اللاهوتية ، ومن ضلالاته إنكار المعجزات القرآنية إنكارا كاملا ، توفي عام ١٩٥١.

٣ - محمد صادق: مفتي القاديانية.

٤ - بشير أحمد بن الغلام.

٥ - محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني.

وانقسم أتباع ميرزا غلام أحمد بعد وفاته إلى فرقتين هما:

الفرقة الأولى: القاديانية: وهذه الفرقة تزعم أنه نبي مرسل، وأن القاديانية ديانة كالديانات، وعلى رأسها نور الدين الخليفة الأول لميرزا غلام أحمد وابنه بشير أحمد خليفته الثاني.

الفرقة الثانية: الأحمدية أو جماعة لاهور، وهذه الفرقة تعتقد أن أمر غلام أحمد لايزيد كثيرا عن كونه مجددا في الإسلام، ولم تر فيه إلا أنه ولي من أولياء الله، وزعيم هذه الفرقة رجلان هما: خوجه كمال الدين ومولاي محمد علي، وهذا الأخير أكثر شهرة والتصاقا بالجماعة، وأصحاب هذه الجماعة يدعون "الأحمدية اللاهوتية"، وأن الأمة القاديانية لن يغلق في وجهها باب المكالمة والمخاطبة الربانية إلى يوم القيامة(٣٦).

الأنشطة القاديانية:

أولاً: أشهر المؤلفات القاديانية : لقد ألف زعماء القاديانية عددا كبيرا من الكتب تشرح عقيدتهم وتبين أفكارهم ومن هذه المؤلفات ما يلي:

١ - مؤلفات ميرزا غلام أحمد: ألف عددا من الكتب والرسائل بلغت نحوا من أربعة وثمانين، أهمها:

- براهين أحمدية: أضخم كتبه وأولها ظهوراً، وقد احتوى على أصول نزعاته الفكرية، وقد افتقد للمنهج العلمي والإبداع الفكري والموضعية.

- مواهب الرحمن: ذكر فيه اعتراض صاحب جريدة اللواء (التي تصدر في مصر) عليه في إنكاره التلقيح للوقاية من الطاعون، وكان قد طلب من الحكومة الإنجليزية أن تترك اتباعه من غير تطعيم، وادعى أن الله أراد بالطاعون الذي ظهر في الهند أن يهلك به أعداءه وينجي من يطيعه ويتبعه بإخلاص من غير استعانة بذلك التطعيم، بل ادعى أن هذا الطاعون هو الدابة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ (النمل: ٧٢)، كما ادعى في هذا الكتاب أن الله بشره بأنه يعيش ثمانين عاماً وأن دعواه النبوة لا تنافي عقيدة الإسلام.

- **إعجاز أحمدي: باللغة الهندية، وقد ذيله بقصيدة عربية من شعره ركيك الأسلوب فاسد الوزن، وقد فضل نفسه فيه على الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب.**

- **الاستفتاء: الذي أدعى فيه أن الله أوحى إليه أنه من أصل فارسي وأن بعض جداته من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها، مع أن نسبه ينتهي إلى أصل مغولي لا فارسي.**

- سير الأبدال: ذكر فيه أن المسيح ينزل من السماء لأنه أنكر صعود المسيح إلى السماء وأنكر صلب رجل آخر بدله.

- التعليم: ذكر فيه أن قبر المسيح بكشمير في الهند وأن مريم تزوجت بيوسف النجار.

- حجة الله: أدعى فيه أن نور الله حل في قلبه، وأعلن فيه الولاء للإنجليز.

- إعجاز المسيح: ادعى فيه أنه لا مسيح بعده إلى يوم القيامة.

- مؤلفات الحكيم نور الدين: أهمها: تصديق براهين أحمدية، وفصل الخطاب.

- مؤلفات محمد علي وهي كثيرة وله مؤلفات بالإنجليزية والأردية.

- ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية.

- محمد الرسول.

- الإسلام عقيدة إنسانية.

- النبوة في الإسلام.

- الحركة الأحمدية.

- العقيدة البهائية.

- موجز الحديث.

ثانياً: في مجال الصحافة: وهي كثيرة وبعدة لغات أهمها:

- البدر: تصدر أسبوعياً باللغة الهندية لمتابعة أخبار الميرزا اليومية ورحلاته.

- الحكم: أسبوعية للبحوث الإسلامية والفتاوى.

- البشري: باللغة الفارسية واللغة العربية لنشر دعواه بين الفرس والعرب.

- الفصل: لسان حالهم وحال دعوتهم.

- الأديان: تصدر شهرية[٣٧] وقد أنشأها القادياني لكي ينشر فيها عقيدته[٣٨].

ثالثاً: انشطة اخرى: كإنشاء المدارس والمساجد وإعداد الدعاة، وتعددت مراكز أنشطته القاديانية:

١- في الهند قاديان ولا هور.

٢- في باكستان أنشأوا مستعمرة خاصة بهم وسموها "الربوة".

٣- في مكة قام غلام أحمد بمحاولات فاشلة للتسلل إلى بعض الناس في البلد الحرام.

٤- في مصر عامي ١٩٣٩ و١٩٤٠ حاولت جماعة لاهور اختراق الأزهر إلا أنها فشلت بعد افتضاح أمرها.

٥- في العالم الخارجي، نشطت في أمريكا وأوربا والشرق الأقصى وأفريقيا[٣٩] القاديانية والاستعمار الإنجليزي.

ولعلنا نستخلص مما سبق أن المسلمين كانوا أصحاب السيادة في الهند حتى بدأت جولة الاستعمار الأوربي، ودخلت الهند تحت النفوذ البريطاني فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الأمر في المستعمرة الغنية الواسعة، ورغم أن شركة الهند الشرقية البريطانية بدأت نشاطها في الهند بالسعي إلى جني الأرباح وكسب الأموال، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى حكومة ذات سياسة طموحة ترمي إلى الفتح والامتلاك مما أيقظ الكثير من أهل الهند وانفجر بركان الثورة عام ١٨٥٧[٤٠] كما سبقت الإشارة.

ويبدو أن القاديانية قد طبعتها ظروف المسلمين في الهند باعتبارهم من الأقليات المضطهدة، واعتبر القادياني الإنجليز مناصرين له، ووصفهم كما سبق أن بينا بأنهم حماة المسلمين في الهند، ولم ير الخروج عليهم والثورة على احتلالهم الهند، وكان يرى أن هذا الاحتلال هو ضمان أمن المسلمين الهنود، بل زاد على ذلك بأن ساندهم، ولذلك رأى تعطيل فريضة الجهاد من أجل الأرض، وقال إن الجهاد يكون من أجل العقيدة وحدها، والإنجليز لم يمنعوا المسلمين من أداء شعائرهم، وقال: إن النبي ﷺ لم يرفع السيف في وجه الكفار إلا عندما وجه الكفار جيشهم إلى المدينة للقضاء على الإسلام، وقال إن للجهاد شروطاً أربعة: فينبغي أن يكون الكفار هم البادئون بالقتال، وأن يكون اضطهادهم للمسلمين قد بلغ ذروته، ولم

يعد هناك محيص عن القتال، وأن يكون مقصد الكفار من الاضطهاد أو القتل هو دحر المسلمين والقضاء على الإسلام، وحينئذ لا يكون أمام المسلمين إلا الجهاد حقاً، بمعنى الدفاع عن أنفسهم والذود عن دينهم، ومع ذلك فالجهاد بالمناقشة والحوار والحجة والبرهان يأتي بنتائج أفضل من الجهاد بالسيف(٤١)، وقد فات على القادياني أن الهدف الأساسي للإنجليز هو القضاء على الإسلام والقيام بعملية التنصير منذ الحروب الصليبية وبداية الكشوف الجغرافية منذ "هنري" الملاح البرتغالي، هذا بجانب استعمار البلاد واستغلال خيراتها وذل أهلها، وقد رأينا ما حدث في ثورة التزييت واستهانة الإنجليز بعقائد المسلمين والهندوس على السواء، وأمر الجنود الهنود بإزالة دهن الخنزير والبقر بأسنانهم.

والسبب في تعطيل فريضة الجهاد عند ميرزا غلام يتضح في قوله: "منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها، وألغي فكرة الجهاد التي يدين لها بعض رجالهم، والتي تمنعهم الإخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولا في مئات الآلاف منهم"، ويزداد تبجحا فيقول: "إن عقيدتي التي أكررها أن الإسلام جزآن: الجزء الأول: إطاعة الله، والجزء الثاني: إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين وهي الحكومة البريطانية(٤٢)، ولهذا يقول: "وإني لأقول وأدعي أنني أكثر المسلمين إخلاصاً ونصحاً للحكومة البريطانية لأن هناك ثلاثة أمور جعلتني أرتفع في إخلاصي لتلك الحكومة إلى الدرجة الأولى، وأول تلك الأمور: نفوذ المغفور له والدي، وثانيها: أيادي هذه الحكومة العالية، وثالثها: الإلهام من الله تعالى(٤٣)، ومن أجل عيون الإنجليز زعم غلام أحمد أن الله أوحي إليه بأن الدولة العثمانية ستزول من الوجود، بناء على رغبة الإنجليز الذين كانوا يخشون وجودها كمركز للخلافة

الإسلامية، ولأنها لا تؤمن بوجود غلام أحمد، بل أعلنت الجهاد ضد هذه المعتقدات الباطلة(٤٤).

أما الجهاد الذي أقلق الإنجليز وشغل بالهم، فقد أفتى بكل صراحة وقوة بحرمته في عصره، فيقول في كتابه (الأربعين): "لقد ألغي الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاء باتا"، ويقول في كتابه (ترياق القلوب): "إن الفرقة الإسلامية التي قلدني الله إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره بل إن الفرقة المباركة لا تستحله سراً كان أو علانية، وتحرمه تحريماً باتا"(٤٥).

بارك الإنجليز هذه النحلة وشجعوها، بل هم الذين غرسوها ورعوها، لأنها دعوة تبث الشقاق في صفوف المسلمين، ولأنها أداة طيعة لتحقيق أغراضهم الاستعمارية، وبرغم أن المسلمين ظلوا يعلنون بأن القاديانيين مارقين عن الإسلام، فإن الإنجليز لم يكترثوا لتصريحات المسلمين، وأصروا على اعتبار القاديانية طائفة من الطوائف الإسلامية، وقد أخذ الاستعمار الإنجليزي بيدها وشجعها حتى استفحل أمرها وتبوأت المناصب الرئيسية في الإدارة المدنية وفي الجيش(٤٦)، وذلك لأن هذه الحركة أمدت الحكومة الإنجليزية بخير جواسيس لمصالحها، حيث كانوا موضع ثقة الحكومة الإنجليزية ومن خيار رجالها خدموا الإنجليز في الهند وخارجها خاصة في أفغانستان التي خافت حكومتها أن تقضي دعوة عبداللطيف القادياني على عاطفة الجهاد وروح الحرية التي يمتاز بها الشعب الأفغاني فقتلته(٤٧).

وقد سجلت الإدارة البريطانية في الهند نحلة القاديانية كمذهب رسمي في عام ١٩٠٠م وانعكس ذلك على القاديانيين الذين اتخذوا من الإنجليز سندا لهم وتمادوا في نشر ضلالاتهم إلى الحد الذي أدى إلى حدوث اشتباكات ومنازعات بينهم وبين عامة المسلمين، ورفعوا الأمر إلى المحاكم التي قضت بأن القاديانيين قوم مرتدون عن الإسلام.

والغريب في الأمر أنه قامت دولة باكستان بعد جلاء الإنجليز عن شبه القارة الهندية، وظلت الدولة تبسط على القاديانيين جناح عطفها وحمايتها، فتقطعهم الأراضي الواسعة، وتسند إليهم نصيباً وافراً من المناصب الحساسة في دوائرها، وفي وجه هذا السند اجتمع زعماء المسلمين في مدينة كراتشي عام ١٩٥٣م وطالبوا الحكومة بأن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة، على غرار الأقليات غير المسلمة الأخرى[٤٨]، وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاصد في البرلمان الباكستاني وما يستحقون من الوظائف في مختلف المصالح والإدارات حتى لا يستولوا على إدارة الحكومة والجهاز الإداري في باكستان[٤٩].

القاديانية بعد جلاء الإنجليز:

عارض المسلمون المحافظون تلك الأفكار لأنها تخالف حقيقة البعثة المحمدية، وقد اندلعت العديد من الاضطرابات بسبب الفرقة الأحمدية في باكستان في نفس العام (١٩٥٣) إلا أن السبب في ذلك رجع إلى أسباب سياسية في المقام الأول[٥٠]، وبالرغم من ذلك فإن الحكومة استمرت في حمايتها لهم، بل إن وزير خارجيتها ظفر الله خان كان من القاديانيين المتحمسين لدعواهم فمكن لهم في السفارات والمفوضيات.

بل أكثر من ذلك فإن الحكومة حاولت قمع حركة علماء المسلمين المعارضين للحركة، فأعلنت الحكم العرفي، وزجت بقادتهم في السجون، واستشهد مئات المسلمين المعارضين للحركة برصاص جنود الحكومة، وكان من ضحايا هذا القمع الأستاذ "أبو الأعلى المودودي" مؤلف كتاب: (المسألة القاديانية) الذي حكم عليه بالإعدام أولاً، ثم استبدل الحكم بالسجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة، ولم تكن جريمته إلا أنه عارض القاديانية، وألف رسالته التي أوضح فيها أباطيل القاديانية[٥١].

وكان محمد إقبال وهو المفكر الإصلاحي، بمثابة المعارض الوحيد الذي يمثل خطراً كبيراً على الفرقة الأحمدية، وفي عام ١٩٤٧م اعتبرت تلك الفرقة خارجة عن الإسلام[٥٢]، وإذا كانت القاديانية قد انتشرت في كثير من بلدان العالم كما سبق أن ذكرنا، فالغريب أن يكون لهم مركزاً في إسرائيل، أسسوه في حيفا في ظل الحماية البريطانية، ومن حيفا يرسلون دعاتهم للبلدان العربية، وهم الآن ينعمون بحماية إسرائيل لهم، والجدير بالذكر أنهم يقيمون في إسرائيل على الجواز البريطاني، لأن باكستان لا تعترف بالكيان الإسرائيلي في فلسطين، وموالاتهم لإسرائيل ثم للإنجليز دليل قاطع بأنهم غير مسلمين، ولابد للحكومات العربية والإسلامية وبخاصة الجامعة العربية، ولجنة مقاطعة إسرائيل من التنبه لخطر القاديانيين وخطر نشاطهم، خاصة وأن دعاتهم الضالين عندما يشرعون في بث ضلالاتهم في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الإسلام لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم.

والخلاصة أن القاديانيين ثورة على النبوة المحمدية والإسلام، وهي أيضاً وليدة السياسة الإنجليزية التي تحاول قتل روح المقاومة الإسلامية لمخططاتها الاستعمارية وتفريق شمل المسلمين في الهند وغيرها من المستعمرات البريطانية، لذا حمى الإنجليز ميرزا غلام أحمد وأتباعه ومكنوهم من نشر دعوتهم الرامية إلى تأسيس ديانة جديدة ضد الإسلام[٥٣]، والعمل على انهماك هذه الفئة الضالة في أمور بعيدة عن محاربة الاستعمار البريطاني في مثل موت المسيح ونبوته وختم النبوة، والمسائل التي لا تهم المسلمين في حياتهم العملية، والتي تبعدهم عن مقاومة الاستعمار الإنجليزي.

وهكذا احتشدت المراجع الأحمدية بصور من الضلالات الدينية والخيانات الوطنية، ومات الزعيم دون أن يكسر الصليبَ كما وعد، ودون أن يجعل الإسلام يعم جوانب الأرض كما تعهد، ومع هذا لا يزال له أتباع يعدون بالملايين ينتشرون بدعوتهم في كثير من بقاع الأرض[٥٤]، وهو أمر يتطلب منا وعياً وعملاً وانتباهاً لدحض مثل هذه البدع والأكاذيب.

ثالثاً: البابية والبهائية

فرقة ضالة تنسب إلى من يسمى علي محمد الشيرازى ١٨١٩-١٨٥٠ وكان مسلماً شيعياً من الأثني عشرية ، ثم ادعى النبوة وأطلق على نفسه الباب ، أو باب الحقيقة أو باب المهدي ، أو باب الإمام المستور ، وكان يخاطب أتباعه بقوله تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة آية ١٨٩) ، وقول النبى ﷺ "أنا مدينة العلم وعلي بابها " (٥٥) والمقصود بلقب الباب أنه الباب الذي يلج المؤمنون منه إلى الله (٥٦) ثم زاد غلوا في الكفر ، فأطلق على نفسه (خالق الحق) وزعم أنه "مشخص الحق" (٥٧).

وكان يسمى النبي النبيل بمعنى أنه المرآة التي يظهر فيها نفس الله ، ولذلك غير صيغة الآذان الشيعى أشهد أن لا إله الله وأن علياً ولي الله " ودعا إلى نفسه واختار ممن صدقوه ثمانية عشر شخصاً سماهم بحروف حي ، حيث الحاء يساوى ثمانية ، والياء عشرة وأرسلهم إلى إيران للدعوة له.

وتقوم البابية أصلا على إلغاء الشريعة الإسلامية بحجة أن لكل نبي دورة نبوة ، وأن دورة النبي محمد ﷺ قد انتهت عام ١٨٤٤ م ومن ثم فقد سقط العمل بالقرآن ، وادعى ، أنه يوحى إليه ، وأن كتابه اسمه "البيان" وأنه معجز للبشر ، وقال أنه هو المهدي المنتظر ، وقال أن لكل دورة نبوة تقويماً ، ويقسم التقويم البابي السنه إلى تسعة عشر شهراً ، ويجعل الشهر تسعة عشر يوماً ، وتقصر البابية الصيام على الشهر التاسع عشر ، وألغى باب الجهاد ولم يجز الحروب والاقتتال ، وجعل اجتماع أتباعه كل شهر في اليوم التاسع عشر ، وفيه تتلى آيات البيان وربما تتلى آيات من التوراة والإنجيل والقرآن (٥٨) وهكذا قامت البابية وتأسست وانتشرت وصارت نحلة من النحل الهدامة.

ومن أسباب انتشار البابية أنه عندما بدأت الدعوة تظهر ثمراتها حيث اغتر بها كثير من الجهلة والحمقى من الشيعة الذين نشأوا وتربوا في ذكرى المهدي الغائب الذي سيرجع آخر الزمان عند غلبة الظلم وانتشار الفوضى وفقدان القوة، واستقر في قلوبهم واستولى على أذهانهم في تلك الظروف السيئة المحرجة التي كانت إيران تمر بها أنه لا منجى من هذه المهالك إلا المهدي، ولما سمعوا أن هناك أحدا يُدّعي هذه الدعوى سارعوا إليه دون أن يعرفوا حقيقته وحقيقة أمره وصُدِّق قوله، كما هو منقول في كتبهم: "أن الناس وحتى الدعاة إلى ذلك الأمر كانوا يجهلون من يدعون إليه".

لم تقم طائفة بفضل قوة رجل واحد، وإنما قامت معتمدة على عدد من الرجال فاق طموحهم الشخصي قدراتهم الذاتية فقاموا بمساندة الدوائر الاستعمارية والقوى الصهيونية بتأسيس ديانة جديدة لتحقق من خلالها مجدهم الزائف وشهرتهم المضللة ومن أبرز هؤلاء:

قرة العين: اسمها فاطمة ولدت في قزوين ونشأت في أحضان أسرة شيعية حيث ولدت للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة وقد انتهت حياتها نهاية مأساوية بسبب آرائها التي تدعو إلى الإنحلال مثل(٦٠):

١- أنها أفتت أول ما أفتت: "يجوز للمرأة أن تتزوج تسعة رجال".

٢- طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الإسلام.

٣- دبرت مؤامرة لقتل عمها.

٤- اشتركت في مؤامرة اغتيال الشاه ناصر الدين القاجاري بعد قتل الشيرازي.

وقد سافرت قرة العين مع البارفروشي الشاب المحبوب لها في هودج واحد إلى مازندران أعده حسين علي البهاء لهما، كما دخلت معه في قرية هزار جريب في حمام واحد للاستحمام، ولما سمع أهل القرية ما هم عليه من الفجور العلني وعدم

العفة والحياء والجهر باقتراف الكبائر هجموا عليهم فقتلوا البعض وفرقوا جمعهم الباقي وشتتوا شملهم.

وتوفي الملك محمد شاه القاجاري في شوال ١٢٦٤هـ، سبتمبر ١٨٤٨م وتولى الملك ولي العهد "ناصر الدين شاه" ففرح البابيون بموته، واحتسبوا وفاة محمد شاه فوزاً عظيماً لهم، وشرعوا في القتال وخرجوا على الدولة والملة، وهجموا على جماعات المسلمين غير المذنبين بلا سبب ولا جريمة وقتل الأطفال فيمن قتل في "فيروزكوه" وأغاروا على قرية مجاورة ليلاً وقتلوا منهم مائة وثلاثين من الضعفاء والمساكين على غرة وخربوا القرية وحرقوها بعد ما نهبوا منها كل ما وقع عليه نظرهم، فهم لا يرون حقاً لبقاء المخاصمين لهم والمكذبين لديانتهم[٦١].

الملا محمد علي البارفروش: ولد محمد علي هذا على فراش المرزه جهدي البار فروش أحد أعيان الشيخية في مدينة بارفروش من مقاطعة مازندران، وكان ولد الزنا يتباهي بذلك ويدعي أن ميلاده كرامة ومعجزة أشبه بحكاية عيسى.

حصل على لقب القدوس، كما ادعى أنه عيسى ولد بلا أب بقدرة الله وإظهارا للمعجزة الربانية، ثم تدرج في ادعاءاته فادعى الألوهية والربوبية وادعى أنه هو رجعة رسول الله نفسه، والعياذ بالله.

كما انهمك في الفسوق والفجور وجهر بالمنكر والفحشاء ودعا إلى فسخ الشريعة الإسلامية، ومارس تعذيب المسلمين وقتلهم، وكان بطش ربك شديد فعذب وقتل في مدينة بارفروش وأحرق نعشه ورمي في خرابة إحدى المدارس وهو في السابعة والعشرين من عمره.

قتل الميرزا علي محمد الشيرازي بتبريز ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م بأمر من الحكومة الإيرانية فحل الخلاف بين البابيين، وترتب على هذا الخلاف ظهور أربعة فرق[٦٢].

ولما تفشت البابية واستفحل أمرها أثار الشيعة الحكومة عليها فقُبض على الباب وحوكم وأعدم بالرصاص، إلا أن أتباعه هاجموا بعض القلاع، ولعلنا نتسائل كيف لهم أن يقوموا وهم ضد القتال والجهاد؟[٦٣].

انتهاء البابية ونشأة البهائية:

البهائية نحلة ورثت البابية أسسها الميرزا حسين علي البهاء، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها ومؤسسها الأول الميرزا حسين علي الملقب "بهاء الدين".

والبهائية إحدى الفرق الأربعة التي انقسمت عن البابية، وكانت أكثرها صراعاً مع فرقة أخرى هي الأزلية، ولما اشتد الصراع بين الفرقتين طلبت الحكومة الإيرانية من الحكومة العثمانية إبعادهما عن العراق المجاورة لإيران إلى الأستانة عاصمة الخلافة، فبلغوها في غرة ربيع الأول ١٢٨٠هـ أغسطس ١٨٦٣م، وبعد شهور قليلة أبعدتهما الحكومة إلى "أدرنة" وهناك اشتد الخلاف بينهما مما أدى إلى التفريق بينهما[٦٤]، ونفي الميرزا حسين علي البهاء وأصحابه إلى عكا في فلسطين وهي من أملاك الدولة العثمانية، ونفي يحيى وأصحابه إلى قبرص وكانت تابعة أيضاً للدولة العثمانية.

وفي عكا امتدت يد الاستعمار الجديد فأطلق سراح البهاء وأمده بالمال الوفير وعاش عيشة بعيدة عن أوامر الباب العالي، ودبر مؤامرة لإبادة أتباع أخيه الذين عينتهم الحكومة عيوناً عليه فأبادهم ليلاً بالحراب، فاضطرت الحكومة إلى اعتقال البهائيين في أحد معسكرات عكا[٦٥].

نشأت البهائية وتطورت خلال مراحل مختلفة تبدأ من المازندراني في أحضان البابية وتنتهي عند تطويرها على يد عبد البهاء (عباس أفندي) الذي ولد في طهران ١٢٦٠-١٨٤٤هـ وتحالف مع الاستعمار البريطاني وتعاون مع الصهيونية العالمية،

وكان ذلك سببا من أسباب تجواله بين الولايات المتحدة ولندن وباريس وألمانيا وبودابست وفينا ما بين أغسطس ١٩١١ و ديسمبر ١٩١٣م.

تولت الصهيونية العالمية أمر عباس عبدالبهاء وأخذت تعمده لتدمير العالم الإسلامي، وإسقاط الخلافة العثمانية، والمساعدة في تنفيذ مخطط الصهيونية العالمية في اغتصاب فلسطين، وذلك بعد أن توفي البهاء وتولى عبدالبهاء ببضعة سنين رسمت في مؤتمر "بازل" عام ١٨٩٧ خريطة هرتزل لأرض الميعاد من النيل إلى الفرات، وعندما رفض السلطان عبدالحميد الثاني التنازل عن أرض فلسطين لليهود مقابل بعض المساعدات المالية تقدمها له قائلاً: "إن فلسطين ليست من أملاكي الخاصة للمساومة عليها".

وبذلك فإن البهائية التي نشأت وتطورت في أحضان الاستعمار الروسي والإنجليزي ثم تبنتها الصهيونية العالمية التي جعلت من قادة هذه النحلة الضالة خونة وجواسيس ومتآمرين، تآمروا على الخلافة الإسلامية وحاولوا بمساعدة الإنجليز واليهود إسقاط الدولة العثمانية، ولعبوا دوراً هاماً يستهدف نسخ كل الشرائع بالحديث عن الدين العالمي، وهي بكل اليقين ليست من فرق الإسلام، وأهل الإسلام منها براء[٦٦].

والدعوة البهائية مخطط كامل لهدم الإسلام، إذ فيها:

١ - تأويل آيات القرآن الكريم على غير مفهومها ومدلولها اللغوي والشرعي.

٢- قولهم أن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان.

٣- معارضة الجهاد ومقاومته وتحريم القتال، فقد ارتفعت صيحتهم ضد مقاومة أهل فلسطين للمخطط الصهيوني الرامي إلى استلاب أراضيهم، كما أنهم وظفوا هذه الدعوة ضد دعوة السلطان عبدالحميد الثاني للجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى.

٤- محاربة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ثم ادعاء نبوة جديدة ودين جديد ناسخ للإسلام وللأديان جميعاً، هو دين البهائية.

٥- إبطال الشريعة الإسلامية وأحكامها، وبالذات في شأن المرأة، فهم دعاة للاختلاط المطلق بين الذكور والإناث والمساواة بين الرجل والمرأة.

٦- دعوة السلام العالمي التي تخدم إسرائيل واحتلالها لفلسطين والأراضي العربية، ثم أيضاً دعوى الصهيونية العالمية بالسيطرة على العالم.

والغرض من كل هذه الدعاوى والأفكار الباطلة هي القضاء على الإسلام والعمل على فرقة أهله حماية للاستعمار الغربي، وقد أفتى علماء المسلمين بكفر البهائيين وخروجهم عن الإسلام(٦٧).

وهكذا دويت إيران من صيحات البابيين من أصفهان إلى خراسان، ومن بوشهر إلى تبريز ومازندران، وصار أمر الشيرازي موضوع البحث والمناظرات والأخذ والرد والقبول والإنكار، اتبعه كثير من أهالي بلاد العجم واستفحل أمره.

وكانت الحكومة الإيرانية تراقب حركاته بكل الحزم والاحتياط، وكان الملك محمد شاه يقول: ما دام أمره متفقا مع الأمن العام والراحة العمومية فلا تعاديه الحكومة بشيء، وتدخل السفراء الأجانب، الروسيين والإنجليز خاصة لإنقاذ البابيين والباب الشيرازي من بطش الحكومة الإيرانية القاجارية، وهذا باعتراف البابية نفسها وعلى رأسها الميرزا جاني الكاشاني الذي يقول: إن الملا محمد علي الزنجاني الملقب "بالحجة" اتصل بسفراء الدول الخليجية فتوسطوا إلى الحكومة الإيرانية في صالح البابيين، كما عاتب ملك الروس الأمير الإيراني وزجره على ظلمه هذه العصابة والتقى به (أي الزنجاني) في حربه الأخير مع الحكومة الإيرانية سفير الروس وسفير الروم وشفعا لهم، ولكن لم يقبل شفاعتهما فيه وفيهم.

وكتب "أسلمنت" الداعية البهائي: وأخيراً تحقق أن بهاء الله لم يشترك في جريمة الاعتداء ضد الشاه وشهد سفير الروس بطهارة أخلاقه، ومن جهة أخرى كان حاكم ولاية أصفهان "منوجهر خان الأرمني الروسي" الذي تظاهر بالإسلام منذ زمن غير بعيد كان يحمي الشيرازي وأتباعه ويمدهم ويمولهم بكل ما يحتاجون إليه من المال والعتاد.

ليس هذا فحسب، فقد كتب أحد الشيعة ومؤرخي إيران: أن الحكومة القيصرية الروسية كانت تزود البابيين بالأسلحة ليقاتلوا بها المسلمين وتعلمهم فنون الحرب والقتال وتمولهم بالمال والعتاد، كما فتحت الحكومة الروسية أبواب بلادها للبابيين ليعيشوا تحت حمايتها، ويبثوا سموم الفتنة والفساد في إيران[٦٨].

هوامش الفصل الأول

١- د. أحمد شلبي: مرجع سابق، ص٢٨٥.

٢- د. عبدالرحمن عميرة: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص ٢٥١٠.

٣- د. قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٩٨٣، ص١٢٩.

٤- ج.م.ع، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٧٠، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، د. محمد محمد أبو ليلة: الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب، القسم الثاني، ص١٠٣، ١٠٥، ١٠٦.

٥- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت عبدالعزيز: آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧، ص١٣٢، ١٣٣.

٦- د. جميل المصري: مرجع سابق، ص٣٣٨، ٣٣٩.

٧- د. تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص ٦٩.

٨- ج.م.ع، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سلسلة دراسات إسلامية، عدد ٦٠، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، آنا ماري شيمل، ترجمة: د. صلاح عبدالعزيز محجوب، الإسلام دين الإنسانية، ص ١٤٥.

٩- د. جميل المصري، مرجع سابق ص٣٣٩.

١٠- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٤٥.

١١- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت عبدالعزيز، مرجع سابق ص١٥٠.

١٢- د. تاج السر أحمد حران، مرجع سابق ص٧٠.
١٣- د. عبدالعزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، العصر الحديث، دار الفكر العربي، ١٩٩٨، ص٤٣٦-٤٣٨.
١٤- د. جميل المصري، مرجع سابق، ص ٣٤٠-٣٤١.
١٥- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت، مرجع سابق ص ١٥١.
١٦- د. عبدالمنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٩، ص٥١٣.
١٧- د. أحمد شلبي، مرجع سابق ص٢٩٠.
١٨- د. سعيد مراد: الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي، قديماً وحديثاً، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧، ص٢٣١.
١٩- د. أحمد شلبي، مرجع سابق ص٢٩٠.
٢٠- د. عبدالمنعم الحفني، مرجع سابق ص٥١٣.
٢١- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص١٤٧.
٢٢- د. أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٢٩٢.
٢٣- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢٣١، ٢٣٢.
٢٤- د. أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٢٩١.
٢٥- نفسه، ص ٢٩٠، ٢٩١، د. عبدالرحمن عميرة، مرجع سابق، ص٣٠١.
٢٦- مذكرات إسكندر باشا فهمي، تقديم وتحقيق، د. فرغلي علي تسن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ص ٨٠.
٢٧- نفسه.
٢٨- أبو الحسن علي الحسني الندوي: القادياني والقاديانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٦، ١٩٩٠، ص٢١-٢٣.

٢٩- د. أحمد شلبي، مرجع سابق ٢٩١.

٣٠- د. سعيد مراد، مرجع سابق ٢٣٢، ٢٣٣.

٣١- نفسه، ص٢٣٣.

٣٢- د. عبدالمنعم الحفني، مرجع سابق ص ٥١٣.

٣٣- د. أحمد شلبي، مرجع سانق ص ٢٩٢٠.

٣٤- د. سعيد مراد، مرجع سابق ص ٢٣٤.

٣٥- د. أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٣٦- د. سعيد مراد، مرجع سابق ص٢٣٥، ٢٣٨، د. عبدالمنعم الحفني، مرجع سابق ص ٥١٤، ٥١٥.

٣٧- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

٣٨- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت، مرجع سابق ص ١٣٢.

٣٩- د. عبدالمنعم حفني، مرجع سابق، ص ٥١٤.

٤٠- الندوي، مرجع سابق ص ٩٨-١٠٠.

٤١- د. عبدالرحمن عميرة، مرجع سابق ص٣٣٣.

٤٢- د. سعيد مراد، ص ٢٤٣.

٤٣- الندوي، مرجع سابق ص ١٠٤، ١٠٥.

٤٤- د. تاج السر أحمد حران، مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

٤٥- الندوي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

٤٦- د. تاج السر، مرجع سابق، ص ٧٣.

٤٧- الندوي، مرجع سابق، ص ١١.

٤٨- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

٤٩- د. تاج السر أحمد حران، مرجع سابق، ص ٧٣.

٥٠- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص ١٤٧.

٥١- د. تاج السر، مرجع سابق، ص ٧٤، ٧٥.

٥٢- د. أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٢٩٤.

٥٣- د. عبدالمنعم حفني، مرجع سابق، ص ١٣٠.

٥٤- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١١١.

٥٥- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

٥٦- د. عبدالمنعم حفني، ص ١٣٠، ١٣١.

٥٧- إحسان إلهي ظهير: البابية، القسم الأول، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط٣، ١٩٨١، ص ٥٦.

٥٨- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

٥٩- إحسان إلهي ظهير، ص ٧٤.

٦٠- نفسه، ص ٨٢.

٦١- د. عبدالرحمن عميرة، مرجع سابق، ص ٢٨٦-٢٨٨.

٦٢- د. سعيد مراد، مرجع سابق ص ٢١٠.

٦٣- د. عبدالمنعم حفني، ص ١٣١.

٦٤- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢١٠.

٦٥- د. عبدالرحمن عميرة، مرجع سابق، ص ٢٧١.

٦٦- د. سعيد مراد، مرجع سابق، ص ٢١٦-٢٣٠.

٦٧- د. تاج السر، مرجع سابق، ص ٧٨-٨٠.

٦٨- إحسان إلهي ظهير، مرجع سابق، ص ٦١-٦٤.

الفصل الثاني

الاستشراق والتنصير ودورهما في خدمة الاستعمار الغربي

- ماهية الاستشراق
- بداية الاستشراق
- دوافع الاستشراق
- ماهية التنصير أو التبشير
- دوافع التنصير
- الغزو الفكري وأساليبه

ماهية الاستشراق

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة " مستشرق " تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله (الأقصى والأوسط والأدنى) في كل ما يعنيه (لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه)[١]، أي أنه مصطلح يطلق على المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه[٢].

والمستشرقون (جيش مدني) ولد وترعرع في بلاط الاستعمار، خادماً لمصالحه. يمهد له قبل الاحتلال ويؤازره في أثناء الاحتلال، ويمجد أثاره بعد انتهاء الاحتلال[٣] وبجانب خدمة الاستشراق للاستعمار، فإنه يقوم أيضا على خدمة أغراض التنصير[٤].

ويسيطر على المستشرقين الشعور بالاستعلاء حيث يرون أنفسهم وأيديولوجياتهم ومناهجهم أعلى قدراً من الإسلام الذي يتصدون للكتابة عنه، وينظرون إلى الإسلام على أنه محبوس أمامهم في قفص الاتهام، وأن مهمتهم هي توثيق الجرائم التي صار بها الإسلام متهماً في نظرهم[٥].

وإذا كان الاستشراق لا يقوم إلا على أساس معرفة اللغات الشرقية التي هي الوسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق، فإن التنصير يتفق مع الاستشراق في هذا الصدد، ويحتم أيضاً معرفة لغات من يُراد تنصيرهم، فعلى مدى زمن الاستشراق كان لدى دعاة التنصير ضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد عن التنصير أو عن الدافع الديني بصفة عامة[٦].

فقد كانت الدراسات الاستشراقية تُعني فيما تعني به من بحث في العلوم وتحقيق للتراث، أو ترجمات لمعاني القرآن الكريم التي كانت تنطلق بطبيعتها من تصورها

للاهوت المسيحي، بيد أنها كانت مرصودة الأخطاء بمقتضى كفالة الله تعالى بحفظ كتابه.

ولكن الملاحظ أن جيلا استشراقيا جديدا من الصحفيين والكتاب وبعض الفلاسفة الذين تتسم اطاريحهم بالإغلاق المفرط في الانفصال والاستفزاز الدعائي المتشنج عن حقبة الحرب الباردة أنه جيل الاستشراق السياسي المخابراتي، الذي اختلطت تصوراته وأفكاره وتوجهاته بمشاريع واستراتيجيات وزارات الخارجية في كل من أوربا والولايات المتحدة [٧].

وقد تعددت تعريفات الاستشراق بين علماء الغرب وعلماء العرب، وقد استبعد علماء الغرب معنى الاستشراق عن أهدافه الأساسية وهي خدمة الاستعمار، وعرفوه تعريفات علمية بأنه علم يعتني بدراسة الكثير من العلوم المختلفة، وقد اتفق معهم علماء العرب في هذا المعنى ولكن اختلفوا في التعريف الهادف للاستشراق مثل:

- أن الاستشراق مهنة أكثر منه علما وأنه أقرب إلى دائرة التبشير أو التنصير من دائرة العلم، وهنا كان الإسلام بيت القصيد للهجوم والنيل منه[٨].

ولقد اختلفت مواقف المستشرقين من الفكر الإسلامي وقضاياه تبعا لاختلاف أديانهم أو مذاهبهم الفكرية والسياسية لأننا نجد بين صفوف المستشرقين اليهودي الحاقد على الإسلام وأهله، والمسيحي الراهب المبشر بدينه، والشيوعي الملحد الذي لا دين له، فكان لابد من اختلاف مواقف هؤلاء جميعا [٩].

فليس كل المستشرقين أصحاب حملات تشويهية ضد الإسلام، فمنهم المعتدلين الذين فهموا حقيقة الإسلام، فعلى سبيل المثال: "أرنولد شوبرت" الذي يقول: "سجلت أول مؤلفاتي" المسلمون والعلم الحديث" ردا على غرور وخيلاء بعض المستشرقين الغربيين، وذكرت فيه أن علم المسلمين لم يقتصر على فن دون

غيره أو على نوع معين من العلوم، وقد أورد القرآن في آياته كافة ما ينفع الناس من علم وتشريع وفقه وعبادة ودين ودنيا وأقبل المسلمون على هذه العلوم، فقد أدهشت نهضة المسلمين العلمية الدنيا كلها، وأوربا تشهد أن المسلمين هم وراء النهضة العلمية التى شملت أوربا بعد الفتح الإسلامي، ولا تزال في إيطاليا آثار أول مدرسة للطب، التي أنشأها مسلمون، كما أن أول مرصد فلكي عرفته أوربا كان المرصد الذي أنشأه المسلمون في أشبيلية.

ويقول لفت انتباهي كتاب "الإسلام" للمستشرق الألماني "مارتين هارتمان" الذي قدم ترجمة صادقة للقرآن وحياة محمد ﷺ وضمنه شرحا جميلا للعقيدة الإسلامية والتكاليف الدينية وأنظمة الحكم في الإسلام... وهكذا كما يقول: أن الدعاية الصهيونية أسهمت في تشويه صورة الإسلام [١٠].

وكان أسوأ المستشرقين جميعا هم المستشرقون اليهود، فمنهم من يتهم الإسلام بأنه دين فرضه محمد ﷺ وأتباعه بقوة السيف والحروب، ومنهم من ينكر نبوة محمد ﷺ أصلا، ويرى أن ما جاء به محمد من تعاليم قرآنية أخذها عن أحبار اليهود وكهنة النصارى.

ومن المستشرقين من يتهم إله المسلمين بأنه متعال جبار بينما إله النصارى عطوف ودود متواضع ظهر للناس في صورة واحد منهم وهو عيسى ابن مريم [١١] وقد نسوا أن إله المسلمين هو إله الجميع، إله اليهود والنصارى وغيرهم هذا إذا كان المستشرق النصراني يفهم الدين النصراني فهما حقيقيا.

مما لا شك فيه أن أهم أسباب الجفاء بين الغربيين والشرقيين هو كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة، بحيث أتى على الوثنية في البلاد التي أنتشر سلطانه فيها، ودخل فيه من الصابئة واليعاقبة والنساطرة والمجوس واليهود والنصارى وغيرهم، فخافت أوربا النصرانية من سيطرته على ربوعها وأتفق ملوكها وساساتها ورهبانها

على حرب الإسلام ـ فكانت الحروب الصليبية التي دامت أكثر من قرنين واستمرت حتى هددت الدولة العثمانية أوربا زمناً طويلاً حتى شاخت [١٢] فكانت هجمات الغرب على العرب والعالم الإسلامي بالاستعمار والتنصير اللذان أخفيا تحت عباءة التبشير.

بداية الاستشراق والتنصير

يجمع معظم المهتمين في ذلك أن هذه الحركة بدأت في أوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وأن الراهب الفرنسي (جرير دي أولياك) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، عندما رحل إلى أسبانيا مهد الحضارة الإسلامية في وقته، تعلم اللغة العربية، ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة وبعض العلوم الدينية، ثم رحل إلى روما، وبمعرفته هذه انتخب حبرا أعظم باسم "سلفستر الثاني (٩٩٩ ـ ١٠٠٣م) وكان بذلك أول بابا فرنسي، ومن خلال منصبه أنشأ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، ثم أنشأ ثالثة باسم مدرسة "شارتر" وقام بترجمة بعض الكتب العربية.

ثم جاء بعده (قسطنطين الأفريقي ١٠٨٧) و(بطرس المحترم) ١٠٩٢ ـ ١١٥٦) و(أرجودي سانتلا ١١٠٧) ثم جيرارد كريمون ١١١٤ ـ١١٨٧) ثم تتابع رواد هذه الحركة وتكاثرت أعدادهم واختلفت جنسياتهم بحيث شملت معظم دول أوربا.

وأخذت حركة الاستشراق تنمو حتى سنة ١٣١١ ـ ١٣١٢م حيث عقد مؤتمر "فينا" الكنسي، وكان من أهم قراراته إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم جامعات أوربا ، فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي إكسفورد على نفقة ملك إنجلترا ، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق [١٣]، وفي هذا يرى المستشرقون أن التمكن من اللغة العربية، يجب أن لا

يقل عن التمكن من اللغة العبرية لفرصة ترجمة الكتب المقدسة من العبرية إلى اللاتينية ترجمة مرضية [١٤].

أما بداية الاستشراق الإنجليزي، فقد تمت قبل الحرب الصليبية عندما توجه نفر من الإنجليز إلى الأندلس للدراسة في جامعاتها، ومن هنا نرصد غلبة الاهتمام العلمي المرتبط بالجانب الفردي الكنسي دون وجود علاقة مباشرة حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، الذي يعتبر البداية الحقيقية للدراسات الاستشراقية في إنجلترا، وهنا يلاحظ الدافع الديني على الاتجاه الاستشراقي للوصول إلى ثلاثة أهداف:

١- تحويل المسلمين إلى النصرانية بترجمة كتب النصارى حتى يتأثر بها المسلمون.

٢- اتقان المنصرين للعربية حتى يقرأوا ما يكتب ضدهم.

٣- توحيد الكنائس الشرقية مع الغربية.

وعندما زاد التبادل التجاري مع العالم الإسلامي أصبحت معرفة اللغة العربية ضرورية خصوصاً بعد وصول العثمانيين إلى أواسط أسيا [١٥] ومعظم أوربا.

وفي القرن السابع عشر بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الإسلامية،وأنشئت كراسىللغة العربية في أماكن مختلفة، ففي جامعة كمبردج أنشئ كرسي اللغة العربية عام ١٦٢٦ ونص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجاري والآخر تنصيري [١٦].

وأثرت الأحداث التي وقعت في نهاية القرن الثامن عشر في حركة الاستشراق تأثيراً كبيراً إذ جاء نابليون إلى مصر مع جيشه وعلماءه عام ١٧٩٨ وقرر أن يستغل اللغة العربية في تحقيق آماله وأهدافه، وكانت الحملة أول مشروع رمي إلى تكوين دولة شرقية من الأجزاء العربية للدولة العثمانية، وقد أستغل نابليون مقومات العروبة فلجأ إلى اللغة العربية في كتابة منشوراته ولوائحه، وشجع العناصر العربية في البلاد فكون منها دواوين وجعلهم أهل مشورته.

وقد أدى كل ذلك إلى توسيع دائـرة الاستشراق وازدياد عناية البلدان الأوربية بأداب العرب وثقافتهم وخاصة الدول المتنازعة على العالم العربي، وتأثروا بكـل مـا رأوا وسعوا في العـالم العربي رغبـة في التعـرف عليـه وطمعـا في اسـتغلال ثرواتـه وتبشيرا بعقيدتهم ودينهم حتى وصـل البعـض منـهم في هـذه الفترة إلى مكـة نفسـها، وكان أول من زار مكة ووصف مناهج الحج فيها (ليليـش ١٨٠٧) ثـم تبعه كثير من المستشرقين فجابوا الحجاز وكشفوا عن آثاره وأسراره[١٧].

وفريـق آخر رأى أن الاستعمار الأوربي لبعض البلدان العربيـة والإسـلامية في الشرق الأدنـى وشمـال أفريقيا وجنوب شرق آسيا وحاجة هؤلاء إلى فـهم عـادات وتقـاليد وأديـان هـذه الشعـوب الـتي استعمروها لبسط نفوذهـم، وتثبيت سيطرتهم عليها أدى ذلك إلى تشجيع الاستشراق وحث جامعاتهم على دراسته[١٨].

وخلال القرن التاسع عشر الميلادى الذي شهد انتشار حركة الاستعمار ووجـود بريطانيا دولة عظمى، ازدادت اهتمامات المستشرقين بالشرق بعد أن أصبح الشرق أو أجزاء منه خاضعا للأمبراطورية البريطانية، وهذا بداية ارتباط الاستشـراق الإنجليزي بالاستعمار وخدمته لأهدافه.

وخلال القـرن العشـرين ظـل الاستشـراق ملتزمـا بدوافعـه واهدافـه وإن كـان قـد عمق جهوده وزاد عدد العاملين والمؤسسـات الجامعيـة ومراكـز الأبحـاث، والاهتمـام بالدراسات الأقليمية التي تختص بتفاصيل قطر بعينه لتسهيل الوصول إليه.

وبعد أن أفل نجم السياسة البريطانية، وتسلم القيادة من قبل الأمريكان، فإنه مما يلاحظ في بدايات الاستشـراق الأمريكـي اهتمامـه باللغـة العربيـة لتسـهيل فهمـه للغـة العبرية، لغـة التـوراة ولـهذا السـبب وصلـت أول البعثـات الأمريكيـة إلى سـوريا عـام ١٨٢٠، وتم إنشـاء أول مدرسـة لتخريـج المنصريـن عـام ١٨٤٣، كمـا أنشـئت أول

مدرسة للبنات في لبنان عام ١٨٥٩ ، وتأسيس الكلية الإنجيلية السورية عام ١٨٦٦ والتي تطورت فيما بعد إلى الجامعة الأمريكية.

وتاريخيا يمكن اعتبار عام ١٩٥٨ بداية الاهتمام الرسمي الأمريكي بالاستشراق وذلك عندما أصدر مجلس الشيوخ مرسوما يقضي بتشجيع الجامعات الأمريكية للدخول في معترك الدراسات العربية الإسلامية ، وما أن جاء عام ١٩٦٥ حتى أصبحت اللغة العربية تدرس داخل أمريكا في خمسة عشر مركزا وبتمويل من الحكومة الفيدرالية ، حتى اصبح عدد الجامعات الأمريكية التي تقوم بدراسات عليا حول الشرق الأوسط أكثر من ثمان وعشرين جامعة عام ١٩٦٥ هذا الاهتمام الذي أكد التوجه السياسي والاقتصادي للاستشراق الأمريكي، والذي أمتد حتى عام ١٩٨٥ عندما وصل الأمر بالاهتمام بالنزاع العربي - اليهودي في الشرق الأوسط وبخاصة الصحوة الإسلامية التي أولاها الكونجرس اهتماما خاصا لفصل حد جمع شهادات المختصين بدراسة العالم العربي والإسلامي فيما يتعلق بالتطرف.

لا ننسى هنا أهداف الاستشراق الاجتماعي وسعيه لتعويض تركيبة المجتمعات الإسلامية ، ومحاولة استبدالها بالأفكار العلمانية ، ومن هنا جاء سعي اليهود للسيطرة على مراكز الدراسات الإسلامية والعربية ، ورغبتهم في العمل من داخل الحركة الاستشراقية الأمريكية حتى لا يعزلوا أنفسهم محققين بذلك هدفين : فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية ، وتحقيق أهدافهم الخاصة التي يلتقون فيها مع الاستشراق الغربي عموما ، وخير مثال لذلك هو: "برنارد لويس" الذي ينتمي إلى المدرسة الإنجليزية والأمريكية في الاستشراق[١٩].

دوافع الاستشراق والتنصير

الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية تركت أثارها السيئة على نفسية الغرب لكنها في الوقت نفسه فتحت أعين الغرب على الشرق وما فيه من علوم ومعارف وحضارة، ولقد واكب ذلك ما شهدته أوربا من حركة الإصلاح الديني وموقف الكنيسة من العلم والعلماء، وقد أدى ذلك إلى أن تعيد الكنيسة ترتيب أوراقها، وأن تعيد النظر في المفاهيم الدينية التي تتعامل بها مع العلماء، وترتب على هذه النزعة الإصلاحية صاحبة الغرب إلى التعرف بعلوم الشرق وثقافته [٢٠].

وقد تعددت هذه الدوافع فشملت الدوافع النفسية والتاريخية والاقتصادية والأيديولوجية والدينية والاستعمارية والعلمية، بجانب الشخصية المزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم النزاع والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر والترحال، أو في الإطلاع على ثقافات العالم، ومنهم فريقا دخل ميدان الاستشراق طلبا للرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية [٢١] ولما كان الدافع الديني هو المسيطر على سائر الدوافع الأخرى وأخطرها والممهد للاستعمار فقد بدأنا به.

١- الدافع الديني:

يزعم المستشرقون أن الإسلام دين جامد، وأنه لم يعد مسايراً لروح العصر، ولذلك فهو في حاجة إلى إصلاح جذري، وهذه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما ينبغي عليهم أن يفعلوه في دينهم وهذا الإصلاح المزعوم يمثل محاولة من محاولات تغيير وجهة نظر المسلمين عن الإسلام، وجعل الإسلام أقرب إلى المسيحية بقدر الإمكان. هذا رغم أن الإسلام يشتمل على أصول لا يملك أحد أن يغير فيها شيئاً وهي عقائد الإسلام الأساسية [٢٢].

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في نشر دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم إعداد الدعاة للتنصير وإرسالهم للعالم الإسلامي(٢٣).

وقد سلك المستشرقون وسائل شتى لتحقيق هذا الهدف الديني، كان أظهرها التركيز على إثارة القضايا الخلافية في الفكر الإسلامي، والعمل على إحياء الآراء الشاذة للفرق المغالية ليشغل المسلمون أنفسهم بها عن التفكير في عظائم الأمور، فعمدوا إلى إثارة الخلافات المذهبية والصوفية، فانكبوا على دراسة تراث ابن عربي، وابن سبعين، والحلاج، وذي النون المصري، كما حاول بعضهم إحياء الخصومات التاريخية بين المعتزلة والأشاعرة أو بين المعتزلة والسلف.

إن هذا الهدف أعلنه المستشرقون قديماً وحديثاً، فقد صرح المفكر الفرنسي "هانوتو" بعد احتلال فرنسا للجزائر، أنه لا يوجد مكان على ظهر الأرض إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق، فهو الدين الوحيد الذي أمكن انتحال الناس له زمراً وأفواجاً، وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل إليه والتدين به... إن هذا الدين قائم الدعائم ثابت الأركان في أوربا عينها" إن هذا الدين قائم في الآستانة حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصاله من هذا الركن المنيع الذي يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل الدول الأوربية بعضها عن بعض شطرين.

ويقول: أنه لابد من العمل على تفكيك تلك الرابطة التي تجمع بين المسلمين شرقاً وغرباً على سطح المعمورة فتجعل منهم أمة واحدة، وهي رابطة الدين، لابد من العمل على إضعاف هذه الروح السائدة التي تحرك المسلمين من سباتهم... إنهم متى اقتربوا من الكعبة أو من البيت الحرام... من ماء زمزم المقدس ومن الحجر الأسود... وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة التي استحثتهم على ترك بلادهم في أقصى مدن العالم للفوز بجوار الخالق في بيته الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية في

قلوبهم... إن رابطة الإخاء بين المسلمين كفيلة بأن تجعل المسلم في شرق الأرض يهب لنصرة المسلم في غربها، فهي عامل مؤرق لفرنسا في المستعمرات التي تخضع لها[٢٤].

ومما لا شك فيه أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع التخلص منه بصفة نهائية، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، وأن الهدف الديني يتمثل في ثلاث اتجاهات كالآتي:

١ـ محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمه والخطر من قدر نبيه.

٢ـ حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائض مزعومة.

٣ـ التبشير وتنصير المسلمين، وقد كان قرار مجمع "فينيا" الكنسي" ١٣١٢م وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١ عن طريق "صموئيل زويمر" رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني والعمل من أجله في محيط الاستشراق[٢٥].

٢ـ الدافع الاستعماري:

تحالف فريق من المستشرقين مع الاستعمار الذي أذل العالم الإسلامي حقبة من الزمان في العصر الحديث، ويقول المستشرق المعاصر "اشتيفان فيلد" مشيراً إلى هذه الفئة " والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين " ومن بين الأمثلة في هذا الصدد المستشرق " هينريش بيكر " المتوفي عام ١٩٣٣، مؤسس مجلة الإسلام الألمانية في أفريقيا، أما " بارتولد Barthold المتوفي عام ١٩٣٠ مؤسس مجلة Mir Islama الروسية فقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام

ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية فى آسيا الوسطى، أما عالم الإسلاميات الهولندي الشهير "سنوك هورجرونيه" المتوفي عام ١٩٣٦ فقد لعب دوراً خطيراً في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في إندونيسا، أما المستشرق الفرنسي "ماسنيون" فقد كان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا، وغيرهم كثير ممن وضعوا علمهم ودراساتهم في خدمة الاستعمار، ضد الإسلام والمسلمين[٢٦].

ولقد حد الإسلام بين معتنقيه، وألغى العصبية القبلية "وجعل أمة الإسلام أمة واحدة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، كما جعل المؤمنين إخوة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، ولذا اتجه المستشرقون إلى إشاعة الفرقة بين المسلمين بإحياء النزعات والعصبيات، فشجعوا القوميات التاريخية القديمة، فحاولوا إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في الشام، والأشورية في العراق، والفارسية في إيران[٢٧]، والبربرية في المغرب، وذلك لتمزيق العالم الإسلامي تمهيداً لاستعماره والسيطرة عليه.

ولما لم تنتصر هذه الدعوات الضيقة لجأ الاستعمار إلى نشر أفكار جديدة، مثل فكرة العروبة التي أراد لها أن تكون رابطة قومية للعرب مناقضة للإسلام، ثم أشعل النار بين القوميتين، العربية والتركية وحاول التفريق بينهما، بعد أن كان الإسلام يجمع بين الأمتين على مدى العصور الإسلامية المختلفة [٢٨] واقتنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان،

وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين ثم اتصل بالاستعمار الذي مكن للمستشرقين في البلاد الخاضعة لحكمه أو نفوذه لينشروا فيها فلسفتهم ويحققوا أهدافهم [٢٩].

٣. الدافع الاقتصادي:

ثروات الشرق وخيراته كثيرة ومتنوعة بسبب تنوع المناخ ، لذا فهذه الثروات إحدى الأهداف التي سعى الغرب للسيطرة عليها ووضعها تحت يده ، وحرمان شعوب المنطقة منها ، ولذلك أنشئت الأسواق التجارية والمؤسسات المالية وكان الحصول على هذه الثروات بأبخس الأثمان دافعاً قوياً لحركة الاستشراق.

لذلك أرسلت المؤسسات المالية في الغرب من يتولى إدارة شئونها في الشرق فعينت المستشارين والمترجمين من المستشرقين ، كما أنشأوا بعض المؤسسات المالية في دول الخليج واليمن ، وكان بعض العاملين بها من المستشرقين الذين اهتموا بجمع المخطوطات العربية من المكتبات الخاصة من البلاد الخليجية ونقلوها إلى أوربا [٣٠] ليس هذا فحسب فالاستعمار أعادوها مصنعة فخلقوا الأسواق الرائجة في الشرق ، وأكبر مثال على ذلك مصر بالنسبة لمحصول القطن ، أضف إلى ذلك ما قام الاستعمار بسرقته من آثار وحضارات الشرق ونقلوها إلى أوربا وهي مازالت موجودة بمتاحفهم ، كالآثار المصرية مثلاً.

أدرك الغرب أنه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق ويمزقها عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية ، لذلك تمسك الغرب بذلك ، فطلب التجارة الرائجة ، وهو أقوى المشجعات البشرية على النشاط والعمل ، كان له أثره الطبيعي في ميول الأمة ومجهوداتها الفكرية ، وبينما كان التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من الشعوب الشرقية ، شرع يتعلم لغاتها وآدابها وينشئ المعاهد ويؤسس الجمعيات ليتعلم أبناء جلدته ومواطنيه [٣١].

الدافع العلمي:

أن المواجهة الآن بين الإسلام والغرب هو "صدام حضارات" هذا ما قاله "جون اسبوسينو" في كتابه "الخطر الإسلامي أسطورة أم حقيقة "وأصدرته جامعة اكسفورد بنيويورك[٣٢].

والواقع أن هذا الدافع يقبل عليه قلة من المستشرقين وهم غالباً المضيفون في دراستهم وأبحاثهم لمعرفة حضارات الأمم الشرقية وأديانها وثقافتها ولغاتها، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين بل أن منهم من أهتدى إلى الإسلام فأسلم وآمن برسالة الإسلام[٣٣]، وكثيراً منهم كتب مؤلفاته وبحوثه حول شخصيات إسلامية كانت رائدة في مجالات العلم، وفي الوقت نفسه هناك بعض المستشرقين يقعون في أخطاء علمية بسبب جهلهم بأساليب اللغة العربية وطرق التعبير فيها، ويترتب على فهمهم الخاطئ نتائج وأحكام خاطئة تبتعد بهم كثيراً من منطق الصواب والإنصاف[٣٤]، ولا يمكن إنكار أن الحضارة الإسلامية هي الأساس المتين للحضارة الأوربية.

وقد أتحدت الدول الأوربية وانطلقت الكشوف العلمية نحو خدمة تسليح الجيوش الأوربية للسيطرة على الشرق وبدأت القراءة الإسلامية لتاريخ المنطقة من هذه المنطلقات[٣٥]: -

١ـ إحساس أوربا بخطر الإسلام.

٢ـ مواجهة هذا الخطر بما تملك من وسائل عسكرية وسياسية واقتصادية.

٣ـ العمل على تفتيت القوة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية.

٤ـ أن ما آلت إليه أحوال المسلمين من ضعف كان سببه وجهة النظر الأوربية

٥ـ اهتمام المسلمين بالعلوم الشرعية وإهمالهم للعلوم الطبيعية التي يتعاملون بها مع الكون (علوم الطبيعة والكيمياء والرياضة والهندسة).

وهناك مجموعة من قضايا التحدي بين المسلمين وبين الاستشراق ينبغي مواجهتها والوعي بها وهذه القضايا هي(٣٦):

١ـ تنابذ الإعلام الغربي بالإسلام والعرب، حيث درج الإعلام الغربي والأمريكي على تصوير الإسلام في صورة مارد لو خرج من قمقمه لهدد التقدم والحضارة المدنية.

٢ـ التهديد النفسي في قبول النقد الذاتي، فينبغي أن تمتلك الثقة الكافية بأنفسنا لخوض الصراع الفكري حول أهم القضايا التي تخص ماضينا وحاضرنا وقد آن الأوان أن نرتفع من مرحلة الصراع الفكري إلى مرحلة الحوار الحضاري، وأن ننتقل من الموقف الدفاعي والتغني بالذات أو الهجومي المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافي.

٣ـ عدم تكافؤ الخطابين الإسلامي والغربي، وذلك لأن الغرب أقوى من المسلمين وليس بالضرورة أن تكون الحكمة الصائبة من جانب الأقوى الغالب، ولهذا يبدو على الخطابات الإسلامية طابع الغضب والاحتجاج والاتهام والتشكيك شأن المغلوب لا الغالب أما خطابات الغرب فتبدو باردة هادئة متزنة وأحياناً متغطرسة ومتعجرفة، شأن الغالب ـ فهو المسيطر ليس فقط اقتصادياً وتكنولوجيا أو سياسياً وعسكرياً، وإنما منهجياً وعرفياً.

٤ـ تبادل عدم الفهم لثقافة الآخر، فالغرب مشكل من عدة تيارات ثقافية وفكرية وحساسيات عرقية وسياسات تستبيح حق الشعوب كذلك فإن خطابات المثقفين العرب إزاء الاستشراق ليست كتلة واحدة منسجمة وإنما هي مشكلة من عدة اتجاهات متغايرة ومتنوعة بل ومتناقضة فليسوا كلهم أعداء للمنهجية العلمية والتفكير المنطقي كما يزعم الرأي العام الغربي.

التنصير والتبشير :

إذا تركنا الاستشراق وانتقلنا إلى التبشير الذي لا يختلف إطلاقاً عن التنصير، وقد يكون استخدام لفظ التبشير عند الأوربيين إخفاءاً لما كانوا يقومون به من دعوة إلى التنصير بين المسلمين.

وكلا اللفظين (تبشير وتنصير) كما سبق ذكره لفظ واحد كان يقوم به المستشرقون.

والتنصير لغةً يعني الدخول في النصرانية، أو الدخول في دين النصارى، والتنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب، والتنصير مرادف في المعنى لكلمة تبشير [٣٧].

والتبشير في رأي القائمين به هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أبنائها، ويبدو بوضوح أن أشد الأديان مراساً في إباء الاستعباد هو الإسلام، ولذلك يتمنى المبشرون أن يصبح جميع المسلمين نصارى، ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين أيضاً فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون [٣٨].

ونضيف على ذلك، أن التنصير هو محاولة إدخال غير النصراني في دين المسيحية بشتى الوسائل قهراً أو ما دون ذلك، كأن يقول للفقير الجائع أدخل المسيحية وأعطيك مالا، أو للمريض وأعالجك وهكذا.

أما التبشير فهو نفس معنى التنصير وإن كان يحمل في طياته معاني أخرى بجانب التنصير الذي يعتبر المعنى الأساسي لدى المبشرين، كأن يبشر بعمل أو حدث أخر حسناً كان أو سيئاً يبتغي من وراءه مصلحة شخصية، وفي النهاية فإن ظهور التبشير

كان لغرض التنصير فمهما حاولنا في تحوير المعاني والألفاظ فلا يخرج التبشير عن التنصير.

وإذا كنا قد ركزنا على تقارب التبشير للتنصير لأن معظم المبشرين نصارى فيجب أن لا ننسى دور اليهود أيضاً في التبشير ، وهنا يطلق على هذا التبشير بالتهويد ، رغم أن اليهود لا يرغبون في غير اليهودي أن يدخل اليهودية ولكن غالباً ما يكون الهدف من تبشيرهم هو إبعاد الفرد عن دينه وإفساده وأخلاقه.

وللتبشير أو التنصير علاقة بالاستشراق تتمثل فيما يلي(٣٩) :

- الالتقاء على الكراهية والحقد.
- الالتقاء على محاربة الإسلام والمسلمين.
- الالتقاء على كسب المغانم.
- محاولات الفصل بين الإسلام والمسلمين.

بل إن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي والفكري والأخلاقي، وهذه تعاليم الكنيسة الغربية، فدور الاستشراق يقع في أن: خبرة المستشرقون الخاصة وضعت في خدمة الاستعمار، لأنه في اللحظة الحرجة حين يجب على المستشرق أن يقرر بين ولائه وميوله للشرق، وبين ولائه للمستعمر الغربي فإنه دائماً يختار الأخير على الأول، ومنذ عصر نابليون إلى الآن لم يتغير الأمر(٤٠).

والتبشير قام به المبشرون الأجانب وظاهره ديني وحقيقته استعمار فكري وسياسي، فقد عملت الإرساليات التبشيرية في المجالات الثقافية والصحية في المناطق التي استطاع الأوربيون السيطرة عليها، ففي المجال الثقافي كانت تقوم بتأسيس المدارس، ولا تقبل فيها إلا الذين يعتنقون الديانة المسيحية، وكانت تصنع البرامج

التي فيها الدس على الديانة الإسلامية، والتشكيك في عقائدها بصورة تدريجية، كما تجبر الطلاب على الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد[٤١].

ولا تزال مناطق إسلامية تعاني ضراوة التبشير الذي يتخذ أسلحة العلم كلها مسخرة لخدمة تحطيم العقيدة الإسلامية ونقل المسلمين إلى النصرانية كما يستخدم فيها أسلحة المال إغراء لضعاف النفوس واستغلالاً للفقر والفاقة التي منيت بها بعض مناطق المسلمين[٤٢].

ومن الناحية الصحية يؤسسون المستوطنات، بحيث يكون الطبيب والممرض والجميع من المبشرين الذين يحاولون التنصير أثناء القيام بمهمتهم ويحسنون الخدمة لمن أظهر رضى في اعتناق الديانة المسيحية[٤٣].

وقد احتلت هذه القضية اهتمامات المفكرين المعاصرين، ولعلها تمثل الآن أهم قضايا الحوار القائم بين المسيحية والإسلام في المؤتمرات المتعددة التي احتلت بؤرة الصراع القائم بين أهل الديانتين عبر التاريخ وتحولت لغة الصراع إلى لون جديد من الحوار كمظهر جديد من مظاهر العلاقة بينهما[٤٤].

ودوافع حركة التنصير نابعة من العداء الذي يشعر به الغرب والكنيسة النصرانية للإسلام باعتبار أن الإسلام هو العقبة الحقيقية أمام تقدم حركة التنصير في العالم، فيقول أحد دعامات حركة التنصير المدعو "زويمر": أن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم"[٤٥].

كما يقول زويمر ليعمق فكرة التنصير في الإرسالية الأمريكية: "إن تباعد العالم الإسلامي وعدم تنسيق سياسته تجاه هدف واحد مكسب كبير للتبشير والمبشرين، وإن أحد خطط التبشير واتجاهاته هي المحافظة على هذا التباعد بين الأقطار العربية الإسلامية[٤٦].

ولعل الشعور العميق بالتفوق الديني الأبيض كان وراء الإرساليات التبشيرية للمسلمين في مناطق الجزيرة العربية كعدن وحضرموت ومسقط والبحرين والفجيرة وقطر والتي تولاها المبشر الهولندي الأصل (صموئيل زويمر) وزميله (جيمس كانتين) خلال خمسين سنة في هذه الاصقاع، حيث يقول (زويمر): "أن من جملة المطالب في الجزيرة العربية بل وأولها: الحق التاريخي - لأننا نعرف أن أصقاعاً واسعة في الشرق الأدنى كانت نصرانية والآن إسلامية وأن المطالبة بشمال أفريقيا وسوريا وإيران وفلسطين والجزيرة العربية وآسيا الوسطي حق للنصرانية في استعادتها، فيجب أن نعيد كسب الجزيرة العربية لدين المسيح، من أجل كرامة الكنيسة، ومن أجل كرامة اسم المسيح، ومن أجل شهداء نجران الذين ذكرهم القرآن، وأن المحمديين في حاجة إلى بشارة الإنجيل"(٤٧).

ويقول "زويمر" الذي رأس مؤتمر التبشير في القدس عام ١٩٣٥ تحت حماية بريطانيا في خطبته التاريخية التي افتتح بها المؤتمر: "أيها الأخوان الأبطال الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فاحاطتكم عناية الرب... لقد أديتم الأمانة التي نيطت بكم أحسن أداء، إنني أقركم أن الذين دخلوا المسيحية ليسوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يجد من أهله من يعرفه الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يهتم إلا بقوته ولقمة العيش، أو ثالث يبغى الوصول إلى مصلحة شخصية وإن مهمتكم التي ندبتكم لها دول المسيحية في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية وتكريماً لهم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من دينه ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله (٥١) لعنة الله عليه، ويقول: "وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية".

ولا ننسى دور المستشرقين في مساعدة المبشرين والمستعمرين وإمدادهم بالعون الفكري والدراسة اللازمة لهذا الشرق الإسلامي، وقد كان الاستعمار يسير مع التبشير ويشق طريقه بالسلاح والعملاء في العالم الإسلامي(٤٩).

فحينما تحول أحد المثقفين إلى المسيحية في مصر، قبض عليه جمهور غاضب وضربه ضرباً مبرحاً وأجبروا زوجته على هجره واعتبروه معتوهاً، وقامت السلطات البريطانية في مصر أمام ضغط المسلمين بنفيه إلى قبرص محافظة على حياته، وقد أخفقت بريطانيا في هذه المناسبة من اتخاذ موقف قوي لصالح المسيحية عن سياساتهم العامة القاضية بعدم التدخل في الدين الإسلامي الأمر الذي سبب آلاماً للمبشرين الأمريكيين خلال عهد الاحتلال، فمثلاً اشتكت الإرسالية الأمريكية - رفض الحكومة المصرية إغلاق المدارس الحكومية أيام الأحد، ومن تفضيل المسلمين في الجيش والخدمات المدنية الأخرى.

وقد عبر القس ثورنتون Thornton عن قضية المبشرين بطريقة تهكمية قائلاً "لقد غنم مبشروا الإنجيل القليل من المساعدة الرسمية خلال عملهم الروحاني الديني الصافي، ولكن من المؤكد أنهم كانوا يتوقعون أن يحتلوا وهم يعملون داخل مجال نفوذ البريطانيين وسيطرتهم مكاناً متميزاً يساوي على الأقل المكان الذي كان فيه أتباع النبي المزيف"(٥٠).

هكذا المبشرون يحتمون بالاستعمار، كما أنهم يطلقون الألفاظ السيئة على المسلمين وعلى رسول الله ﷺ.

ولما كان هناك ارتباط بين الاستعمار وإرساليات التنصير فقد اعتبر القائمين على التنصير أن مهامهم هي مهام حرب وقتال، ويتضح ذلك من خطاب "جايردنر" في مؤتمر أدنبره للتبشير (التنصير) الدولي المنعقد بالقاهرة في ١٨ يونية ١٩١٠ حيث يقول: "إن مهمتي وفائدتي إذن في هذه الليلة هي البحث في أن أكشف لكم أيها

المثلون لمقاتلي الكنيسة في كل أنحاء الأرض الموقف كما هو اليوم على ضوء الحركات الحديثة أو العصرية في الإسلام [٥١].

دوافع التنصير:

دوافع التنصير نابعة من العداء الذي يشعر به الغرب والكنيسة النصرانية للإسلام بسبب الاعتقاد الراسخ بأن الدين الإسلامي هو العقبة الحقيقية في طريق تقدم حركة التنصير في العالم، وفي سبيل سيطرة أوربا على الشرق الإسلامي فيقول "غلادستون" أحد زعماء "بريطانيا السابقين" ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في آمان [٥٢] وكأنه يعتقد أنه يستطيع أن يمحو القرآن، ويقول منصر آخر: "إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا".

فغاية التنصير هو إفساد المسلمين، وتحطيم عقيدتهم وأخلاقهم ليسهل التغلب عليهم، واستعمار بلادهم، ونشر العقيدة النصرانية وتعاليمها.

فالتنصير يهدف إلى تغريب أبناء الشرق المسلم وإبعادهم عن دينهم وقيمهم وربطهم بأوربا وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية [٥٣].

كما يهدف أيضاً التنصير إلى ما يلي [٥٤]:

١ـ تحويل المسلمين عن دينهم، ولو إلى الإلحاد والكفر.

٢ـ القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين بإضعاف قيمهم.

٣ـ القضاء على وحدة العالم الإسلامي وتفتيت أواصلهم حتى لا يكونوا قوة أمام أهدافهم.

حيث يقول لورانس براون Lawrance Brown: " أن الوحدة الإسلامية، تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات" ذلك لأن التبشير يعمل

على إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها " فوحدة المسلمين أذن في نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم [٥٥].

٤ـ العمل على وقف انتشار الإسلام في بلادهم وتشويه صورة الإسلام في نظر شعوبهم الأوربية بإظهار صورة سيئة لأحوال المسلمين، وظلم المسلمين للمسيحيين في البلاد الإسلامية.

٥ـ معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي حتى أن معظم قادة الغرب النصراني كانوا أعضاء في حركات التبشير، دليل التعاون بين التبشير والاستعمار.

٦ـ خدمة الصهيونية العالمية، وإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لتكون قاعدة حربية لهم وشوكة في قلب العرب.

٧ـ العمل على تحقيق الربح المادي والمكسب التجاري [٥٦] وهذا يأتي من قول بابا روما للصليبيين تشجيعاً لهم" أن الشرق يفيض لبنا وعسلا.

٨ـ خلق مجتمع جديد من المسلمين متمدين بالمدنية الأوربية.

٩ـ تمزيق العالم الإسلامي بالدعوة إلى القومية وإحياء القوميات القديمة كالفرعونية والأشورية والبربرية.

١٠ـ التفتيش عن الصليبية المهزومة طوال قرنين من الزمان [٥٧]

١١ـ محاولة المبشرين إشباع الأطماع الشخصية تحت ستار التبشير.

١٢ـ محاولة المبشرين استغلال الجمعيات التبشيرية للسفر في العالم على حسابها وهم في الحقيقة تجار أو رجال دعوة (اجتماعية أو اقتصادية) لا صلة لها بالتبشير فقد أتخذ كثير منهم التبشير آلة للتجارة والسياسة.

فكثير من المبشرين يسعون وراء أطماع ومغامرات شخصية شوهت اسم النصرانية في الشرق ، فجميع المبشرين يظهرون عداوة شديدة نحو العرب المسلمين وبعداوة ظاهرة نحو أهل الفرق النصرانية المباينة لفرقتهم أيضاً [٥٨] ويقول المستشرق الألماني بيكر Becker : " أن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما أنتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها " فهدف التبشير واضح في هذا الأمر ، وهو تمكين الاستعمار الأوربي المسيحي من السيطرة على العالم الإسلامي [٥٩].

الغزو الفكري وأساليبه

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤها على عقيدة واحدة ومبادئ واحدة فتكون لها وجهة نظر واحدة أي تتمتع بوحدة الفكر.

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعاً ، وتسبق حروب السلاح وتواكبها حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين ويذوب كيانه فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه أو يصبح امتدادا ذليلاً لهم ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بصفات مثل : الشياطين ، السفهاء ، المعوقين ، المرجفين ، أكابر المجرمين ، أئمة الكفر ، الذين في قلوبهم مرض.

أيضاً وصف هذا اللون بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل : زخرف القول ، الغرور ، الجبال ، الفتن ، وقد بين القرآن الكريم أن نتائج غايات هذا اللون

من الحرب هي أخبث وأنكر من آثار السيف والقتل، قال تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وفي مرحلة السيطرة الاستعمارية على بلاد الإسلام اهتم الغرب كثيراً بإحداث الفراغ الفكري واقتلاع الشعوب الإسلامية من جذورها الحضارية بإظهار تهافت كل ما تملكه من مقومات أمام عصر الذرة وغزو الفضاء عما قام به.

ناهيك عن أعمال الغربيين الاستعماريين من تعطيل النشاط الفكري فبقي النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى، فعمل على تنفير الرأي العام من أفكار المفكرين بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار، بل عمل على تنفيره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه[٦٠].

على كل حال نجد أنه مع مرور الزمن توالت على المسلمين الهجمات من أعدائهم ومن أهوائهم فتفرقوا وخروا من السماء فتخطفتهم الطير وهوت بهم الريح، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعي الأكلة إلى قصعتها، وتخلفوا علمياً مثلما ضعفوا سياسياً وحربياً واقتصادياً، وحين شرعوا يفيقون كانت نومتهم قد انستهم تراثهم، فلم يجدوا أمام أعينهم إلا حاضر الغرب العلمي ففتنهم ويهر أبصارهم، وغدا تعليمهم يقوم على ترجمة ما في التعليم الغربي من أفكار ومناهج وتأليف[٦١] وإن كانت الترجمة من أهم أنواع التعليم لمعرفة علوم الأخرين ولكن يجب الأخذ منها بحذر فعلى المسلمين أخذ ما هو نافع وترك ما هو ضار، ولكن بدا علينا التأثر والافتنان بعلوم الغرب فأخذنا ما هو نافع وما هو ضار، وهذا هو عين الغزو الفكري الغربي للمسلمين.

والجدير بالذكر أن بداية الاستعمار البريطاني لمصر وهي فترة تدهور ملحوظ بالنسبة للثقافة والهوية الإسلامية وأيضاً بالنسبة للغة العربية، لذا خشى عبدالله

النديم على اللغة العربية من غزو الكلمات الأجنبية وكتب محذراً من خطورة نقل العلوم بلغات أجنبية أو التدريس بها، وقد ظهر اقتراح التغيير في هذا الموضوع في عهد الاستعمار وذلك عندما ظهر اقتراح بأن تدرس مواد التاريخ والجغرافيا بإحدى اللغتين الأنجليزية أو الفرنسية، وكان ذلك بقرار وقع عليه علي مبارك وزير المعارف آنذاك[٦٢] وكان النديم محقاً في ذلك فقد عمل الاستعمار على الغزو الفكري في مصر خاصة في فترة اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر وما بعدها.

ففي الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمعية الأمريكية الكاثولوكية التاريخية الذي عقد عام ١٩٤١ (الاجتماع السنوي الثاني والعشرين) جاء ما يلي: "إن الغرب ما عاد ينظر إلى الإسلام باعتباره خطراً على الحضارة، فالدول الإسلامية كلها تقريباً تحت السيطرة الغربية" ثم قال: " أن العالم المسيحي ظل يواجه خطر عالم إسلامي معاد لفترة تقرب من ألف سنة تمتد من تاريخ وفاة النبي محمدﷺ عام ٦٣٢ م حتى تاريخ إنهيار أخر هجوم عثماني أمام فينيا عام ١٦٨٣م.

هذا يعني أن نظرة الغرب المسيحي للإسلام يحرص أعداء الإسلام على إبقائها نظرة عدائية، ومع الصحوة الإسلامية المعاصرة ازدادت شراسة أعداء الإسلام، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للمسلمين[٦٣].

عوامل الغزو الثقافي للمجتمعات العربية والإسلامية :

هناك جملة من العوامل التي ساعدت على الغزو الثقافي الغربي للمجتمعات الإسلامية، ولعل من أبرز هذه العوامل ما يلي[٦٤]:

١ـ النضال السياسي والعسكري ضد الاستعمار في العالم الإسلامي ـ لم يواكبه جهاد مماثل من حيث القوة والوضوح والجد والشمول ضد أثار الاستعمار وقواعد نفوذه الثقافية.

٢ـ أن كثير من البدائل الثقافية التي تقررت بعد رحيل الاستعمار كانت متأثرة بأفكار هذا الاستعمار وثقافته بجانب الثقافة الماركسية وما تفرع عنها من أفكار.

٣ـ حصل خلط بين العلوم التجريبية والمسائل الثقافية، فاستقبلت الحياة ومناهج الثقافة ومفهومات الأدب والفن استقبال العلوم التجريبية ترحيباً وتمثيلاً.

٤ـ أن التجديد الثقافي لدى المسلمين اليوم لا يزال يسير ببطء وتثاقل.

٥ـ أن المجتمعات الإسلامية بوغتت وهي متلبسة بأغلال الغزو الثقافي وآثاره بما زاد المشكلة سعة وعمقاً وتعقيداً، فقد بوغتت بتدفق إعلامي ضخم بالغ التأثير.

٦ـ أن الإسلام لا يزال محدود الأثر في نفوس البعض ممن تربوا في زمن الاستعمار، الأمر الذي يجعل الصراع مع الغزو الثقافي يفتقر إلى القوة والتماسك لتحقيق الفاعلية المرجوة منه.

أهداف الغزو الثقافي في العالم الثالث:

يقول أحد المبشرين أن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها هذه البعثات هي التنصير حتى أن الموضوعات الدنيوية التي تعلم فيها كالجغرافيا والتاريخ تحمل معها الآراء النصرانية وقال آخر: " أن العلم أنفع وسيلة يستغلها المبشرون لتنصير المسلمين [٦٥]".

وتأتي هذه الأهداف لتقليص دور الإسلام في المجتمعات العربية والأفريقية تمهيداً للقضاء عليه، ولعل من أهمها[٦٦]:

١ـ أن تظل الشعوب العربية والإسلامية خاضعة لنفوذ القوى الكبرى وتابعة لها تبعية غير منظورة حتى تعيش في وهم الاستقلال بينما هي تعجز عن التخطيط لمستقبلها.

٢ـ الحيلولة بين تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وماضيها وسير الصالحين من إسلافها ليحل محل ذلك تاريخ الدول الكبرى وسير أعلامها.

٣ـ التشكيك في قيمة التراث العربي والإسلامي وتصويره بصورة المتخلف العاجز عن النهوض بالأمة.

٤ـ العمل على تقريب العقل العربي من خلال ثقافة المستعمر.

٥ـ إضعاف المثل الدينية والقيم العليا وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها.

٦ـ العمل على إبقاء المسلمين في حالة تخلف والحيلولة بينهم وبين التمكن من التكنولوجيا الحديثة.

٧ـ إثارة النعرات العرقية باسم إحياء الحضارات القديمة والتراث القومي للشعوب والأمم، ناهيك عن مخططاته المستمرة لمحاربة اللغة العربية وتشويه التاريخ الإسلامي، والنيل من عظمائه في جميع المجالات الفكرية والأدبية والحربية، واستغلال وسائل الإعلام لإرساء القيم الاستهلاكية الغربية في المجتمعات الإسلامية ومحاولة إزالة القدسية عن القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ومن أساليب الغزو الثقافي العدواني ما يلي:

١ـ توظيف السينما والتلفزيون لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

٢ـ توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوه صورة الإسلام ويتسرب بذلك السم إلى عقول المسلمين وليس كتاب آيات شيطانية للشيطان سليمان رشدي أخر سلسلة الكتابات المعادية.

٣ـ تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها للمسلمين عبر أقنية الإعلام على أنها صورة الإسلام.

ولا شك أن هناك من السبل ما يساعد على مواجهة ذلك، ومن هذه السبل نسوق ما يلي[٦٧]:

١ـ مسئولية القادة والعلماء المسلمين بشحذ الهمم الإسلامية.

٢ـ الاتجاه السليم إلى الأجيال المسلمة الجديدة وإيجاد حالة إلتصاق متين بينها وبين الإسلام وقيمه ومبادئه.

٣ـ نشر الوعي الثقافي بما يوجد المسلم المتمتع بالشخصية الإسلامية الحقيقية التي تملك تصوراً شاملاً عن الكون والإنسان والحياة.

٤ـ التعريف بالتاريخ الإسلامي المضيء وقدرة الثقافة الإسلامية على الوقوف في ساحة الحياة وقدرتها على قيادة الأمة والعودة بها إلى مرتبتها العالية.

٥ـ امتلاك الوسائل الإعلامية الحديثة بتقنياتها المقطورة القادرة على التصدي للوسائل الإعلامية المعادية.

أساليب الغزو الفكري :

تتنوع الأساليب التي تستخدم منذ بداية القرن الماضي وحتى الوقت الراهن من أجل الغزو الفكري، ولعل من أبرز تلك الأساليب ما يلي :

أولاً : البعثات التنصيرية :

كثرت هذه البعثات في العالم الإسلامي بصفة عامة وفي العالم العربي بصفة خاصة، وسوف نورد بعض هذه البعثات ودورها الطبي في إنشاء المستشفيات. كأسلوب اتبعته لتحويل المسلمين إلى المسيحية.

١ـ الإرسالية الأمريكية في دول الخليج :

هي إرسالية بروتستانتية ذات أهداف تنصيرية في شبه الجزيرة العربية، قام بتأسيسها الدكتور لانسنج Lansing أستاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت في نيوبرونسك New Brunswick الخاص بتدريب المبشرين التابع لكنيسة الإصلاح الديني بأمريكا، وقد ساعد لانسنج في تأسيس هذه الأرسالية ثلاثة من تلامذته وهم جيمس كانتين وصموئيل زويمر وفيليب فيلبس وكان والد لانسينج يعمل مبشراً في سوريا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وأطلق لانسنج على هذه

الإرسالية اسم الإرسالية العربية عام ١٨٨٩ ، وكانت كنيسة الإصلاح الأمريكية بولاية نيوجرسي هي التي تتولى الإشراف والتمويل لهذه الإرسالية.

أحست الإرسالية بصعوبة المهمة المكلفة بها في الجزيرة العربية التي تُعد من أهم المراكز، حيث أنشأت الإرسالية عدة فروع لها في كل من البصرة والبحرين ، كما أنشأت مكتبة للأب المقدس بالبحرين عام ١٨٩٣ وذلك لوضع البحرين الاستراتيجي والسياسي حيث كانت محمية بريطانية وفرت قدراً من الأمن والأمان للمبشرين في المنطقة (٦٨) ثم أنشأت الإرسالية مركزاً في عمان وفي مسقط.

وفي البحرين عمل زويمر رئيساً لإرسالية التبشير ورغم أن الإرسالية اتخذت من مدينة المنامة عاصمة البحرين مركز رئيسياً لها ، إلا أن مسقط ظلت فرعاً لامتداد نشاط البعثة ،بالإضافة إلى منطقة الكويت ، وفي البحرين لم يحقق زويمر نجاحاً تبشيرياً يُذكر رغم نشاطه الكبير، فقد رفض شيخ البحرين أن يبيع له أرضاً في بلاده على الرغم من تعهد زويمر بألا يضع فيها ناقوساً أو غيره من آثار المسيحية ولا يدعو فيها إلى دينه ، ولكن زويمر تذرع بالإنجليز ، فألح الإنجليز على الشيخ عيسى بن علي فقبل تأسيس مستشفى ومدرسة لتعليم العبيد المحررين ، وفي عام ١٨٩٥ قامت ثورة في البلاد كان لها أثرها الكبير في إعاقة هذا المبشر عن عمله ونشاطه ، مما اضطره إلى الالتجاء إلى القنصلية البريطانية للإحتماء بها وعاد إلى بلاده متأثراً من سوء الطقس وكثرة الأوبئة وغضب الناس (٦٩).

وفي مطلع القرن العشرين أنشأ المبشرون مركزاً لهم في دولة الكويت ، حيث افتتحوا مكتبة لبيع الكتاب المقدس عام ١٩٠٣ ، ولكن الشيخ مبارك حاكم الكويت رفض أن تقوم هذه المكتبة بأي نشاط تبشيري في الكويت ثم أمر بإغلاقها ، ولأهمية الكويت لم ينصرف عنها المبشرين فيقول : "أرنولد ويلسون" : "إن المزايا الاستراتيجية والتجارية لموقعها وقربها من مدخل دجلة والفرات ومالها من صلة وثيقة بمملكة ابن

سعود في وسط الجزيرة العربية ، وكونها تسمح بالعبور إليها بسهولة ، كل هذه الأمور تجعل الكويت ذات أهمية خاصة بالنسبة للمبشرين " لذا ظلت المحاولات حتى حصلت الإرسالية على موافقة الشيخ مبارك بفتح مستشفى عام ١٩١٣ وأعطاها الشيخ قطعة أرض مجاورة لقصره ليقيموا عليها منزلا لهم ، وظلت هذه الإرسالية تباشر نشاطها بالمنطقة إلى وقت قريب.

ولعل أحدث مركز أنشئ للتبشير في هذه المنطقة افتتح في قطر حيث حضر إليها القس "فان بيرسم" في عام ١٩٤٥ لافتتاح مستشفى وبعض المراكز الطبية ، وطلب شيخ قطر ، أن يصنعوا تصميماً لمستشفى سيعهد بإدارتها إليهم وفي ١٩٤٧ أصبح المستشفى جاهزاً للعمل ولكن هذه الخدمات الطبية لم تستمر طويلاً في قطر ففي عام ١٩٥٢ اضطرت الإرسالية أن تتوقف عن نشاطها تماماً حيث عادت المستشفى إلى حكومة قطر.

ويُلاحظ مما سبق أن عمل هذه الإرساليات كان وقت وجود الاستعمار في منطقة الخليج حيث ارتبطت بوجود الجيش البريطاني، وقد أسس عدد كبير من موظفي شركات النفط كنائس على المستوى المحلي، وآخر الكنائس التي أسست في الخليج العربي كانت تلك التي أسسها المهاجرون من الهند وباكستان(٧٠).

وإذا كان للتنصير أهداف عامة على مستوى العالم الإسلامي فله أهدافه الخاصة في شبه الجزيرة العربية خاصة في منطقة الخليج ، وقد تمثلت هذه الأهداف فيما يلي(٧١):

١ـ تحويل أهل الجزيرة العربية عن الإسلام إلى المسيحية ويتضح ذلك من عمل الإرسالية الأمريكية التي تأسست عام ١٨٨٩.

٢ـ إدعاء زويمر أحد مؤسسي الإرسالية السابقة من وجود حق تاريخي للنصرانية في الجزيرة العربية ، ووجوب إعادتها إلى النصرانية كسابق عهدها.

٣ـ الالتفاف حول المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة، وهذا الهدف قد أعلنه كثير من المبشرين في مؤلفاتهم، وذلك لما يراه النصارى من تجمع وحدة المسلمين خاصة أمام الحج فهي سر قوتهم فتثير غيرة النصارى المبشرين.

ويقول الدكتور "يونج" أحد أشرار مؤتمر ادنبرة ١٩١٠ "اعتقد أن الكنيسة ينبغي أن تمسك بالفرصة الحالية لدخول الباب المفتوح للجزيرة العربية وبصفة خاصة يجب أن تحاول إنشاء إرسالية متحدة كبيرة في مكة أو المدينة، ولقد يبدو خيالياً مجرد الحلم بإنشاء إرسالية في مكة أو المدينة ولكن.... يجب القيام بها لبدء العمل في جدة (ميناء مكة) وإن مستشفى مجهز على نحو لائق هناك ستؤدي الكثير لتعليم الحجاج معنى الحب المسيحي" (٧٢)، خيب الله آمالهم وأحلامهم.

وفي العراق لم يكن النشاط التبشيري بصفة عامة بحماس وشدة الحركة التبشيرية في بلاد الشام وذلك لوجود الحكم العثماني المباشر من ناحية، ومن ناحية ثانية ضعف النفوذ السياسي الأجنبي، ومن ناحية ثالثة أن التيارات الفكريه المختلفة التي كانت تموج في الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تصل ضعيفة إلى العراق، في الوقت الذي كان فيه لبنان بالذات منطلق الحركة التبشيرية الأمريكية والأوربية الأخرى.

ومع هذا فإن إرساليات التبشير الأمريكية البروتستانتية مارست نشاطها في العراق ، ودخلت في تنافس مع إرساليات التبشير الفرنسية الكاثولوكية التي بدأ نشاطها في العراق منذ أوائل الحكم العثماني، أما التبشير الأمريكي فقد دخل إلى العراق متأخراً عن فرنسا وإنجلترا، فتاريخ مجيء الإرساليات البروتستانتية تاريخ حديث ويرجع إلى نهاية حكم دواود باشا والى بغداد.

وبعد أن وصل المبشر الأمريكي "جرانت" كان هدفه تحويل نساطرة العراق إلى البروتستانتية، ولكن هوجمت إرساليته في كل من ماردين وديار بكر حيث وجد

روح العداء للأوربيين، فذهب "جرانت" إلى الموصل حيث وجد النساطرة هناك قد تحولوا فعلاً إلى الكاثولوكية، وكان لهم بطريرك مستقر في بغداد، ولهم دير مشهور هو دير الرين هرموز، وسعى جرانت إلى نساطرة الجبال الكردية في بلاد طياري وتكوما الذين لم يتحولوا إلى الكاثولوكية فعمل على تحويلهم إلى المذهب البروتستانتي، فقام بينهم واعظاً وطبيباً يداوي المرضى، وطلب منه قساوسة النساطرة أن يبني لهم مدرسة لتعليم الشعب، وأقام مركزاً تبشيرياً في قرية نسطورية.

وأنزعج نور الله بك - أمير حكاري من ارتفاع بناء المدرسة التي أصبحت كقلعة، وكان انزعاجه أكثر من ثورة النساطرة عليه، فكان لهذا النشاط أثره في أن تورطت المنطقة في صراع طائفي بين الأكراد والنساطرة.

وفي البصرة مارست الإرسالية الأمريكية نشاطها في بداية القرن العشرين، فأسسوا بها مستشفى، كما أسس مستشفى آخر في مدينة العمارة [٧٣].

أما في بلاد الشام فقد بدأ النشاط التبشيري فيها في عام ١٨٢٠ عندما وصلت إلى بيروت أول إرسالية أمريكية، ولكنها اصطدمت ببعض العقبات منها موقف أهالي بيروت المسلمين الذين واجهوا البعثة بالغداء بعد اتضاح صفتهم التبشيرية، كما أن الدولة العثمانية بصفتها صاحبة السيادة الشرعية على البلاد لم تعترف بالبعثة وعارضتها حيث رأت فيها بوادر تسلل استعماري بالإضافة إلى خطرها الديني، كما اصطدمت البعثة بالكاثوليك والأرثوذكس عندما أرادت تحويلهم إلى البروتستانتية، كما صادف البعثة إرساليات أجنبية أخرى.

رغم ذلك تمكنت البعثة من مواصلة نشاطها، وذلك بفضل مبشريها أمثال "أيلي سميث" وفي عام ١٨٥٠ اعترفت تركيا رسمياً بالطائفة البروتستانتية وفتح ذلك مجالاً للعمل أمام البعثة الأمريكية التي مدت نشاطها إلى دمشق وحلب وحمص وحماه وجبل النصيرية [٧٤].

٢- الإرسالية في مصر والسودان:

هاجر إلى مصر كثير من الموارنة بدعوى زائفة مكشوفة وهي طلب الأمان في مصر بلد الحرية والنور، هكذا كانوا يبررون هجرتهم إلى مصر، إلا أن الموارنة خريجي الأديرة والكنائس والمدارس التبشيرية حملوا معهم بذور الفتن وأساليب التنصير في ربوع مصر، وأخذوا يباشرون نشاطهم تحت حماية الاستعمار الأجنبي الذي كان مسيطراً على مرافق الحياة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد هيأ نشاط الموارنة الوجدان المصري للاستعمار الثقافي.

وقام "جورجي زيدان" بتأسيس دار الهلال بمصر وهي مؤسسة تبشيرية خالصة وكذلك أنشأوا مجلة "الكاتب المصري"، وقيل أنها تأسست بأموال صهيونية، أما جريدة الأهرام فتأسست بيد صليبية خالصة وكان من بنود تأسيسها ألا يعمل بها إلا النصارى ولا يقوم بتوزيعها إلا النصارى، وكان من أكبر مؤسسيها "بشارة تقلا" وإخوانه الذين هاجروا إلى مصر عام ١٨٧٣ وكان صاحب دور كبير في تأليب الأنجليز ضد عرابي فالجميع (جورجي زيدان وبشارة تقلا وإخوانه) كانوا يقولون أن الحملة الفرنسية هي بداية عصر النهضة في مصر وأن الخلافة العثمانية تمثل عصر الظلام.

ولما استقر الاستعمار الإنجليزي في مصر لم يغب عن ذهنه الدور التبشيري، وكان من أبرز الشخصيات التي كان لها دور رائد في محاربة الإسلام والمسلمين بمصر هو اللورد "كرومر" المندوب السامي البريطاني.

وكان "كرومر" يتميز بالدهاء والعداء للإسلام ولغته العربية، فعمل منذ أول عهده بمصر على تغريب الحياة الثقافية والسياسية والتعليمية ومناهجها، وقد وضع كرومر مخططه التبشيري والاستعماري معاً في كتابه المعروف: "مصر الحديثة" الذي

ضمنه أهداف الوجود البريطاني في مصر، ومن أهم القضايا التي آثارها في هذا الكتاب ما يلي:

١ـ التركيز على إظهار أن تأخر المسلمين يرجع إلى تمسكهم بالإسلام وأن تعاليمه تتنافي مع المدنية الحديثة والحضارة والعلم.

٢ـ محاولته الدؤوب إرجاع كل مشاكل التخلف الموجودة في العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى تعاليم الإسلام.

وقد امتد نشاط "كرومر" إلى لغة القرآن الكريم حيث نادى بضرورة إلغائها والأخذ باللغة العامية بدلاً من الفصحى في الكتابة والدواوين الحكومية[٧٥].

أما الإرسالية الأمريكية في مصر فقد كانت حتى الاحتلال عام ١٨٨٢ تتمتع باختكار فعلى للعمل التبشيري البروتستانتي في مصر إلا أنها وجدت منافسة خطيرة من جماعات تبشيرية أجنبية أخرى على تحويل المسلمين إلى المسيحية، وأيضاً إرسالية شمال أفريقيا وهي بريطانية وصلت إلى مصر ١٨٩٤، وإرسالية مصر العامة وهي بريطانية أيضاً وصلت إلى مصر عام ١٨٩٨، وجماعة عودة المسيح في اليوم السابع وجماعة الولايات المتحدة الأمريكية وصلت إلى مصر عام ١٨٩٩، وعدد آخر من الطوائف الصغرى المماثلة.

وفي عام ١٩٠٣ تحرك المبشرون الأمريكيون أثر رؤيتهم نتائج حركة التبشير البروتستانتية في مصر، وناشدوا الكنيسة الأبوية في الولايات المتحدة أن ترسل لهم ٢٩٠ مبشراً جديداً، ولكن مالية الكنيسة لم تكن تسمح بنفقات المبشرين الجدد.

وقامت الإرسالية الأمريكية بعد ذلك بتقسيم مصر إلى أربعة أقسام تبشيرية الدلتا ـ مصر الوسطى ـ أسيوط ـ طيبة، ثم قامت بإنشاء مجمع مصر الكنسي (سندوس مصر)[٧٦].

وقد تركز نشاط مدارس الإرسالية الأمريكية في أوقات ازدهارها بمدينة أسيوط حيث أسس هناك عدد كبير من مدارسها ، وقد أثر ذلك على أقباط المدينة الذي رأوا في نشاط الإرسالية محاولة تحويل تلاميذها إلى المذهب البروتستانتي فأثار ذلك بطريرك الأقباط في أسيوط ، فقاوم مدارس الإرسالية ، وكان لذلك أثره في تناقص عدد التلاميذ الملحقين بمدارس الإرسالية ، وحاول القنصل الأمريكي الحد من مقاومة المصريين خاصة الكنيسة القبطية بالعدول عن مقاطعة الإرسالية ذاكراً لهم أن الإرسالية تعمل في خدمة الدين ونشر الأنجيل ولكن محاولاته باءت بالفشل أمام إصرار المصريين على الرفض والمقاطعة(٧٧)، ويتضح ذلك من خطاب "جايردنر" بالتركيز على عاملين هامين في القاهرة هما :

١ـ علم التوحيد والفلسفة التقليدين القديمين اللذين تمثلهما جامعة الأزهر

٢ـ الحركة العصرية التي تمس بقدر كبير أو قليل كل مسلم شاب يتلقى تعليماً على النمط الغربي(٧٨) .

أما في السودان فالرعايا الأجانب المتمتعون بالامتيازات الأجنبية في مصر يسرى عليهم نفس النظام في السودان، وكانت الولايات المتحدة أحدى الدول التي حصلت على الامتيازات الأجنبية هناك، وأنشأت لها قنصلية في الخرطوم تابعة لقنصلية مصر، وكان أبرز نشاط للرعايا الأمريكان هو دورهم التبشيري والتعليمي والذي بدأ بمدينة عطبرة منذ عام ١٨٩٩ بعد أن أتخذت الإرسالية مركزاً لها في الخرطوم وأم درمان ، هذا بجانب الإرسالية البريطانية التبشيرية (٧٩).

وفي بلدة الناصر في السودان، كان اهتمام الأطباء بالتبشير أكثر من اهتمامهم بالتطبيب، فكانوا لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح.

وفي الحبشة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم وفي بلدة الشيخ عثمان في اليمن كان الأطباء لا يبدأون بعلاج المرضى إلا بعد أن يركزوا عليهم، وإذا رفض المريض التنصير وصف له الطبيب المبشر دواء خطأ[٨٠].

٣- الإرساليات التنصيرية في إندونيسيا:

وهناك نموذج آخر للبعثات التنصيرية في العالم الإسلامي وهو الإرساليات التنصيرية التي استهدفت إندونيسيا حيث وضع القائمون على هذه الإرساليات خطة عملهم في مؤتمرهم الذي عقدوه في مدينة (مالانج) الأندونيسية عام ١٩٦٧ حيث قرروا أنه يجب الانتهاء من تنصير جزيرة جاوه التي بها حوالي ٦٥ مليون نسمة خلال ستين عاماً بكل السبل والوسائل، ولو أدى ذلك إلى شراء المسلمين بالمال في ذلك البلد الفقير والإحصاء التالي يوضح مدى الخطر الذي يهدد المسلمين في إندونيسيا.

- إحصائية لعام ١٩٩٠ لمجلس كنائس إندونيسيا لطائفة البروتستانت والتي توضح أنه يوجد في إندونيسيا:

١٥٨١٩ كنيسة بروتستانتية.

٦٩٩٧ قسيس بروتستانتي.

٢٠٢٠٣ منصر (مبشر) متفرغ.

- إحصائية لعام ١٩٩٠ للكنيسة الكاثولوكية في إندونيسيا والتي توضح أنه يوجد في إندونيسيا.

١٠٥٢٠ كنيسة كاثولوكية.

٨٧٣٠ قسيس كاثوليكي.

١٠١١٦ منصر (مبشر) متفرغ.

وتأتي قوة هذه الإرساليات أنها تملك عدداً كبيراً من السفن والطائرات العمودية لمساعدة المنصرين على الانتقال بين المدن والقرى، فأندونيسيا عبارة عن عدد كبير من الجزر يبلغ نحو ٣٠٠٠ جزيرة.

كما أن مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان يسهمون بطريقة مباشرة في أعمال التنمية في إندونيسيا تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمع) وذلك كمدخل للوصول إلى قطاع كبير من السكان، وهناك العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية العاملة في مجال التنصير والتي تحصل على دعم من بعض وكالات الأمم المتحدة، مثل منظمة الصحة العالمية WHO ومنظمة الأغذية العالمية FAO ومنظمة اليونسكو، واليونسيف وغيرها، علماً بأن الدول العربية والإسلامية تسهم في ميزانيات منظمات الأمم المتحدة تلك، ومن تلك المنظمات المستفيدة من دعم الأمم المتحدة هي[(٨١)]:

١ـ مجلس الإرساليات الطبية الكاثولوكية والذي يعمل من خلال الطب والصحة العامة.

٢ـ خدمات الإغاثة الكاثوليكية وهي جزء من المؤتمر الكاثوليكي الأمريكي وهي تعمل من خلال الطب والصحة، وتنمية المجتمع والرعاية الاجتماعية في الجزر الرئيسية بإندونيسيا.

٣ـ جمعية الرحمة الدولية، وتعمل في مجال رعاية الأيتام، والأطفال اللقطاء.

٤ـ المنظمة الكاثوليكية للتنمية.

٤- الإرساليات التنصيرية في أفريقيا:

يقول "جايردنر آن الفارز" سكرتير إرسالية جمعية التبشير الكنسية لشمال أفريقيا: "حتى الحين تبدو شمال نيجريا النقطة الأكثر أهمية... وكيف أنه ضروري وجوب أن يؤدي على الفور بالنظر إلى الربط المتقارب السريع للنيجر الأدنى وهو

سلاند وكالابار بخطوط السكك الحديدية [٨٢] ليس هذا فحسب فإن البعثات التبشيرية التي اضطلعت بمهمة نقل المسيحية الغربية إلى أفريقيا فممتزجة بالمعرفة العلمانية من خلال مدارس التبشير كانت مصدر الثورة الثقافية في أفريقيا [٨٣].

ثانيا : التعليم :

التعليم من أهم وسائل الغزو الفكري لجماعات وإرساليات التبشير في العالم الإسلامي وهو يأتي في المقدمة بالنسبة لاهتمام المبشرين.

لم يعد خافياً على أحد في العالم الإسلامي ما منيت به نظم التربية والتعليم من فشل ذريع وفشلهما انعكاس لفشل السياسة ونظم الحكم في العالم الإسلامي التي تقوم على العلمانية والصليبية والإلحاد تلك المخططات المتغلغلة في بلاد الإسلام. وفي بلاد إسلامية تحرص على إسلامية تعليمها، تحرص مراكز القوى المتعاونة أو المتجاوبة مع الفكر الصليبي على إدخال مادة التربية القومية بديلاً عن مادة الثقافة الإسلامية أو بعض دروس الدين الإسلامي [٨٤].

عملت الإرساليات التبشيرية في المجالات الثقافية في المناطق التي استطاع الأوربيون السيطرة عليها، فقد كانت هذه الإرساليات تقوم بتأسيس المدارس، ولا تقبل فيها إلا الذين يعتنقون الديانة المسيحية وإذا لم يتم لها ذلك اكتفت بتغيير أسماء الذين يريدون الانتساب إليها، فأقبل عليها بعض الناس بسبب الجهل والفقر، وكانت تصنع البرامج التي فيها الدس على الديانة الإسلامية، والتشكيك في عقائدها بصورة تدريجية، كما تجبر الطلاب على الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، ولم يشعر الطلاب بالافتراء والدس نتيجة لصغر سنهم وعدم اكتمال مداركهم، وأما أباؤهم فالجهل يكاد يسيطر عليهم تماماً حتى أنهم لا يعرفون ما يتلقى أبناؤهم وما يتعلمون، ويظنون أن الذهاب إلى الكنيسة لا يؤثر على عقائد الطلاب، ويعتقد الطلاب أن ذهابهم أن هو إلا لعب وتسلية.

ولما لم يكن هناك مدارس أخرى في المناطق الموجود بها الطلاب، حيث سعى المستعمرون لسد هذا الفراغ عن طريق التبشير، ولم يجد الطلاب سواها فكان يذهب لهم الظن أنهم يخدعون المبشرين بذهابهم إلى الكنيسة، وإذا وجدت الإرساليات أنها وصلت إلى ما تصبوا إليه اختارت من الأطفال من تتوسم فيهم تنفيذ أغراضها، وأرسلتهم إلى بلادها يدرسون في مدارس تبشيرية أعدت خاصة لهذه الغاية [٨٥].

ولا أدل على ذلك من رئيس جمهورية السنغال الملقب "سانجور" ومعناها "سان جورج" (القديس جورج) إنه مسيحى، ولكن أبويه وأخوته مسلمون، فقد اختارته البعثة التبشيرية صبيا دون الخامسة من العمر ثم أرسلته إلى مدرسة تبشيرية، وانقطع الصبى عن أهله ونشأ تنشئة مسيحية ثم أرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالي، ثم عاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التى توافق هوى فرنسا، عاد رجلا مسيحيا فرنسيا إلى السنغال ومنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف [٨٦].

إذن فغاية التبشير (التنصير) هي تغيير المعتقدات بواسطة المدارس التي يفتتحونها وتلقين الطلاب أفكاراً خاصة تناسب المستعمرين، وذلك خلال المناهج التي يضعونها والدروس التي يلقونها [٨٧] أن المبشر الأول هو المدرسة حتى يستطيع المبشر أن يتصل بالناس ويدعوهم إلى مذهبه الديني، ولذلك فإنهم اشترطوا أن يكون المعلم في هذه المدارس أجنبياً غير وطني، وإذا دعت الحاجة إلى معلم وطني فليكن مسيحياً متمرنا على التبشير، وأن جميع المدارس الأجنبية تسير على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم ما أمكن حتى الكلية العلمانية أما مدارس اليسوعية والفرير فلا يمكن أن يكون بها معلم مسلم، باستثناء الكلية العلمانية في بيروت بها معلم مسلم واحد، وأما الجامعة الأمريكية في بيروت فكانت قد مالت منذ ١٩٢٥ إلى أن يكون فيها عدد من المدرسين المسلمين أختارتهم من أبناء الأسر المعروفة في

بيروت والقدس ونابلس وحلب وحماه ودمشق، ثم أنها أضربت عن ذلك ومما يؤسف له أن تكون الجامعة الأمريكية إلى اليوم مسرحاً للتبشير [٨٨] .

وقد أنشأت الإرساليات المدارس التي تهدف إلى التنصير، فعلى سبيل المثال في بلاد الشام أنشأت الإرسالية الأمريكية عدد كبير من المدارس والكليات ففي عام ١٩٠٩ كان للأمريكان وحدهم نحو ١٧٤ مدرسة في سوريا وحدها منتشرة في المدن والقرى [٨٩] .

- مدرسة في عينطورة (لبنان) عام ١٨٣٤.

- مدرسة في عبية في لبنان عام ١٨٤٧ لتدريس الرياضيات والطبيعة على المستوى الجامعي.

- أول مدرسة للبنات أسسها البرتستانت الأمريكيون سنة ١٨٥٩ في بلدة عبيه في عام ١٨٧٥ أنشئت مدرسة دينية في بيروت لتعليم البنات وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سوريا في المستقبل.

- تأسست الكلية السورية البروتستانتية (التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٨٦٦.

- أنشأوا كليات أخرى للفنون والطب والتمريض وكلية الصيدلة ١٨٧١ والهندسة والزراعة ، كما أنشأو كلية للتجارة سنة ١٩٠٠ وكلية طب الأسنان سنة ١٩١٠.

ولبس الأساتذة والطلاب الزي الغربي، وقد استغلت هذه الإرساليات الامتيازات الأجنبية التي حمت الرعايا الأجانب الأمريكيين، وأصبحت مبرراً لعمل كافة الإجراءات والتصرفات الغير مشروعة في بلاد الشام.

وفي العراق فقد كان النشاط التعليمي محدود حيث انشأوا مدرسة للبنين سنة ١٦٠٩ في مدينة البصرة وفتحت أبوابها للدراسة عام ١٩١٠ ودخل المدرسة عدد

كبير من الطلاب منهم المسيحيين والمسلمين واليهود والصابئة ولم يستمر نشاطها طويلاً وإنما مارست نشاطها حتى عام ١٩١٤[٩٠].

كما انتشرت دور الحضانة والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي، وهذه المؤسسات يختلف نشاطها قوة وضعفاً حسب المنطقة التي تعمل بها، فعلى سبيل المثال أنشطة المدارس العاملة في دول الخليج مدارس كاثوليك في أبي ظبي، ومدرسة الإرسالية الأمريكية التي كانت تعمل في البحرين[٩١].

الجديربالذكر أن المشجع الأول للإرساليات التبشيرية هم بابوات روما فالتبشير مشروع يا بوي متميز حتى أن النصرانية نفسها ...؟؟؟، وليس أدل على ذلك من تشجيع. غريغوريوس السادس عشر-الذي أصبح بابا عام ١٨٣١-لليسوعيين على المجيء إلى سوريا وأمرهم بالعمل فيها، وكذلك أعطى البابا ليون الثالث عشر اليسوعيين في سوريا عام ١٨٨١ حق منح الشهادات بأنواعها وهكذا أصبحت جامعة القديس يوسف جامعة بابون، أما بيوس الحادي عشر الذي جاء إلى عرش روما عام ١٩٢٢ فقد كان يسمى بابا التبشير[٩٢].

وفي مصر ازدهرت محاولات تعليم الإرسالية الأمريكية نتيجة للقانون والنظام اللذين فرضهما الحكم البريطاني في مصر، فقد زاد عدد المدارس التي تديرها الإرسالية مباشرة خلال الفترة من ١٨٨٣ ـ ١٩١٤ من ١٥ إلى ٢٧ مدرسة وحدث نفس التوسع في المدارس التي تديرها الكنيسة الإنجيلية فزاد عددها من ٥٣ إلى ١٩٦ مدرسة خلال نفس الفترة، وارتفع إجمالي عدد الطلاب من جميع الفئات والأنواع من ٤٥٥٢ إلى ١٥٧٢٧ طالباً وطالبة.

وفي عام ١٩٠ بدأت الكنيسة القبطية حملة لتوسيع تسهيلاتها التعليمية وافتتحت عدد كبير من مدارسها الجديدة بجوار مدارس الإرسالية، وكانت شكوى

الإرسالية ضد الحكومة المصرية أكثر خطورة، وزعمت أن المدارس الحكومية التي بدأت تظهر في أعداد متزايدة كانت ظالمة ومعادية للمسيحية، بسبب تعليمها الإجباري للقرآن واستمرار الدراسة فيها أيام الأحاد وغير ذلك.

وفي عام ١٩١٠ أنشأت الإرسالية مدرسة تجارية أضيفت إلى مدارس الإرسالية للرجال والأولاد في الإسكندرية لتخريج الكتبة والمساعدون على طرق التجارة الحديثة أما الفرع الزراعي فلم يتم أنشاؤه إلا في فترة ما بين الحربين.

وفي عام ١٩٠٧ منح جون روكفلر الكنيسة المشيخية المتحدة مبلغ ١٠٠,٠٠ دولار لاستخدامها في شراء الممتلكات الثابتة في مصر والسودان المصري على أن يخصص الجزء الأكبر من هذه المنحة في تشييد المباني اللازمة لكلية أسيوط(٩٣).

وليس أدل على ما قام به القسيس "دانلوب" المستشار البريطاني لوزارة المعارف الذي حاول جاهداً أن يجرد مناهج التعليم في مصر من سماتها الإسلامية في كثير من المواد الدراسية، فأنشأ عدد كبير من المدارس الإنجليزية تدرس جميع موادها بلغة المستعمر، وكانت هذه المدارس تبدأ نشاطها المدرسي كل يوم بالصلاة في كنيسة المدرسة وأوصى دانلوب أن تكون حصص المواد الشرعية واللغة العربية في المدارس الحكومية في نهاية اليوم الدراسي، بعد أن يكون التلميذ قد أصابه الملل والسآمة والتقت أهداف كرومر ودانلوب في محاولة إبعاد الحياة الثقافية والتعليمية في مصر عن روح الحياة الإسلامية(٩٤).

وللتعليم عند المبشرين غاية واحدة هي تنصير التلاميذ الذين يحضرون إلى المدارس، وقد استغل المبشرون التعليم لأنه أقوى وسائل التبشير خاصة بين الأطفال الصغار، ففي مصر أكثر المبشرين من مدارسهم لينتزعوا المسلمين والأقباط على السواء من مدارس الحكومة فيخرجون التلاميذ من نطاق التعليم الإسلامي إلى مدى التعليم المسيحي(٩٥).

أما في السودان فكان عمل الإرساليات التعليمية أكثر خطراً حيث المجال يسمح بالتبشير في السودان من أي دولة عربية أخرى، فقد انتشرت المدارس في الخرطوم والخرطوم البحرية وأم درمان ، ووادي حلفا، ويلغ جملة تلاميذ هذه المدارس ١٤٠ تلميذا.

وفي عام ١٩٠٩ بلغ جملة مدارس الإرسالية الأمريكية في السودان ست مدارس، أربع مدارس منها للصبيان، ومدرستان للبنات إحداهما خارجية والأخرى داخلية ، وعدد تلاميذ هذه المدارس ٤٨٦ تلميذا وتلميذة.

وتجاه المدارس التبشيرية الأمريكية وغيرها من الإرساليات الأجنبية فإن الحكومة البريطانية قد اتخذت سياسة معينة طبقتها في أعمال المدارس التبشيرية، وعن هذه السياسة يقول كرومر في تقريره عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٦ أتيح للمرسلين أن ينشئوا مدارس لهم في الخرطوم، ولم يرِ هذه المدارس أن يعملوا فيها ما يشاءون من أنواع التعليم الدينية، وقد وضعت القوانين لذلك مثل :

١- يجب على رئيس كل مدرسة من مدارس الإرساليات قبل أن يقبل تلميذاً مسلماً في مدرسته أن يوضح لوالده أو ولي أمره أن المدرسة مسيحية.

٢- يجب أيضاً على رئيس المدرسة أن يحصل على الرضى التام من والد التلميذ مهما كانت جنسيته وديانته قبل تعليمه علوم الدين.

٣- لا يحضر الدروس الدينية إلا التلاميذ الذين وافق آباءهم على الشرط السابق

٤- للحاكم العام أو من ينوب عنه حق تفتيش المدرسة في أي وقت شاء للتحقيق من تنفيذ الشروط السابقة، ومسئولية مدير المدرسةِ مباشرة في المحافظة على تنفيذها[٩٦].

الجدير بالذكر أن هذه الإرساليات التبشيرية عملت على إحلال الفكر العلماني محل الفكر الإسلامي في مناهج التعليم والتي خلت براجها الدينية وتاريخ الإسلام.

وإرثه الثقافي واللغوي في محاولة لطمس هوية الأمة ولقطع صلتها بتراثها وماضيها الإسلامي.

ولا عجب أن خلت مناهج الجامعات أيضاً من علوم الإسلام وامتلأت بمفردات المناهج اللا دينية كعلوم الفلسفات المادية والإلحادية والنظريات الغربية الرافضين للدين الإسلامي وعلومه، والتركيز على التراث والحضارات السابقة للإسلام كما حدث في مصر وتركيا وإندونيسيا وغيرها، والغرض من ذلك هو محاولة القضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي، وأدخل في روع الطلاب أن الحضارة الغربية هي خلاصة الحضارات، وأغفلت الحضارة الإسلامية تماماً كما حشيت مقررات التاريخ بدسائس المستشرقين وسموم المبشرين، فصوروا التاريخ الإسلامي على أنه سلسلة من الصراعات والفتن والدسائس والعنف وأغفلت جوانبه المشرقة، كما أن المناهج العلمية ركزت على عرض التاريخ الأوربي في صورة زاهية مشرقة ومغرية(٩٧).

ثالثاً : الإعلام ووسائله المختلفة :

أسهمت وسائل الإعلام - من صحافة وتليفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون - إسهاماً قوياً في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوباً ومضمونا كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ، وشيعتهما نثراً، وأعمال نزار قباني وزمرته شعرا، وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق (٩٨) وجميعها تدور حول قصص الجنس بل وتعرض في أفلام بالصوت والصورة أداء العملية الجنسية، بل وصورها الشاذة كذلك(٩٩).

إن الإذاعات التبشيرية المنتشرة حول العالم الإسلامي وفي داخله هي أكثر الوسائل الحديثة في الاتصال بالمسلمين، وهناك أجهزة إعلامية متخصصة في إنتاج

البرامج التبشيرية الموجهة إلى المسلمين، ولعل من أهم هذه الأجهزة شركات الإنتاج الإعلامي الموجودة في لبنان وفرنسا وأسبانيا وفي جزيرة سيشل، وبعض هذه الشركات تبث برامجها من راديو عبر العالم من موناكو ومن قبرص، كما أن راديو الفاتيكان يبث برامجه التبشيرية باللغة العربية، ولعل أنشط هذه الشركات الآن راديو مونتو كارلو الذي يبث برامجه التبشيرية بعد الساعة الحادية عشر مساء عادة[١٠٠].

وكان من أخطر الوسائل العصرية التي اعتمد عليها أعداء الإسلام "الصحافة" باعتبارها أكثر انتشاراً، وأبعد تأثيراً، فجاءت الصحف المحلية والأجنبية تبث في أوساط المسلمين قيما غربية نصرانية جديدة، تحفل بضروب الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة، والصور العارية، والقصص الرخيصة، والبحوث والمقالات التي تتناول كثيراً من مقدسات المسلمين بالنقد والتجريح [١٠١].

وقامت الصحافة التبشيرية في المنطقة العربية الإسلامية فقد هاجر إلى مصر كثير من الموارنة اللبنانية بدعوى زائفة ومكشوفة وهي طلب الأمان في مصر، وحملوا معهم بذور الفتن وأساليب التنصير في ربوع مصر، وباشروا نشاطهم تحت حماية الاستعمار الأجنبي، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الأمريكي بيترجران حيث قال: لقد سعت فرنسا إلى زرع فئة من التجار المارونيين الشوام في الإسكندرية ودمياط ورشيد، وكان لهؤلاء بعض الصحف التي أطلق عليها عبدالله النديم صحف الأجراء وكان يسمى ما ينشرونه بالقاذورات، فقام جورجي زيدان بتأسيس دار الهلال بمصر وهي مؤسسة تبشيرية، كما أنشأوا مجلة الكاتب المصري وقيل أنها تأسست بأموال صهيونية[١٠٢].

غير أن أخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون هي مجلة "العالم الإسلامي اليوم" التي أنشائها صموئيل زويمر والتي انتشرت في الشام والعالم العربي والإسلامي انتشاراً واسعاً [١٠٣]، فطابع هذه المجلة تبشيري سافر [١٠٤].

وفى عام ١٨٩٥ ظهرت مجلة الإسلام فى باريس، وقد خلفتها فى عام ١٩٠٦ مجلة العالم الإسلامى التى صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية فى المغرب، وفى عام ١٩١٠ ظهرت مجلة الإسلام الألمانية Der Islam، وفى بطرسبرج بروسيا ظهرت مجلة عالم الإسلام Mir Islama عام ١٩١٢ ولكنها لم تعمر طويلا [١٠٥].

ولعل أخطر ماقام به المستشرقون هو إصدار "دائرة المعارف الإسلامية" بعدة لغات، فعلى الرغم مما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ومغالطات ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنها مرجع لكثير من المسلمين فى دراساتهم، ليس هذا فحسب، فقد استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوى في مصر، والمجمع العلمى العربى فى دمشق، والمجمع العلمى فى بغداد، كما أنهم يعتمدون على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم [١٠٦].

وتخدم اليوم وسائل الإعلام المتعددة في الغرب في تأكيد وتقوية الوضع التقليدي الذي لا يزال ينظر إلى الإسلام إلى حد كبير بمنظار القرون الوسطى، ولعل هذا هو ما دعا السكرتير العام للمجلس الإسلامي الأوربي في شهر يناير ١٩٧٩ إلى التنديد بوسائل الإعلام الغربية لموقفها من الإسلام، ووصفه لهذا الموقف بالإجحاف والافتراء على حقائق الدين وتشويهها، وهذا كله يحدث على الرغم من أن مجلس الفاتيكان قد أشاد في أكتوبر ١٩٦٥ بالحقائق التي جاء بها الإسلام والتي تتعلق بالله وقدرته ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين، وعلى الرغم أيضاً من قول المستشرق الألماني المعاصر "رودي بارت" أن الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر تنحو نحو البحث عن الحقيقة الخالصة ولا تسعى إلى نوايا جانبية غير صافية [١٠٧].

رابعاً : أساليب أخرى للغزو الفكري :

إضافة إلى ما سبق من أساليب للغزو الفكري هناك أيضاً الجمعيات التي قام بتأسيسها المبشرون غايتها التأثير في ثقافة الناشئة من الشباب أو توجيههم إلى قراءة الكتب التي يختارها لهم أساتذتهم والتي فيها الدس والسم أثناء عرض المواضيع سواء كانت أدبية أو تاريخية أو اقتصادية، وقد نشأت جمعيات كثيرة في الوطن العربي من هذا النوع، منها:

١ـ جمعية العلوم والفنون وهي أولي الجمعيات ، وظهرت في بيروت عام ١٨٤٧ على يد الإرسالية التبشيرية الأمريكية وكان من أعضائها بطرس البستاني وناصف اليازجي.

٢ـ الجمعية الشرقية وقد أسستها الإرساليات التبشيرية اليسوعية عام ١٨٥٠ ودعواها أنها وجدت لتنافس الإرساليات الأمريكية البروتستانتية.

٣ـ الجمعية العلمية السورية وقد ظهرت في بيروت عام ١٨٥٠ وقد دخلها البسطاء والمسلمون عندما أعلنت أنها تضم من مختلف الأديان بعد أن أظهر أحد الموارنة الإسلام وسمي نفسه أحمد فارس الشدياق وذلك حتى يقبل المسلمون الانتساب إليه ، وعندما نجحت هذه الجمعية التقت الجمعيتان السابقتان رغم ادعائهما أنهما كانتا متنافستين.

ومن المؤسف حقاً أن توضع هذه الجمعيات في الكتب المدرسية تحت اسم الجمعيات العربية بل في طليعتها وكانت منها الانطلاقة الأولى[١٠٨] .

ويأتي بعد الجمعيات دور المطبوعات في عملية التبشير وتوزيعها بالمجان فهناك عدد كبير من المكتبات المسيحية تقوم بهذه المهمة وهناك المطبوعات التي توزع على البيوت سراً وهي أشبه بالمواعظ الأنجيلية والترانيم اللاهوتية يجدها الشخص أمام بيته في الصباح أو ملصقة على الجدران[١٠٩] .

ومن أبرز أنشطة الإرسالية الأمريكية أيضاً في بلاد الشام نقل مطبعة البعثة من مالطة إلى بيروت في عام ١٨٣٤ وكان الغرض منها نشر الكتب المقدسة والدعاية إلى الإنجيل والمسيح في البلاد العربية، وأول عمل خطير قامت به المطبعة هو ترجمة التوراة إلى لغة عربية سهلة وصحيحة[١١٠].

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت، أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات في القطر المصري وفي أنحاء العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت والتي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله، أما اليسوعيون فقد ركزوا جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١ واستغلوها للأعمال التبشرية[١١١].

وللمبشرين دور أخر في التأليف ولهم مؤلفات قيمة ذات فائدة علمية للباحثين، ولهم مؤلفات تزخر بالطعن في الإسلام وتمتلئ بالأكاذيب التي ليس لها في سوق العلم نصيب[١١٢].

ومن وسائل الإرسالية الأمريكية في أعمالها التبشيرية أيضاً أعمال البر والإحسان، لم يكن المبشرون محسنين بالمعني النبيل الذي نفهمه من هذه الكلمة ، ولكنهم يستغُلون ما بأيديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التبشيرية والاستعمارية، وكانت الإرساليات الكاثوليكية أكثر استخداماً للإحسان في سبيل التبشير ، وقد اهتم باباوات روما بنشر النصرانية بين المسلمين، حتى أن البابا بندكيوس ١٩١٤ ـ ١٩٢٢ عرف باسم بابا الإرساليات، أما البروتستانت فإنهم كانوا لا يرون أن توزع الإرساليات إعانات من مالها هي، وأن كانت أحياناً تقوم بتوزيع الإعانات الواردة إليها من أماكن مختلفة[١١٣].

ويذلك فإن المبشرين استغلوا الأزمات الكبرى التي حلت ببلاد الشام فعقب فتنة عام ١٨٦٠ أرسلت أموالاً أمريكية إلى دانيال بليس لتوزيعها على محتاجي بعض

قرى لبنان ، كما أرسلت أموالاً إلى السفارة الأمريكية التي أعطتها بدورها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت لتوزيعها على محتاجي لبنان وفقرائهم عندما هجمت أسراب من الجراد على بيروت عام ١٩١٥ وأتت على كل أخضر هناك.

ومما لا شك فيه أنه كان للمبشرين الأمريكيين دور في استغلال هذه الأزمات لصالح أهدافهم التبشيرية، إلا أنه من ناحية أخرى كان لها دور كبير في التخفيف من الأزمات ومساعدة المحتاجين[١١٤].

وقد لعبت الترجمة دوراً هاماً في جعل التراث الاستعماري في الأدب واقعاً مؤلماً مزعجاً في المجتمعات الإسلامية، ولا يظن ظان أن "ألف ليلة وليلة" أو "كليلة ودمنة" إنتاج إسلامي، ولكن ذلك عمل هندي فارسي في جاهليتهم، ترجمة أناس مشكوك في حسن نواياهم، فالغرب أراد أن ينشر دعوته الصريحة إلى الإلحاد والفجور، بغية تدمير مجتمعاتنا الإسلامية مثل تفضيل العامية على العربية في الترجمة قياساً على اللغات المحلية في أوربا التي ورثت اللاتينية والجرمانية، وقد فاتهم أن اللغة العربية لغة حية لا تموت، لأن كلام الله نزل بها، هذا بجانب محاولة الاستعمار إكساب المسلمين عادات وتقاليد غربية إلى غير ذلك[١١٥].

يتضح مما سبق أن جميع أعمال الاستشراق والتنصير هدفها الأساسي هو خدمة الاستعمار الغربي من جانب،ومن جانب ،أخر،نشر المسيحية بين الأديان الأخرى خاصة الإسلامية، ومهما أظهروا من إيجابيات في أعمال إرسالياتهم سواء تعليمية أو طبية أو إعلامية أو خلاف ذلك من أساليب هذه الإرساليات التبشيرية، حتى الكشفية من وسائل التبشير عندهم، فقد أرسل الفرنسيون قسيسين إلى المغرب العربي للإشراف على مخيمات الكشافة وقد عقدا مؤتمران قبل عام ١٩٣٨ لمنظمات الشباب المختلفة ومنها: الكشاف والمرشدات (للفتيان والفتيات) وكان البرنامج يدور حول موضوعات: (التوراة ـ كلمة الله ـ الكنيسة ـ جسد المسيح)[١١٦].

هوامش الفصل الثاني

١ـ د.محمودحمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف ١٩٩٧ ص ١٨.

٢ـ د٠ محمد السيد الجليند: الاستشراق ـ قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩٥ ص ١٠.

٣ـ مجلة الأزهر، الجزء الثاني السنة الثالثة والسبعون، ذو الحجة ١٤٢١ هـ ـ مارس ٢٠٠١ م مقال د. عبدالعظيم المصطفي ـ محمدﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٨٢٨.

٤ـ د. أحمد فؤاد محمود: أضواء على الثقافة الإسلامية، أشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠، ص ١٠٢.

٥ـ مجلة الأزهر، الجزء الرابع، السنة الرابعة والسبعون، ربيع الأخر ١٤٢٢، يوليو ٢٠٠١، مقال للدكتور/ عبدالعظيم المطعني، المقال السابق ص ٦٠١.

٦ـ د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٢٨.

٧ـ الوعي الإسلامي، العدد ٤٢٥، محرم ١٤٢٢ هـ، مارس ـ إبريل ٢٠٠١، الخطاب الاستشراقي الجديد.... ومنطق الاستقراء مقال بقلم عطية فتحي الويش ص ٤٤.

٨ـ د٠ احمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي ١٩٨٨، ص ٣١ .

٩ـ د٠ محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ٢٧.

١٠- منار الإسلام، العدد العاشر، شوال ١٤٢٠ هـ، يناير ٢٠٠٠، لقاء بين محمد عبدالشافي القوصي والمستشرق البرتغالي، أرنولد شوبرت، حول ارتباط العربية للقرآن الكريم من أهم أسباب خلودها، ص ٤٢، ٤٣.

١١- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ٢٨.

١٢- د. أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق ص ٦٨٠.

١٣- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١٣ - ١٥.

١٤- د. قاسم السامرائي، ص ٢٣

١٥- الوعي الإسلامي، عدد ٣٩٠ صفر ١٤١٩ هـ/يونيو ١٩٩٨/ موقف برنارد لويس من القرآن الكريم، بقلم سمير أحمد الشريف، ص ٤٥.

١٦- د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام والاستشراق، مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٤، ص ٧، ٨

١٧- د. أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق ص ٨١.

١٨- د. قاسم السامرائي، مرجع سابق ص ٢٣، ٢٤.

١٩- الوعي الإسلامي، العدد ٣٩٠، ص ٤٥ - ٤٧.

٢٠- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١٥، ١٦.

٢١- د. أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق ص ٤٠.

٢٢- د. محمود حمدي زقزوق: مرجع سابق ص ٢٥.

٢٣- • أحمد سمايلوفتش: مرجع سابق ص ٤٩، ٥٠.

٢٤- د• محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١٦ ، ١٨.

٢٥- د• محمود حمدي زقزوق: الأستشراق والخلفية الفكرية، ص ٧٤ ، ٧٥

٢٦- نفسه ، الإسلام والاستشراق، ص ٢٤، ٢٥.

٢٧- أحمد فؤاد محمود، مرجع السابق، ص ١٠٦، ١٠٧.

٢٨ـ د. تاج السر أحمد حران: مرجع سابق ص ٩٣.

٢٩ـ أحمد سمايلوفتش: مرجع سابق ص ٥١.

٣٠ـ د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ٢٢ .

٣١ـ د. أحمد سمايلوفتش: ص ٤٥، ٤٦.

٣٢ـ رجب البنا، الغرب والإسلام، دار المعارف، سنة ١٩٧٧، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٨.

٣٣ـ د. أحمد فؤاد محمود: ص ١٠٨.

٣٤ ـ د. محمد السيد الجليند، ص ٢٤.

٣٥ـ نفسه، فلسفة التنوير، ص ٨٢.

٣٦ـ الأزهر، الجزء ٩، السنة ٧٥، رمضان ١٤٢٣ هـ ـ نوفمبر ٢٠٠٢ ـ التحدي الحضاري بين مفكري الإسلام والمستشرقين، د. محمد إبراهيم الفيومي، ص ١٤١٧، ١٤١٨.

٣٧ـ د. أحمد فؤاد، مرجع سابق ص ١٤٣.

٣٨ ـ د. جميل المصري ، جـ ١ ، مرجع سابق ص ١٣١.

٣٩ ـ د. أحمد فؤاد محمود، مرجع سابق ص ١٤٤.

٤٠ ـ د. قاسم السمرائي، مرجع سابق ص ٥١ ـ ٥٢

٤١ـ محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٧.

٤٢ـ د. على جريشة، مرجع سابق ص ٣٣ .

٤٣ ـ د. محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٨.

٤٤ـ د. محمد السيد الجليند ، الاستشراق والتبشير، مرجع سابق ص ٩٨.

٤٥ـ تاج السر أحمد حران، مرجع سابق ص ٨٦.

٤٦- د. نبيل عبد الحميد سيد أحمد ، النشاط التبشيرى الأمريكى فى البلاد العربية ، حتى عام ١٩٢٣ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع والعشرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٣.

٤٧- د. قاسم السمرائي ، مرجع سابق ص ٥٠.

٤٨- د. محمد السيد الجليند ، الأصولية والحوار مع الآخر ، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ١٠٣ ، انظر د. على جريشة ، ص ٣٢ ، ٣٣

٤٩- محمود شاكر ، المرجع السابق ، مرجع سابق ص ٧٠ ، ٧١.

٥٠- د. لينوار تشامبرز رايت ، ترجمة ، د. فاطمة علم الدين عبدالواحد ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إيزاء مصر ١٨٣٠ ، ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦٠ .

٥١- محمود الشاذلي ، الوثيقة الإسلام الخطر ، نص الخطاب الذي ألقاه ، و. هـ. ت. جايرديز في مؤتمر أدنبره للتبشير (التنصير) الدولي المنعقد بالقاهرة ، عشية السبت ١٨ يونيه ١٩١٠ ، دار نافع للطباعة والنشر ١٩٨٥ ص ١٩ ، النص مترجم لأحدى خطب المؤتمر الذي ضم خطب كثير من المشاركين في المؤتمر مثل جايردنر والدكتور زويمر والدكتور يونج والدكتور طومسون والدكتور كوم دت .أ . الفيرز وغيرهم من أبرز نجوم الشر ، أنظر نفس المصدر ص ٦.

٥٢- تاج السر حران ، مرجع سابق ص ٨٦ .

٥٣ - نفسه ، مرجع سابق ص ٨٦ - ٨٧ .

٥٤- أحمد فؤاد محمود ، مرجع سابق ص ١٤٥.

٥٥ - د. محمد البهي ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، مكتب الصحافة والإعلام ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٥.

٥٦ - د. أحمد فؤاد محمود ، مرجع سابق ص ١٥٤ - ١٤٧

٥٧ـ نفسه، مرجع سابق ص ١٤٨، ١٤٩

٥٨ـ د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٥، ٣٦.

٥٩ـ د. محمد البهي مرجع سابق ص ١٦ ـ ١٧.

٦٠ـ د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١٢٧ ـ ١٣٠.

٦١ـ د. عادل طه يونس، مرجع سابق ص ١١٠.

٦٢ـ المجلس الأعلى للثقافة، بحوث ندوة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة عبدالله النديم، المقامة في الفترة من ٢٧ مايو ١٩٩٥ إلى ٢٩ مايو ١٩٩٥. بحث د. مديحة دوس: العامية المصرية عند عبدالله النديم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٩٦.

٦٣ـ منار الإسلام، العدد الثامن، شعبان ١٤١٩هـ، ديسمبر ١٩٩٨، الغزو الثقافي للمسلمين وسبل مواجهته ـ بقلم عبدالرحمن حمادى، ص ٧٠،.

٦٤ـ مجلة الأزهر، ذو الحجة ١٤٢١، مارس ٢٠٠١، جـ ١٢، أشكلية الهواية الثقافية في المجتمعات النامية، مقال للدكتور ـ محمد عبدالحكيم محمد، ص ١٨٦٨، ١٨٨٣.

٦٥ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٢٧.

٦٦ـ مجلة الأزهر، ذو الحجة ١٤٢١، مارس ٢٠٠١، جـ ١٢، أشكلية الهواية الثقافية في المجتمعات النامية، مقال للدكتور ـ محمد عبدالحكيم محمد، ص ١٨٦٨، ١٨٨٣.

٦٧ـ منار الإسلام، العدد الثامن، شعبان ١٤١٩ هـ، ديسمبر ١٩٩٨ ـ الغزو الثقافي للمسلمين وسبل مواجهته، بقلم عبدالرحمن حمادي، مرجع سابق ص ٧٠، ٧٣.

٦٨ـ د. محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير، مرجع سابق ص ١١٠، ١١٣.
٦٩- د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٥١ ، ٢٥٢
٧٠- د. محمد السيد الجليند ، مرجع سابق ص ١١٣ـ ١١٥
٧١ـ نفسه، مرجع سابق ص ١٠٥ ، ١٠٧.
٧٢ـ محمود الشاذلي، المرجع السابق ص٢٥، ٢٦
٧٣ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥
٧٤ـ نفسه، مرجع سابق ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.
٧٥ـ د. محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير، مرجع سابق ص ١١٨، ١١٩، ١٢٢ ـ ١٢٤.
٧٦ـ د. لينوار تشامبرز رايت، مرجع سابق ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩.
٧٧ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٦٧، ٢٦٨.
٧٨ـ محمود الشاذلي، مرجع سابق ص ٢٣.
٧٩ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٧٣.
٨٠ـ د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٦٢ ، ٦٣
٨١ـ تاج السر أحمد حران، مرجع سابق ص ٨٩، ٩١.
٨٢ـ محمود الشاذلي، مرجع سابق ص ٣٢.
٨٣ـ السياسة الدولية، عدد ٦٣، يناير ١٩٨١، ص ٢٢٦، على مزروعي، تشخيص الواقع الأفريقي.
٨٤ـ د. على جريشة، مرجع سابق ص ٣٦، ٣٧.
٨٥ـ محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٧ ، ٦٨.
٨٦ـ د. مصطفي خالدي، د. عمرفروخ، مرجع سابق ص٣، ٤
٨٧ ـ محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٨.

٨٨ـ د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٧١

٨٩ـ نفسه، مرجع سابق ص ٧٨.

٩٠ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٦.

٩١ـ محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، مرجع سابق ص ١١٧، ١١٨.

٩٢ـ د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٧٧

٩٣ـ د. لينوار تشامبرز رايت، مرجع سابق ص ٢٤٥، ٢٦٧

٩٤ـ محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١٢٤.

٩٥ـ مصطفي الخالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٧٨.

٩٦ـ د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٧٣، ٢٧٤.

٩٧ـ د. تاج السر أحمد حران، ص ٦٥، ٦٦، د. جميل المصرى، مرجع سابق ص ١٤٧، ١٤٨.

٩٨- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١٥٤.

٩٩ـ د. على جريشة، مرجع سابق ص ٣٨.

١٠٠- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١١٧.

١٠١- د. تاج السر أحمد حران، مرجع سابق ص ١٠٢.

١٠٢- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١١٨، ١١٩.

١٠٣- د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٢٦.

١٠٤- ١٠٦- د. محمد البهي، مرجع سابق ص ٣٠.

١٠٥ ـ د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام والاستشراق، مرجع سابق ص ١١.

١٠٦- د. محمد البهي، ص ٣٠.

١٠٧ ـ د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق ص ١٩، ٢٠.

١٠٨- محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٩، ٧٠.

١٠٩- د. محمد السيد الجليند، مرجع سابق ص ١١٧.

١١٠- د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٣٥، ٢٣٦.

١١١-د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٢١٤.

١١٢- د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق، مرجع سابق ص ٦٨.

١١٣- د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ١٩٣، ١٩٥.

١١٤- د. نبيل عبدالحميد سيد أحمد، مرجع سابق ص ٢٤٠.

١١٥- يوسف البدري، مرجع سابق ص ٥٧، ٥٨ .

١١٦- د. مصطفي خالدي، د. عمر فروخ، مرجع سابق ص ٢١٤، ٢١٥.

الفصل الثالث

دور الاستعمار في تشجيع النزعات الجاهلية وإسقاط الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية

- الاستعمار وإحياء النزعات القومية القديمة.
- الاستعمار وإقامة الحدود المصطنعة بين الأقاليم الإسلامية.
- إسقاط الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية.

الاستعمار وإحياء النزعات القومية القديمة

عمل الاستعمار على تفتيت العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة كما عمل على إحياء النزعات القومية القديمة، وذلك لإضعاف القوى الإسلامية، بل وتطاحنها بعضها البعض نتيجة لإثارة الاستعمار الفتن والأحقاد بين المسلمين.

والقومية مشتقة من قوم، وكلمة قوم يقصد بها الجماعة الواحدة التي ترتبط مع بعضها بالأفكار والعقيدة، وليست كما تستعمل اليوم ويقصد بها التبعية إلى جنس واحد، والقرآن الكريم يوضح أن كلمة قوم ما قصد بها إلا الجماعة الواحدة التي تحمل فكرة واحدة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، ففي الجنس الواحد المؤمن والكافر، ففرعون رأس الكفر كانت امرأته مؤمنة: ويقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١). ولكن فكرة القومية عرضت علينا وترجمت لنا بمعنى الجنس، فأخذناها على علاتها وقبلناها دون تفكير[١].

وتترك القومية لكل إنسان حق عبادة الإله الذي يؤمن به، في حرية تامة، وبذلك تنصهر العناصر والعصبيات في بوتقة القومية وتعيش الأديان والمعتقدات جنباً إلى جنب دون صراع، إن هذا هو ما نلمسه الآن في مختلف أرجاء العالم، فالحرية الدينية والقومية شيئان متكاملان[٢].

ويبدو مما سبق أن مبدأ القومية يستهدف العنصرية، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس، والترك والهنود، وهم جميعاً مسلمون [٣]، ولقد أحيا الغرب البغيض فقرات الطائفية، ببعث ما يسمى بالقوميات، وكانت قد قسمت بلاد

المسلمين إلى أقسام فدعت في تركيا إلى قيام الجامعة الطورانية، بعد أن ألف أحد المستشرقين كتاباً عن بطولات مزعومة لهولاكو وجنكيز خان، وتيمورلنك، وبثوا في روع أعضاء جماعة الاتحاد والترقي أنهم عظماء بماضيهم الجاهل، وتم لأعداء الإسلام ما أرادوا حيث نشأت فكرة الجامعة الطورانية.

ثم دعوا إلى قيام القومية العربية، على أنها قومية تضم العربي المسلم والنصراني واليهودي في مواجهة أي جنس، فارسياً كان أو هندياً أو تركياً ولو كان مسلماً[٤].

وكرد فعل للاحتلال العثماني والاضطهاد التركي نشأت نزعات أقليمية، ثم قوي نفوذها نتيجة لنفوذ بعثات التبشير الغربية الاستعمارية في البداية، ولنفوذ الاستعمار الفرنسي والإنجليزي المباشر في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

والجدير بالذكر أن هذه النزعات القومية في المشرق العربي لم يكن لها قوة ونفوذ كبير، وخاصة في الميدان الفكري والمجال الايديولوجي للحركة القومية العربية، لأن الكيانات السياسية الضعيفة للولايات العربية العثمانية ما كان لها أن تملك صلاحيات البقاء والاستقرار والنمو والتطور الاقتصادي والاجتماعي، ومن خلال ذلك نبع الضعف الذي كانت عليه دعوات ونزعات إقليمية مثل (الفينيقية) التي ظهرت في لبنان، والتي كانت أثراً من آثار الدعايات الاستعمارية المسمومة، التي أرادت أن توهم اللبنانيين أنهم ليسوا عربا، وإنما هم من أصل الفينيقيين الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتي العرب إلى هذه البلاد، وهم خليطاً من أبناء الفينيقيين وأبناء الإمارات الصليبية[٥].

والاستعمار يريد من نشر هذه النزعات الضيقة أن يجعل المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته، وأن يربطه بالماضي التاريخي الغامض البعيد، السابق على الماضي الإسلامي، الذي يجد فيه المسلم أسس قوته ومجده، ودعائم نهضته، فالاستعمار لا

يريد للمسلمين ذلك، وإنما يريد إبعادهم من ذلك الماضي بالدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة، حتى تحل محل الأخوة الإسلامية، ومن ثم أراد الغرب تلفيق دعوة وهمية لكل قطر إسلامي، فمصر أراد لها "الفرعونية" التى تقوم على إحياء ما قبل الإسلام من لغة وأدب وتراث فرعونى، والاعتزاز بتاريخ مصر القديم(٦).

إن هذا البعد كان انعكاسا لإحساس المصريين بذاتهم وتاريخهم وهو تيار علمانى سلك في مجراه المسلمين والاقباط معاً، وتبدو فيه بوضوح مؤثرات الحضارة الغربية منذ أوائل القرن التاسع عشر حين انفتحوا لأول مرة على مصادر أخرى للمعرفة والتنوير غير المصدر الديني الإسلامي الذي ساد طيلة القرون السابقة.

لقد سمع المصريون لأول مرة نغمة لم يألفوها من قبل حين وجه إليهم "بونابرت" أول منشور مطبوع بالعربية في بداية حملته على مصر خاطبهم فيه كأمة قائمة بذاتها ومتميزة عن حكامها الأجانب الذين ينعمون دونهم بخيرات بلادهم الجميلة، ثم قويت هذه النغمة طوال القرن التاسع عشر بفضل البعثات التعليمية والاكتشافات التاريخية والصراع في مراكز الجيش والإدارة والمجتمع.

وأصبح تيار القومية المصرية ذات البعد الفرعوني يواكب نهضة مصر الحديثة في كل الميادين سواء في مجال الكفاح السياسي أو البناء الاقتصادي أو في الثقافة والفن والتعليم، ولذلك اصطبغت كل الحياة السياسية والفكرية والوطنية بهذه الصبغة المصرية الخالصة ابتداء من الثورات إلى برامج الأحزاب إلى ثمار قرائح المفكرين(٧).

ومقومات الهند بوصفها أمة أقل من العرب، لها وحدة ثقافية مماثلة، وماض مشترك، ولكن يوجد في الهند أنواع أكبر من التوتر بالنسبة للجنس والدين، وانقسامات طائفية أكثر حدة، كما أنها تفتقر إلى لغة مشتركة وإلى الغيرة بين اللغات المكتوبة التي أصبحت وسيلة للأماني الثقافية.

وقد توثقت الهند بأوربا في نفس الوقت الذي حدث فيه ذلك بالنسبة لمصر تقريباً، ولكنها كانت تفتقر إلى ما لمصر من طابع الدولة الموحدة، وكانت الهند منقسمة بعمق إلى عدد كبير من الولايات والأديان والطوائف المتنازعة تعيش حياة مستقلة ومنفصلة[٨].

واستطاع "أكبر بن همايون" أن يوحد كل هذه الولايات الهندية خلال فترة حكمه التي امتدت نصف قرن من الزمان (١٥٥٦ ـ ١٦٠٥)، إلا أنه لو استبدل مذهبه الإلهي بفكرة القومية لكان أجدى وما كان يتعرض لاتهامه بالخروج عن الدين الإسلامي.

أيضا أليس من العسير أن يتصدى سيد أحمد خان بالطائفية الإسلامية النظرية القومية الهندية الديمقراطية؟ إنها حقا لصعوبة بالغة أن يتصدى لمبدأ الديمقراطية الذى كان ينادى به الهندوس.

أنه لم ينكر على الديمقراطية سموها وإنما أنكر على الهندوس استخدام الديمقراطية للسيطرة والتحكم في المسلمين، وأن الديمقراطية على الطريقة الهندوسية كفيلة بأن تمحو الهوية الإسلامية لمسلمي الهند[٩].

وكان للاستعمار أثره في ظهور هذه القوميات والأفكار وعدائها فيما بينها، فأدت (الغاندية) إلى إحياء قومية هندوسية مركزة على نفسها، تختلف عن وطنية (رام روهن روي) وكان القوميون الهنود يبجلون غاندي، وأدى إحياء الهندوسية إلى شعور مرير ضد المسلمين[١٠].

وقد لفق المبشرون وأشياعهم في ظل الاستعمار لكل بلد إسلامي قومية محلية من أجل تخريب العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله، فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر والفينيقية في ساحل الشام، والأشورية في العراق، والبربرية في المغرب. ولما أخفقت هذه الدعوات الأقليمية الضيقة كان البديل هو التمسح بشعار العروبة ورفع

لوائها، برغم ما في هذا من مجافاة للحقائق المعروفة، فالإسلام هو الأعم والأشمل، وهو القوة الكبرى التي تظلل العروبة وتستطيع أن تحميها[١١].

والسؤال، هل القومية تخص العالم الإسلامي الذي وقع تحت الاستعمار والذي بالتالي عمل على خلقها لتفتيت وحدته دون غيره من الدول الأخرى في العالم؟ والواقع أن القومية في كل أنحاء العالم، إسلامي وغير إسلامي، ولكنها أيضاً تظهر نتيجة خلافات بين دولة قوية وأخرى أقل، أو بين جزء من أفراد دولة والنظام الحاكم، ويشرح ذلك "هانز كوهين": بأن القوميين الألمان والمجريين في القرن التاسع عشر احتجوا ضد منح السلافيين والرومانيين مساواة تامة في مملكة هابسبرج، وكانوا يعتبرون هذه الشعوب متخلفة ولا تستطيع أن تحكم نفسها، وكانوا يرون أنه يجب تعليمهم من خلال قيادة وأشكال موزونة من التمثيل، لمدة طويلة قبل أن يصلوا إلى مرحلة النضج، وكان موقف البريطانيين إزاء الأيرلنديين مماثلاً، وكذلك موقف البولنديين إزاء الأوكرانيين[١٢]. إذن فالقومية في كل مكان من العالم، رسمتها الدول الاستعمارية لتشغل المجتمعات وتضعفها.

فالمصالح تختلف وتتنازع من منطقة إلى منطقة، وستكون بعض الحدود الأفريقية محل نزاع حام بين الدول الأفريقية، كما كان هناك نزاعات طويلة ومريرة على الحدود بين الدول الأوربية، ودول أمريكا اللاتينية[١٣]، ويقول هانز، ومن بين الأمم الخمس الآسيوية والأفريقية التي قامت بنصيب قيادي في إيقاظ القومية في الأعوام المائة الأخيرة في القارتين - مصر والهند واليابان وتركيا والصين - واتجهت الأخيرة فقط إلى الشيوعية شكلا لثورتها القومية، وقد تأثروا جميعا بالغرب الحديث بطرق مختلفة، وقد اختلفت استجابتهم له وفقاً لتاريخهم وبنائهم الاجتماعي، كما فعلت شعوب أوربا[١٤]، والواقع أن التأثر بالغرب ليس بطريق الصدفة أو رغبة من هذه الشعوب، وإنما هو الخط الذى رسمه الاستعمار ليرتبط به أولا ويشغله بها ثانياً.

أن تشجيع الاستعمار للنزعات القومية والعنصرية في العالم الإسلامي كان له أثره الكبير في تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة ومناطق نفوذ، فمما سبق يتضح مدى ما قام به الاستعمار في هذا المضمار، فالهند على سبيل المثال أصبحت أكثر من دولة فخرجت منها باكستان وبنجلاديش.

وهكذا بدأت فكرة الانفصال بين المسلمين والهنادكة، وغذاها المفكرون الإنجليز منذ البداية لتخدم أغراضهم، ولكن المسلمون واجهوا الاحتلال الإنجليزي بإرادة صلبة، ورفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية[١٥].

وفي بلاد القفقاس وهي بلاد إسلامية، أخذت روسيا بالتوسع في هذه البلاد بعد ضعف الدولة العثمانية والفارسية، فضمتها بالتدريج بعد جهد مرير من أهلها، وقد قسمها الشيوعيون إلى أربعة عشر قسماً من أجل إمكانية السيطرة عليها[١٦] وغير ذلك كثير من أعمال الاستعمار في تقسيم العالم الإسلامي لإضعافه.

أما في العالم العربي الذي كان ولايات تابعة للدولة العثمانية الضعيفة في ذلك الوقت حتى أطلق عليها الأوربيون (الرجل المريض)، عمل الاستعمار على تقسيم هذه الولايات فيما بينه، ففي مصر كان بها سياسي (غير مصري) ولكن للأسف كانت ثقة الخديو فيه بلا حدود هو (نوبار باشا) كان يحث دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا على احتلال الإنجليز لمصر، وكان قد عرضها أيضاً على بسمارك الذي كان يرى أن الدول الأوربية يجب أن لا تحارب بعضها البعض من أجل اقتسام ولايات الدولة العثمانية، وإنما عليها أن تقسمها على مائدة المفاوضات، وفعلاً عقد المؤتمر، وأصدر مجموعة من القرارات أدت إلى أن تفقد الدولة العثمانية معظم البلقان، أما فيما يتعلق بالبلاد العربية فقد اكتشفت فرنسا أن إنجلترا قد اقتنصت سراً قبرص من الدولة العثمانية ولكي تهدئ إنجلترا من ثورة فرنسا وجهتها إلى تونس ولما كانت إيطاليا تطمع في تونس وجهتها إلى طرابلس.

وفي عام ١٩١٣ عقد المؤتمر العربي الأول في باريس ليتدارسوا موقف وزارة محمود شوكت التي تألفت في نفس العام ولم تضم أي وزير عربي بل ضمت ثلاثة من الوزراء اليهود ، ومن جانب آخر كان من أهداف المؤتمر حماية العرب من التتريك ومن المخططات الأوربية بشأن اقتسام ولايات الدولة العثمانية ، ولقد كانت هناك فعلاً مشروعات لاقتسامها ومن ذلك مشروع طرح خلال المباحثات بين الإنجليز والألمان بشان خط حديد بغداد على النحو الآتي :

-أن تحصل روسيا على أرمينيا وما حولها.

- أن تحصل فرنسا على الولايات السورية.

- أن تحصل بريطانيا على أجزاء من آسيا الصغرى والعراق.

-أن تحصل ألمانيا على بقية آسيا الصغرى.

وكان العرب خارج الدولة العثمانية أكثر اطلاعا على تلك النيات التي كانت لدى الدول الكبرى ، وفعلاً عقد المؤتمر في باريس وتعرضوا للموضوعات التالية : -

- التضامن الإسلامي المسيحي.

- الولاء التام للرابطة العثمانية.

- المحافظة على حقوق العرب القومية وعلى اللغة العربية.

- نبذ التدخل الأجنبي وخاصة فرنسا في سوريا.

وقاومت الدولة العثمانية المؤتمر فجمعت عدداً من كبار أعيان العرب وجعلتهم يشنون حملة شعواء على المؤتمر وأعضائه ، ولكن تبين أنهم أضعف من أن يقوضوه واضطر الأتراك إلى تغيير سياستهم إلى التفاهم مع أعضاء المؤتمر واتفق الطرفان العرب والترك على ما يلي :

- أن تكون اللغة العربية لغة المدارس في الولايات العربية مع استمرار اللغة التركية لغة البلاد الرسمية.

ـ أن يتولى ثلاثة من العرب المناصب الوزارية وأن تسند بعض المناصب العليا إلى موظفين عرب.

ـ إعطاء صلاحيات واسعة للمجالس المحلية في الولايات العربية.

ـ أن يظل الضباط العرب والجنود العرب في ولاياتهم خلال فترات السلم.

ولكن هذا الوفاق العربى التركي لم يلبث أن تدهور [١٧].

في فبراير عام ١٩١٥ شرعت إنجلترا تفاوض كلاً من فرنسا وروسيا القيصرية وإيطاليا، لاقتسام تركه الإمبراطورية العثمانية، وتوزيع الأسلاب والغنائم، وعقد الاتفاقيات التي توضع موضع التطبيق بعد أن تضع الحرب العالمية أوزارها، وفي مدينة "سان جان دي مورين" عقد مؤتمر ضم هذه الدول الاستعمارية الأربع دام من ١٩ فبراير إلى ٤ مارس وانتهى بالاتفاق على مخطط استعماري لتقسيم الإمبراطورية العثمانية بينهم.

واتفق على أن يكون لإيطاليا: الأناضول وأزمير وقونية وأطنة ،وأن تأخذ روسيا القيصرية أرمينيا وجزءاً من الأناضول، وأن تستأثر فرنسا بسوريا، وأن تحصل إنجلترا على فلسطين والجزيرة العربية والعراق.

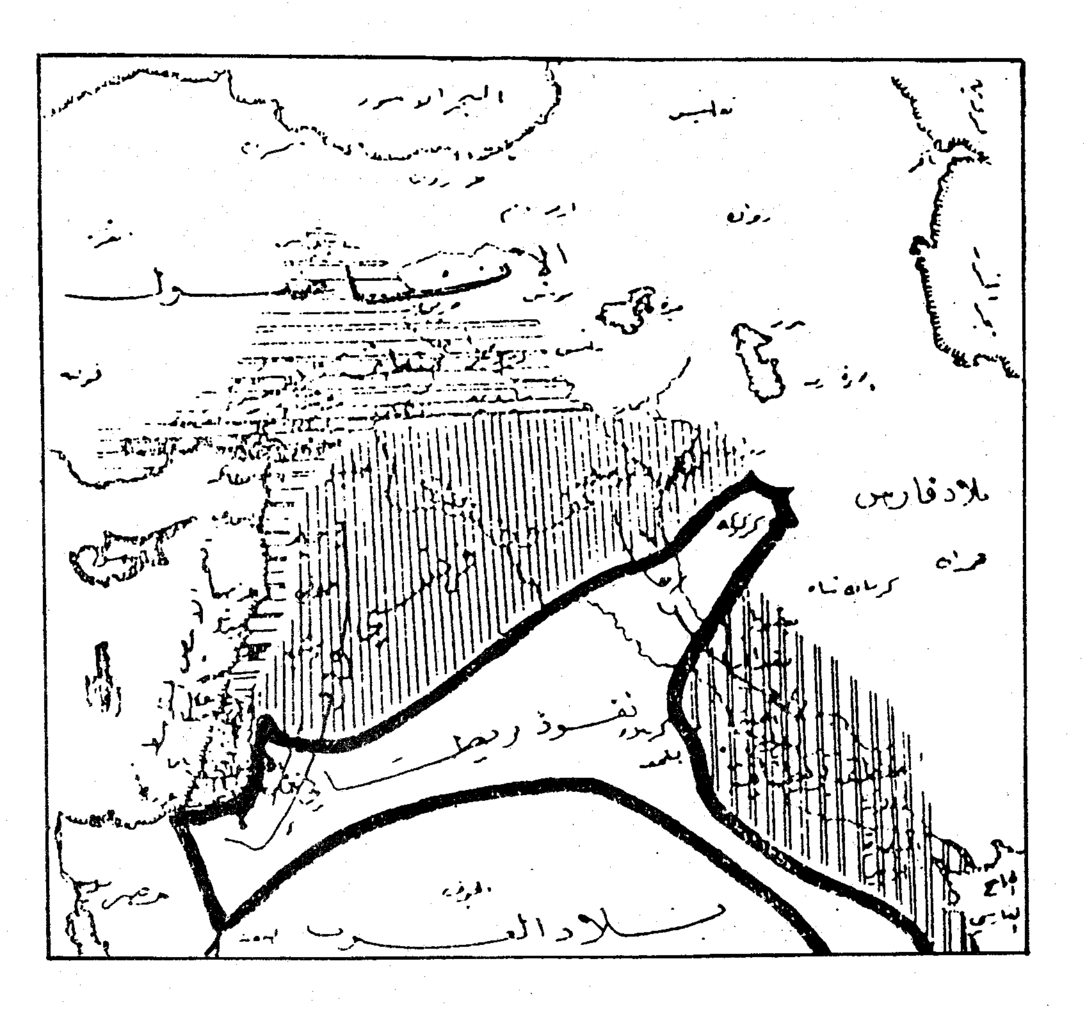
وهذا الاتفاق الذي تمخض من هذا المؤتمر الاستعماري هو الذي عدل فيما بعد، في تطور العلاقات والمفاوضات بين إنجلترا وفرنسا، ووصل إلى ما يسمى معاهدة "سايكس ـ بيكو" التي عقدت في مايو ١٩١٦ لأقتسام المنطقة العربية بين هاتين الدولتين الاستعماريتين بالذات •

وفي هذه الاتفاقية، التي تم الاتفاق على بنودها ونصوصها في نفس الوقت الذي كانت تتم فيه مراسلات (حسين ـ مكماهون) تحددت أهداف الاستعمار، ورسمت حدود الأسلاب والغنائم ومناطق النفوذ والاحتلال، فلقد صورت كل ذلك تلك الخريطة التي وضعتها للعالم العربي [١٨] وكانت هذه البداية التي يمكن تسميتها باسم

الغدر، إذ أن بريطانيا تعهدت في هذه المراسلات بالاعتراف باستقلال البلاد العربية، وقيام حكومة فيها، وبمساعدتها لهذه الحكومة، والأساس الذي بنى عليه الشريف حسين أمر إعلانه الثورة العربية على الأتراك. وقيامه بتجنيد العرب ووضعهم في خدمة الحلفاء، ويظهر الغدر واضحاً في إسراع بريطانيا إلى عقد اتفاقية مع فرنسا عمدت بها إلى تقسيم العالم العربي فيما بينهما إلى مناطق نفوذ لكل منهما، في الاتفاقية المعروفة باسم (سايكس- بيكو) كما أسلفنا.

وإذا كانت المادة الأولى من هذه الاتفاقية قد أظهرت استعداد كل من فرنسا وإنجلترا للاعتراف بالدول العربية المستقلة، إلا أنهما حددتا داخلية سوريا (المنطقة أ) وداخلية العراق (المنطقة ب) واحتفظت بريطانيا لنفسها في منطقتها، وكذلك فرنسا في منطقتها الأخرى، بالأولوية في المشروعات والقروض المحلية، بل وانفراد كل منهما في منطقته بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب الذين سيخدمون فيها، وكان هذا التقسيم يتعارض تماماً مع المبادئ التي وافقت بريطانيا عليها مع الشريف حسين[١٩].

أما المنطقة الساحلية السورية واللبنانية فتحتلها فرنسا ويكون الحكم فيها حكما مباشرا، وأن تفعل إنجلترا نفس الشيء فى العراق الجنوبى- بغداد والبصرة، وأما فلسطين فقد أقرت الاتفاقية إقامة إدارة دولية لها بإشراف الدولتين الاستعماريتين، هذا بجانب مينائي حيفا وعكا لبريطانيا، وامتيازات في ميناء الاسكندرونة، ولفرنسا ميناء الاسكندرونة وامتيازات في ميناءى حيفا وعكاء[٢٠].



اتفاقية سايكس - بيكو

وبذلك دعمت اتفاقية سايكس - بيكو المصالح الاستعمارية البريطانية الفرنسية المشتركة في سوريا ، واتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية في المادة العاشرة من الاتفاقية على إلا تمتلكا أو تسمحا لدولة ثالثة بتملك أقاليم من شبه جزيرة العرب أو بإنشاء قاعدة بحرية فيها ، كما رأت بريطانيا ألا تطلع فرنسا على شروط اتفاقيتها مع الشريف حسين وأخفت عنها ذلك[٢١].

وهكذا عرف الإنجليز كيف يسيطرون على البلاد العربية دون أن يظهروا هذه النوايا إلا في حدود معينة ، وعندما استولوا على بيت المقدس اسندوا بعض المناصب العليا المباشرة إلى الصهيونيين كخطوة لتنفيذ تصريح بلفور الذي صدر في عام ١٩١٧[٢٢].

وبذلك انتزع المستعمرون أقساماً من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين ، فبالإضافة إلى فلسطين هناك أيضاً إريتريا والصومال وقبرص ولبنان وكثير من الأقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية.

الاستعمار وإقامة الحدود المصطنعة بين الأقاليم الإسلامية

عمل الاستعمار على وضع حدود جغرافية مصطنعة وترك ما يعرف بالمناطق المحايدة لضمان استمرار المشاكل بين الدول الإسلامية، وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين التعاون فيم بينهم والأمثلة على ذلك كثيرة، الصومال مع جيرانه والعراق وإيران، سوريا وتركيا، مصر وليبيا، السودان وجيرانها التسع، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، وإندونيسيا وماليزيا، الهند وباكستان ثم بتجلاديش والهند، كشمير، واليمن الشمالي والجنوبي وعمان، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية، لا يحلها إلا الإسلام الذي أقصى من الساحة.

يقول وزير المستعمرات البريطاني عام ١٩٣٨ : "إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه.... إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك.

هذا وتتصف معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد والفكر وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لأطماع المعسكر الشرقي والغرب على حد سواء، كما اتصفت بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي تواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وأفريقيا والهندوسية في الهند والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان[٢٣].

ولم يخرج المستعمر من بلد إلا وخلف وراءه مشاكل معقدة تتعلق الاختلاف على الحدود بين الدول الإسلامية تتصارع عليها وتتقاتل من أجلها، وخاصة في المناطق التي تكون لها أهميتها الاقتصادية أو الاستراتيجية، وهذا ما حدث بين

المغرب والجزائر من خلاف على بقعة من الأرض تعتبر ذات أهمية بالنسبة إلى الثروة المعدنية، وهذا ما تعانيه بلاد إسلامية عديدة تجاور بعضها كما سبقت الإشارة(٢٤).

والواقع إنه لم تنكمش فكرة العالم الإسلامي من النفوس إلا عندما تفسخ العالم الإسلامي، ودخل الاستعمار المناطق التي ينتشر فيها الإسلام، وبدأ في تقسيم العالم الإسلامي إلى وحدات سياسية متنافرة، واصطنع بينها الحواجز والحدود، ومنع انتقال المسلمين من وحدة إلى أخرى وعمل على نشر اللغات والثقافات الأجنبية والأفكار الدخيلة على الفكر الإسلامي بين سكان البلد الواحد، حتى أصبح الناس غرباء عن دينهم وعن قيمهم وتقاليدهم العريقة المستمدة من هذا الدين الحنيف(٢٥).

والجدير بالذكر أن الحدود والحواجز التي اصطنعها الاستعمار في العالم الإسلامي أدت إلى خلق المشكلات بين الدول الإسلامية، ومن أعنف هذه المشكلات التي خلفها الاستعمار في القارة الأفريقية، فهي في معظمها خطوط مستقيمة تتمشى مع خطوط الطول والعرض وكان ذلك نتيجة التنافس الاستعماري وترتب على ذلك نتائج خطيرة فهناك مثلاً قبائل أفريقية رعوية لا زالت تحترف الرعي ولا تستطيع أن تدرك معنى الحدود السياسية التي تعرقل أو تمنع ارتياد قطعانها للمراعي، والظاهرة التي تلفت النظر هي أن القارة تعتبر من أطول القارات من حيث الحدود السياسية بالنسبة لمساحتها، فالأقسام الحالية في القارة تمثل التوسع السياسي لكل قوة استعمارية في حدود التوازن بين مجموع هذه القوى، ولذلك لا تمثل هذه الوحدات أوطانا أو أمما حقيقية بل مجرد رقع تثير النعرات العنصرية والخلافات المحلية والإقليمية، ووصل الأمر إلى حد الاشتباك المسلح، واستعان كل فريق بإحدى الكتلتين فأخذت مخالب الاستعمار الجديد تنشب أظافرها في لحوم الشعوب الأفريقية(٢٦).

ولم يفطن الكثيرون إلى أن الاستعمار العسكري حين رحل عن بلاد المسلمين لم يتركها بغير نفوذ ، بل أنه أوجد وراءه من كانوا أشد منه على الشعوب ظلماً وعتواً، وأخيراً فقد بعدت الأنظمة الحاكمة من جوهر النظام السياسي الإسلامي كما أراده رب العالمين في كتابه وسنة رسوله، معلنين ذلك صراحة، أو مخفين ذلك وراء شعارات الإيمان والإسلام ليتأكد فيهم قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: ٨، ٩)[٢٧].

وقد خلف الاستعمار وراءه كثيراً من المشكلات الحدودية في الوطن العربي على سبيل المثال ، فهناك مشكلة الحدود بين مصر وليبيا والخاصة بواحة جغبوب، ومشكلة شط العرب بين العراق وإيران، ومشكلة الصحراء المغربية بين المغرب والجزائر.

وفي الهند الحدود الإمبراطورية للهند البريطانية لم تتغير بإقامة الدولتين صاحبتي السيادة الهند وباكستان، وعلى العكس تفاقم النزاع الخاص بالممرات في المقاطعة الشمالية الشرقية في الهند البريطانية سابقاً عندما واجهت أفغانستان وباكستان، أصبح مركز دول الهيمالايا ، نيبال وبوتان وسيكيم وكشمير التي تفصل الهند عن الصين والتبت مصدر إزعاج أشد للهند مما كان لبريطانيا، وبعد عام ١٩٤٥ ارتبطت مشاكل الدول الجديدة بالتوتر الذي يزيد بسرعة بين الغرب بزعامة الولايات المتحدة وبين الكتلة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي[٢٨].

إسقاط الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية

اتسعت رقعة الدولة العثمانية في أوج قوتها حتى شملت جانباً كبيراً في قارات آسيا وأوربا وأفريقيا، ولقد قدم المسلمون من الأتراك للنصارى في أوربا أمثلة صادقة حية، تمثل سماحة الإسلام وعظمة المسلمين، لهذا أقبل الكثيرون منهم على الدخول في الإسلام، وأعتزوا به وصار منهم كبار القادة في جيش المسلمين، الأمر الذي أزعج أوربا، وجعلها تعقد التحالفات الصليبية المتكررة لطرد العثمانيين، فظهر في عالم السياسة الأوربية ما عرف باسم المسألة الشرقية التي كانت تعني حينذاك ضرورة تكاتف أوربا النصرانية لمواجهة خطر العثمانيين وإيقاف تيار فتوحهم الجارف.

وبعد أن أصاب المسلمين بما فيهم الدولة العثمانية الوهن تغير مفهوم المسألة الشرقية وأصبحت تعني ضرورة طرد العثمانيين من أوربا وتقسيم ممتلكاتهم في هذا الميدان الأوربي، ثم تقسيم ممتلكاتهم جميعا وخرجت التسمية الأوربية للدولة العثمانية باسم "الرجل المريض"، وكانت روسيا القيصرية من أول الدول التي تبث الفتن بين دول البلقان وتأليبهم على الحكم العثماني، ومدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين، وبلغ حد التعصب بأحد كتاب فرنسا أن اقترح حلا للمسألة الإسلامية بالقضاء على المسلمين ونبش قبر الرسولﷺ ونقل عظامه إلى متحف اللوفر بباريس(٢٩)، شلت يده ويد من والاه، ولعنهم الله جميعا.

وجاءت فكرة الجامعة الإسلامية لتهيئ للسلطان عبدالحميد تكوين شخصيته القائمة على الزعامة والانفراد والفكر الإسلامي، ولا شك أن مؤتمر برلين والأزمات التي واجهته قد قوت في نفسه فكرة الجامعة الإسلامية، وكان من أبرز هذه الأزمات ما يلي:

١ـ أزمة مالية ودين مترتب على الدولة، وقد أصدر السلطان عبدالحميد المرسوم المعروف باسم مرسوم محرم ١٨٨١ الذي قضى بإنشاء صندوق الدين العثماني العام الذي أشرف على مالية الدولة لسداد ديونها.

٢ـ الأزمة الأرمنية التي ترتبت عن ثورة الأرمن من أجل الاستقلال وما أعقب ذلك من مذبحة على يد الأتراك والأكراد وربما بتدبير السلطان نفسه.

٣ـ الأزمة الكريتية التي أثارتها اليونان لضمها وقد أدى ذلك إلى حصول كريت على الحكم الذاتي عام ١٨٩٢ تمهيداً لضمها لليونان.

٤ـ الأزمة المقدونية بسبب طمع بلغاريا واليونان في مقدونيا العثمانية.

٥ـ الأزمة التونسية التي أدت إلى احتلال فرنسا لتونس.

٦ـ الأزمة الدستورية في مصر وكان السلطان يكره أن يكون لمصر دستور حتى أنه أسهم في إغراق الثورة العرابية وأحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢.

٧ـ الأزمة الكويتية التي أثارها الإنجليز بعقد اتفاقهم مع مبارك الصباح لمنع ألمانيا من إيصال خط حديد بغداد إلى الخليج.

وليست الجامعة الإسلامية من ابتداع السلطان عبدالحميد وإنما هي دعوة كرس جمال الدين الأفغاني نفسه لها، لكي تهدف إلى قيام حكم إسلامي دستوري. وقد قاوم عبدالحميد التغلغل الأوربي، واهتم بفكرة الجامعة الإسلامية التي تهتم بالحكم الإسلامي ومقاومة الفكر الأوربي، إلا أنه كان يرفض الاتجاه الدستوري لهذه الفكرة مما خلق قوى معارضه من داخل البلاد نفسها، وكان عبدالرحمن الكواكبي من الرافضين الذين عملوا ضد السلطان من مصر، دون أن يعمل على تقويض الدولة العثمانية، أما الإنجليز في مصر فكانوا يرون في حركة الكواكبي تقويضاً للدولة العثمانية[٣٠].

وفي أوائل القرن العشرين نجد أن اتجاهات عبدالحميد الثاني الشعبية إزاء الإسلام في الداخل واعتناقه لفكرة الجامعة الإسلامية بالخارج كانت غير كافية لإحياء الإمبراطورية الآخذة في التفكك والاضمحلال، وفي عام ١٩٠٨ أرغم ضباط الجيش العاملون بالمناطق الأوربية من الإمبراطورية عبد الحميد الثاني على إعادة دستور ١٨٧٦ ، وفي العام التالي أبعدوه عن السلطة على أمل أن يحسن ذلك من صحة الإمبراطورية المتدهورة، إلا أنها ظلت مريضة.

ومما أكد ضعف الإمبراطورية وتدهورها تلك الحرب التي نشبت عام ١٩١٢/١٩١٣ والتي أسفرت عن فقدان الأراضى الأوربية المتبقية علاوة على فقدان ليبيا في الحرب الإيطالية التركية عام ١٩١١ ، وبالتالي تقلصت مساحة الإمبراطورية العثمانية [٣١].

ويرى البعض أن من أسباب انهيار دولة الخلافة الإسلامية العثمانية استغلال الجواسيس والمتآمرين لمناخ الحرية الدينية، ونجاح كثير منهم في الوصول إلى مناصب حساسة في عاصمة الدولة العثمانية، واستطاعوا إلى جانب العوامل السابقة تقويض أركان الدولة وإسقاط الخلافة الإسلامية، وتفكيك أقطارها لحساب دول أوربا[٣٢].

ومن الأسباب أيضا أن يهود الدونمة في جمعية الاتحاد والترقي استطاعوا القضاء على السلطان عبدالحميد الذي لم يقبل أن يتنازل عن شيء من فلسطين لليهود رغم الإغراء الشديد، وأخيرا استطاعوا القضاء على الخلافة الإسلامية وتفتيت قوى المسلمين[٣٣]، لأن الذين قاموا بمؤامرة بيع الخلافة الإسلامية في عواصم أوروبا هم جماعة الاتحاد والترقى ، وقد ظهر ذلك واضحا في مؤتمر الصلح الذي عقد في مدينة لوزان السويسرية، فقد مثل تركيا فيه كل من الحاخام "ناحوم" اليهودي المعروف باسم "قره صو" رئيس الوفد، وهو نفسه الذي قدم للسلطان عبدالحميد الثاني قرار عزله ويشاركه العضوية كل من "رضا نور" و"عصمت اينونو" ويعترف رضا نور في

كتابه (حياتي وذكرياتي) بأنه هو الذي أعلن علمانية تركيا في مؤتمر الصلح بقوله: "لقد أصبحت تركيا علمانية، ولقد انفصل الدين عن الدولة وإذا تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية"[٣٤].

وقبل الحديث عن كيفية زوال الخلافة العثمانية نهائيا يجب ذكر الجوانب المشرقة في تاريخ الدولة العثمانية وكذلك بعض الجوانب السيئة، أما عن الجوانب المشرقة فهي تتمثل فيما يلي:

١- أن العثمانيين هم الذين أزالوا من خريطة العالم أعتى إمبراطورية صليبية هي الإمبراطورية البيزنطية وفتحوا عاصمتها القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣م التي استعصت على المسلمين ما يربو على الثمانية قرون.

٢- حفظ العثمانيون لشمال أفريقيا إسلامه وعروبته عندما وقفت ضد إطماع الصليبيين الأسبان الذين اتجهوا لاستعمار شمال أفريقيا بعد قضائهم على الدولة الإسلامية في الأندلس بسقوط غرناطة عام ٩٨٧ هـ.

٣- جعل العثمانيون البحر الأحمر بحرا إسلاميا مغلقا بمعنى تحريم الملاحة فيه على السفن النصرانية.

٤- في ظل الدولة العثمانية تحققت الوحدة الإسلامية على مساحة كبيرة من العالم الإسلامي من العراق شرقا إلى مراكش غربا.

٥- حفظت الدولة العثمانية قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوربي طول مدة قوتها.

٦- موقف السلطان عبدالحميد الثاني الرافض لأطماع الصهيونية في فلسطين ضاربا المادية عرض الحائط.

أما المساوئ فقد تمثلت فيما يلي:

الانحراف عن النهج الإسلامي مثل قتل الأقرباء خوفا من المنازعة على الحكم أو للتفرد بالسلطة، أو إباحة شرب الخمور للإنكشارية، وتشجيع الصوفية، فالواقع أن الدولة العثمانية كانت ذات عاطفة إسلامية قوية وإن لم تكن تستطيع استيعاب المفاهيم الإسلامية بشكل سليم وصحيح في أحيان كثيرة وهذا هو الداء الحقيقي وكان العلاج يكمن في العودة إلى النهج الإسلامي لا في إبعاده نهائيا [٣٥] هذا بجانب إهمال الدولة العثمانية في كثير من الحالات الاقتصادية خاصة الزراعة والصناعة في الولايات العثمانية خاصة العربية.

كما أن ضعف الدولة العثمانية كان سببا رئيسيا في تكالب الاستعمار الأوربي في تقطيع أوصال الدولة واستعمار ولاياتها.

على كل حال انضمت تركيا إلى إلمانيا خلال الحرب العالمية الأولى في أكتوبر ١٩١٤. وجاء ذلك نتيجة لتشجيع الألمان للقادة العسكريين باستانبول - الذين كانوا يعرفون باسم: الشبان الأتراك - وانتهت الحرب بعد أربع سنوات بهزيمة الأتراك هزيمة منكرة، وكان هذا الحدث يعني انتهاء أخر إمبراطورية إسلامية وكان ذلك بمثابة تجربة قاسية وصدمة هائلة للمجتمع الإسلامي العالمي.

تعاون السلطان محمد السادس في استانبول مع قوات الاحتلال التابعة للخلفاء المنتصرين، بينما كان الأتراك الوطنيون بقيادة مصطفى كمال اتاتورك يعارضون ذلك، وقاموا بإنشاء "الجمعية الوطنية العمومية الكبرى" في أنقرة، وتصاعدت شعبية مصطفى كمال بين الجماهير عندما نجح في طرد قوات الاحتلال اليونانيين من تركيا في أغسطس ١٩٢١، وأصدر مصطفى كمال أوامره في نوفمبر ١٩٢٢ بإلغاء السلطنة بحيث تحل محلها "الجمعية الوطنية العمومية الكبرى" إلا أنه أبقى على الخلافة من حيث هي منصب ديني [٣٦].

الجدير بالذكر أنه في هذه المرحلة قام الاتحاديون بإتباع سياسات قومية طورانية باعدت بينهم وبين عناصر الدولة من المسلمين من عرب وألبان وغيرهم، كما أنهم قاموا بإضعاف الخليفة فجعلوه رمزا أشبه بأسير في أيديهم، وكذلك مكنوا للقوى الأوربية الطامعة في دولتهم، وانساقوا وراء مخططاتهم الرامية إلى إزالة الخلافة العثمانية مصدر وحدة المسلمين وقوتهم، ومصدر خوف أوربا وقلقها [٣٧]، ويبدو هذا واضحا حينما سيطر الكماليون (الأتحاديون) على العاصمة استانبول، وأعلنوا عزل الخليفة، ثم ما لبثوا أن أعلن اتاتورك فصل الدين عن الدولة ، وعين ولي العهد الأمير عبد الحميد خليفة مجردا من السلطة، يقيم في الأستانة [٣٨].

أما عن مصطفى كمال أتاتورك الذي ظهر في نظر الناس بطلا مكافحا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة وابتهج به العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء: فقال عنه أحمد شوقي مقارنا إياه بخالد بن الوليد في معارك الترك ضد القوات الأوربية في الأناضول في نهائيات الحرب العالمية الأولى وما بعدها بقوله:

الله أكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العرب

ثم جعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين قال:

حذوت حرب الصلاحيين زمن   فيه القتال بلا شرع ولا أدب

أيضا شبه انتصاره بانتصار بدر فقال :

يوم كبدر فخيل الحق راقصة على الصعيد وخيل الله في السحب

تحية أيها الغازي وتهنئة   بآية الفتح تبقى آية الحقب

إلا أن أتاتورك لم يلبث أن ظهر على حقيقته صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وخاصة إنجلترا التي رأت أن إلغاء الخلافة ليس بالأمر الهين وإن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل وإعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله وتصويره

وكأن المعجزات تجرى على يديه، بل وتحول خالد الترك إلى زنديق مرتد تاجر بمشاعر المسلمين وابتزعواطفهم وأطاح بقبلتهم فاستحق اللعنة في كل صلاة [٣٩]، وقد بات الأمر واضحا، إنها مؤامرة صليبية ضد أمة الإسلام، حينما اختار المتآمرون واحدا ينتسب لهذه الأمة الإسلامية، ليقوم على تنفيذ أهداف الأعداء، فأختاروا أتاتورك الذي لم يكن إلا مجرد خائن ولم يكن زعيما [٤٠].

فدعا إلى عقد الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة، حيث افتتحت في ٢٣ إبريل ١٩٢٠ وعدد أعضائها ثلاثمائة وخمسون، وقد انتخبت هذه الجمعية مصطفى كمال رئيسا لها، كما اختارته في الوقت نفسه رئيسا للجنتها التنفيذية ومجلسها الإداري [٤١]. وقد تأثر باليهود الذين هاجروا من سالونيك إلى الأناضول إثر معاهدة لوزان ١٩٢٣ وتوزعوا في سائر أنحاء تركيا تقريبا وانغمسوا في الثورة الثقافية التى اجتاحت تركيا، ونتج عنها ترك الأبجدية العربية، واستبدالها باللاتينية، عندما فرضها كمال أتاتورك، كجزء من تدابيره الجذرية في الإصلاحات السياسية والاجتماعية، ومن الطبقة المثقفة للدونمة اليهودية ظهر أبرز وأنشط زعماء هذه الثورة [٤٢].

وكان للمصريين موقف حينما احتل الإنجليز والفرنسيون والطليان استنانبول وسيطروا فيها على كل شيء حتى أصبح الخليفة سجينا، وامتلأت قلوب المصريين حزنا لمصير استنانبول - دار الخلافة، وقد عبر حافظ إبراهيم عن شعور المصريين أصدق تعبير في قوله:

أيا صوفيا حان التفرق فأذكري ... عهود كرام فيك صلوا وسلموا

فلا تنكري عهد المآذن إنـــه ... على الله من عهد النواقيس أكرم

وكيف يذل المسلمون وبينهم ... كتابك يتلى كل يوم ويكـــرم

نبيك محزون وبيتك مطرق ... حياء وأنصار الحقيقة نـــوم

عصينا وخالفن فعاقبت عادلا ... وحكمت فينا اليوم من ليس يرحم [٤٣]

وفي عام ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٣ م أعلنت الجمعية الوطنية التركية، قيام الجمهورية في تركيا وانتخبت مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة فاختير عبدالمجيد بن السلطان عبدالعزيز خليفة، بدلا من محمد السادس، وفي عام ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤ م قدم اتاتورك أعظم هدية للغرب وهي إلغاء الخلافة التي كانت في اعتبار المسلمين جميعا عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي والصهيوني ثم الشيوعي(٤٤). وسرعان ما أدرك مصطفى كمال أن زعيما دينيا معترفا له بهذه الصفة في العالم الإسلامي كله خليق بأن يصبح نقطة الدائرة التي تلتقي عندها أمال الرجعيين، ووطن أتاتورك النفس على أن يسير بالدولة التي أنشأها في طريق الحضارة الأوربية (٤٥).

كما أن اتاتورك طلب من الجمعية الوطنية الكبرى أن تقوم بتطهير وتهذيب العقيدة الإسلامية والعمل على إنقاذها من وضعها كأداة سياسية وهو الوضع الذي اعتادت عليه منذ قرون عديدة، وانتهى بذلك أسلوب الخلافة الذي استمر على مدى ١٢٩٢ عاما، ونجم عن ذلك أزمة روحية في العالم الإسلامي خارج تركيا، وأصبحت تركيا تتبع خطا عسكريا علمانيا تحت قيادة اتاتورك (٤٦)، فشوقي الذي مدح اتاتورك سابقا بكي الخلافة، وهاجمه في عنف فقال:

بكت الصلاة وتلك فتنة عابت ... بالشرع عربيد القضاء وقاح

أفتى خزعبلة وقال ضلالة ... وأتى بكفر في البلاد براح (٤٧)

والواقع أنه كان لإلغاء الخلافة صدى استياء شديد جدا، وبخاصة لدى مسلمي الهند الذين علقوا على تركيا الحديثة آمالهم في الخلاص من الاستعمار البريطاني(٤٨).

والجدير بالذكر أن مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة كان ينفذ مخططا غربيا مرسوما له، نصت عليه اتفاقية لوزان ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢٣ م التي فرضت على تركيا

شروطا للصلح معروفة بشروط لوزان الأربع (كرزون الأربع وهو رئيس الوفد الإنجليزي في مؤتمر لوزان) وهي[٤٩]:

١ـ قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما.

٣ـ إخراج الخليفة العثماني من البلاد ومصادرة أملاكه، وإخراج أنصار الخلافة من المسلمين المتحمسين لها.

٤ـ اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم على الشريعة الإسلامية.

ويبدو مما سبق أن اتاتورك مأجور صليبي مدفوع من الغرب الصليبي ومن ورائه الصهيونية، الذين وضعوا أموالهم وأرواحهم لوقف الزحف الإسلامي، والقضاء على دولة الرجل المريض وتوزيع تركته، بل وأكثر من ذلك عدم السماح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام، لأنها إن قامت داخل حدودها، فإنهم يعلمون أن المارد لن يظل طويلا داخل القمقم، ومن ثم فإنهم يحاربون أي قيام لدولة الإسلام[٥٠].

وعمل أتاتورك على قمع الحركات الدينية في تركيا التي حاولت الوقوف أمام مخططه العلماني أو حاولت إعادة الخلافة من جديد، فعل ذلك مع حركة الشيخ سعيد التي قامت في تركيا لتنادي بإعادة الخلافة، وسقوط الجمهورية، وكادت العاصمة أنقرة أن تسقط في يدها، وأعلن أتاتورك بأنها حركة كردية تهدف إلى إقامة دولة كردية خاصة بعد أن سقطت في إيديهم ديار بكر ثم حررت منهم واستطاع القضاء عليها بعد حملات طيلة عام ١٩٢٥ وبعد مذابح رهيبة استشهد خلالها أكثر من نصف مليون مسلم سقطوا دفاعا عن الخلافة العثمانية، ووقع الشيخ سعيد في الأسر وأعدم في أنقرة.

كما حارب الإسلام من خلال تحديد عدد المساجد وعدد الوعاظ فيها وحتى خطبة الجمعة حدد لها موضوعاتها ، كأن تتعرض بالمدح والثناء لسياسات الحكومة الزراعية والاقتصادية وغيرها ، ثم ألغي الشريعة الإسلامية واحل محلها القانون المدني الوضعي ، واستبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي ، وغير يوم العطلة الرسمية من الجمعة إلى الأحد ، وتدخل في زي الناس ولباسهم ، فأمر بلبس القبعة متشبها بالأوربيين ، بدلا من زي الرأس العثماني (الطربوش) ، وأمر المرأة المسلمة التركية بالسفور بعد أن ألغى الحجاب الإسلامي ، محاولا في كل ذلك قطع صلة تركيا بماضيها ، وتراثها الإسلامي[٥١] ، وبذلك لا يصبح الدين الإسلامي أساس الحياة في عهد اتاتورك ، بل انحصر في نطاق ضيق محدود لا يعدوا أن يكون عقيدة شخصية لدى الطبقة المثقفة ، وترتب على أهمال الدين الإسلامي واضعافه إيجاد جيل جديد لا يهتم بالقيم الأخلاقية[٥٢].

وأكثر من ذلك فقد أهملت الحكومة التعليم الديني في المدارس الخاصة ، ثم تم إلغاءه ، بل إن كلية الشريعة في جامعة استانبول بدأت تقلل من أعداد طلابها إلى أن أغلقت عام ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣م ، وأمعنت الحكومة في حركة التغريب ، وحذفت من التعليمات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية وحرم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية ، وأما الكتب التي سبق لمطابع استانبول أن طبعتها في العهود السابقة ، فقد صدرت إلى مصر والهند وفارس.

أما لقب أتاتورك فقد خلعته الجمعية الوطنية عليه بعد صدور قانون عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م الذي يقضي بأن يحمل كل فرد اسم أسرته ، ومعناه أبو الأتراك واجتمعت له التماثيل في ميادين المدن الكبرى ، وشجع الحفلات الراقصة والمسارح المختلطة والرقص ، وتزوج من لطيفة هانم ابنة أحد أغنياء أزمير الذين كانوا على صلة كبيرة مع اليهود من سكان أزمير ، وامر بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

ففقد كل معانيه ومدلولاته ، وأمر أن يكون الآذان باللغة التركية [٥٣] . وفي هذا يقول أسحق بن زفى : " بعدما نجحت تركيا الحديثة في الانفصال كليا عن الإسلام أرى من الغرابة أن تنظر الجماهير التركية بريبة إلى الدونمة على أساس الشك بإسلامهم ، على أن ذلك راجع كله لازدواجية حياة الدونمة الظاهرية والباطنية" [٥٤] .

غابت الخلافة من الأفق فهل من أثر لهذا الغياب ؟ لقد غابت الدولة التي كانت القوى العالمية تحسب لها ألف حساب ، رغم ضعفها ومرضها ، الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا بتحطيمها ، وهو ما صرح به ، "سرجي نيلوس" العالم الروسي الذي نشر البروتوكولات - صرح به قبل قيامها بحوالي خمسين سنة حين قال :

"إن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالأستانة في طريقها إلى فلسطين" [٥٥] .

غابت الخلافة من التباعد بين الشعب وبين مظاهر الحياة الإسلامية ، لتحل محلها المظاهر الغربية ، وترتب على ذلك إيجاد جيل جديد لا يهتم بالقيم الأخلاقية العليا التي كان يرعاها الإسلام ، والواقع أن الدين فقد تأثيره على نفوس الطبقة الراقية بصفة خاصة ، وأن وجوده يستند على أنه الركن الثاني بعد اللغة في كيان القومية التركية [٥٦] .

وكان إلغاء الخلافة هو النكبة الإسلامية الكبرى حينذاك ، ولعلنا نذكر أن احتلال مصر وتونس ثم ليبيا والمغرب قد نظر إليها في إطار العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية ، واعتبر موجة متجددة للهجمة الصليبية على الديار الإسلامية ، مثلما اعتبرت المواجهات بين الفرنسيين والسوريين في ميسلون ثم احتلال سوريا نكبة عربية وإسلامية ، ولا شك أن احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ والصراع العربي الإسرائيلي قد فسر أيضا تفسيرا دينيا ، وأن هذا الصراع هو الفصل الجديد من الصراع القديم بين المسلمين واليهود منذ العصر النبوي [٥٧] .

غابت الخلافة وتثبتت دعائم الدولة العلمانية لتحارب الإسلام والمسلمين وتنبذ الإسلام وراء ظهرها ، وتكون معول هدم ، لهدم الحضارة الإسلامية ، ثم يتحول جسمها.. جسم رجل أوربا المريض... ونعني به الدول العربية في أفريقيا وآسيا والدول الأوربية المسلمة... يتحول إلى غنيمة لدول حلف الأطلنطي أو حلف وارسو.. فتقتسم الدول الاستعمارية تركة تركيا لهدم بناءها الإسلامي، ولتحول أنظمتها المسلمة إلى أنظمة لا يزيد حاكمها عن كونه موظفا في السفارة البريطانية أو الفرنسية أو غيرها برتبة ملك أو أمير أو سلطان، وبذلك تمكن الغرب الصليبي من تنفيذ مخططه لهدم صرح الإسلام في غفلة من الزمن - وهنا نلقي اللوم على سلاطين الخلافة العثمانية - كان المسلمون فيها مشغولين بالبحث عن وظائف في السفارات الأجنبية ، وأنه كان إسمها الظاهر... زعيما أو وزيرا أو مصلحا أو إماما أو ملكا أو سلطانا أو واليا... فكلها... كما قال الشاعر:

أسماء مملكة في غير موقعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد[٥٨]

وبسقوط الخلافة واجه الغرب الصليبي الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير، فنشط الاستشراق والتنصير، وبدأ المحاولات الجادة لإبعاد المسلمين عن دينهم وعن قيمه، وبدأت الحركات والدعوات الرامية إلى التشكيك في مقدرة ذلك الدين على التكيف مع ظروف الحياة العصرية ؛ وذلك لهز ثقة المسلمين في أنفسهم وفي دينهم، حتى تسهل السيطرة عليهم فكريا وسياسيا واقتصاديا ، ويتمكن الاستعمار من الهيمنة على بلادهم وسلب خيراتهم[٥٩].

غابت الخلافة ، وأصبح للإعلام اليهودي دور خطير في الترويج لردة أتاتورك الذي " ألقى القرآن ذات يوم في يده فقال : إن ارتقاء الشعوب لا يصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة "[٦٠] لعنة الله عليه في كل حين... نسى أن الله سبحانه وتعالى هو نفسه خالق العصور الغابرة وهو نفسه أيضا خالق العصور

المتقدمة، وأنه هو الذي وضع هذه القوانين التي سنت في دستوره (القرآن) وهي صالحة في كل مكان وزمان.

غابت الخلافة وكل ما سبق أسهم في حركة التغريب في مصر وإيران وأفغانستان، فإيران قد فتحت أبوابها للمؤثرات الأجنبية، وفي عام ١٣٦٨هـ-١٩٤٨ م أعترف شاه إيران بإسرائيل وأقام علاقات متينة معها.

وتوفي اتاتورك عام ١٣٥٦ هـ بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين، وبعد وفاته تابع سياسته رئيس الجمهورية، الذي تولى بعده "عصمت اينونو" وبقيت الأزمات والكوارث الاقتصادية في تردد مستمر وفرضت غرامات فادحة على الصحفيين الذين يحطون من قدر الحكومة، وضيق على أساتذة الجامعات والقضاة والموظفين، وفرضت قيود على الاجتماعات عام ١٣٧٦ هـ. ووجه الحزب الديمقراطي التهمة إلى كثير من الأبرياء بالاشتراك بما سمي "مؤامرة الضباط التسعة" واتهمهم بالارتداد عن مبادئ العلمانية والميل إلى جانب المنظمات الدينية الإسلامية، وقد حصل بالفعل بعض التراجع عن بعض العداء ضد الإسلام بفعل الضغط الشعبي الإسلامي تمثل في:

١ـ إعادة الآذان إلى الأداء باللغة العربية.

٢ـ سمح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعة.

٣ـ امتد التدريس الديني إلى المدارس.

٤ـ سمح بافتتاح المدارس الشرعية، وكلية الدين الإسلامي في أنقرة.

ورغم هذا التراجع إلا أنهم أظهروا بوضوح عدم رغبتهم في إشراك الدين بالسياسة، واستمروا في إخماد الجماعات الإسلامية التي تنادي بالأحكام الإسلامية[٦١].

ولعلنا نخلص من الاستعراض السابق أن ضعف الخلافة الإسلامية في تركيا كان سببا رئيسا في وقوع العالم الإسلامي بين براثن الاستعمار الصليبي والصهيوني، وبالتالي تفكك العالم الإسلامي وضعفه، بل وتوجهه إلى التغريب بحجة التحديث، وأن ضعف هذه الخلافة وراء ما يعانيه العالم الإسلامي الآن خاصة في فلسطين رغم رفض عبدالحميد سلطان الخلافة مطالب اليهود، وجاء اتاتورك بكل القيم والأخلاق اللادينية وفرضها على المسلمين وجعلهم شبه غير مسلمين.

هوامش الفصل الثالث

١- محمود شاكر، مرجع سابق ص ٧٢، ٧٣ .

٢- د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ٣٩٩.

٣- د. جميل المصري، جـ ١، مرجع سابق ص ١٣٢.

٤- يوسف البدري، مرجع سابق ص ٣٧، ٣٨.

٥- محمد عمارة، العروبة في العصر الحديث ـ دراسات في القومية والأمة ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٠٥ـ٣٠٧ .

٦- د. تاج السر حران، مرجع سابق ص ٦٢.

٧- محمد العزب موسى: وحدة تاريخ مصر، المركز العربي للصحافة، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٠، ص ١٣٥ ـ ١٣٧.

٨- هانز كوهن ، ترجمة، عبدالرحمن صدقي، عصر القومية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٣١.

٩- د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٣٨.

١٠- هانز كوهن، مرجع سابق ص ١٣٦.

١١- د. أحمد محمود فؤاد، مرجع سابق ص ١٤٨، ١٤٩.

١٢- هانز كوهن، مرجع سابق ص ٢٠٨.

١٣- نفسه، ص ٢٠٧.

١٤- نفسه، ص ١٦٣.

١٥- د. جميل المصري جـ ١، مرجع سابق ص ٣٤٠، ٣٤١ .

١٦- نفسه، جـ ٢، مرجع سابق ص ٤٤٤.

١٧- د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ١٦٢، ١٦٨ ـ ١٧٠.

١٨- د. محمد عمارة، مرجع سابق ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

١٩- د. جلال يحيي: العالم العربي الحديث ـ الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، دار المعارف، ١٩٨٠ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، وللمزيد انظر، كارل بروكلمان، ترجمة، د. نبيه أمين فارس، منير البعلبكي: تاريخ الشعوب الإسلامية جـ ٥ الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٦٢ ، ص ٧٦ ـ ٧٩.

٢٠- د. محمد عمارة، مرجع سابق ص ٣٥٩، ٣٦٠.

٢١- د. جلال يحي، مرجع سابق ص ١٨٧.

٢٢- د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ١٧٥.

٢٣- د. جميل المصري، ج ١ ، مرجع سابق ص ١٩١ ، ١٩٣.

٢٤- محمود شاكر، مرجع سابق ص ١٠٧.

٢٥- د. عادل يونس، مرجع سابق ص ٨ ، ٩.

٢٦- د. جميل المصري، جـ ٢ ، مرجع سابق ص ٣٩٢،٣٩٣ .

٢٧- د. على جريشة، مرجع سابق ص ٤٩

٢٨- هانز كوهن، مرجع سابق ص ١٦٩.

٢٩- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ٩٧، ٩٨.

٣٠- د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ١٦٣ ـ ١٦٥

٣١- دليب هيرو، ترجمة، عبدالحميد فهمي الجمال، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٠٨.

٣٢-محمد إبراهيم المرشدي، عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي، دار الشرق الأوسط للنشر ـ القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٦.

٣٣-الدونمة: مشتقة من الدونميك ومعناه المرتد. انظر، محمود شاكر ص ٥٩.

٣٤- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت عبدالعزيز مرجع سابق ص ٢٠٩.
٣٥- د. جميل المصري، ج ١، مرجع سابق ص ١٠١ ـ ١٠٤.
٣٦- دليب هيرو، مرجع سابق ص ١٠٨، ١٠٩.
٣٧- د. تاج السر حران، مرجع سابق ص ٤٣، ٤٤.
٣٨- د. جمال عبدالهادي محمد وآخرون: مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الإنجليزي من عهد محمد علي وحتى عهد محمد توفيق، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٥، ص ١٦٣.
٣٩- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١١١، ١١٢، وانظر، د. عبدالله الأشعل: المسلمون والنظام العالمي الجديد، دار المعارف ١٩٩٩، ص ١١.
٤٠- د. جمال عبدالهادي وآخرون، مرجع سابق ص ١٦٣
٤١- كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٧
٤٢- محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦٠.
٤٣- صوفيا: مسجد الآستانة الكبير ـ انظر، د. جمال عبدالهادي محمد وآخرون ص ١٦٢.
٤٤- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١١٢، ١١٣.
٤٥- كارل بروكلمان، مرجع سابق ص ٢٣.
٤٦- دليب هيرو، ص ١٠٩.
٤٧- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١١٣.
٤٨- كارل بروكلمان، مرجع سابق ص ١٤.
٤٩- د. جميل المصري، ص ١١٣، ١١٤، د. تاج السر، مرجع سابق ص ٤٤.
٥٠- د. على جريشة، مرجع سابق ص ٦٣.
٥١- بروكلمان، ص ١٥ -١٧، د. تاج السر، مرجع سابق ص ٤٥، ٤٦.

٥٢- د. رأفت الشيخ ، د. محمد رفعت عبدالعزيز، مرجع سابق ص ٢١٦.

٥٣- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١١٤ ـ ١١٦.

٥٤- محمود شاكر، مرجع سابق ص ٦١.

٥٥- د. علي جريشة: مرجع سابق ص ٥٣.

٥٦- د. رأفت الشيخ ، د. محمد رفعت عبدالعزيز، مرجع سابق ص ٢١٦.

٥٧- د. عبدالله الأشعل، مرجع سابق ص ١٢.

٥٨- يوسف البدري، مرجع سابق ص ٣١.

٥٩- د. تاج السر حران، مرجع سابق ص ٤٧ ، ٤٨.

٦٠- د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١١٧.

٦١- نفسه، مرجع سابق ص ١١٩ ، ١٢٠.

الباب الثاني

الصحوات الإسلامية

الفصل الرابع

الصحوات الإسلامية في القرن
الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)

- الحركة السلفية في نجد
- الحركة السنوسية في ليبيا
- الحركة المهدية في السودان
- جمال الدين الأفغاني في مصر
- دور الأزهر والقرويين والزيتونة

الحركة السلفية في نجد

الوضع في شبه الجزيرة العربية عشية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يغلب عليه انتشار البدع وأصبحت المعرفة بقواعد الدين الصحيحة نادرة ، وتمكنت في نفوس الناس عقائد خاطئة بعيدة عن تعاليم الإسلام حتى أصبح من العسير إقلاع الناس عنها ، ويدأوا يميلون إلى التوسل بالقبور وغيرها من الجمادات التي جاء الإسلام ليحطمها ويقضي على عباداتها [١] ، وكانت بلاد نجد مسرحا للخلافات الطائفية والحروب الأهلية ، هذا فضلا عن تفشي الخرافات الدينية والخزعبلات والبدع[٢].

وهكذا أصبح بعض الناس يقدسون الأولياء ويحجون إلى قبورهم ، ويتمسحون إلى أضرحتهم ، ويقدمون لهم النذور ويتشفعون بهم لجلب منفعة أو لدفع ضرر ، ففي الجبيلة يوجد قبر زيد بن الخطاب ، وكان أهل نجد يحجون إليه لاعتقادهم أنه يفرج عنهم الكرب ويقضي لهم حوائجهم ، وفي الفدا يوجد ذكر النخيل المعروف بالفحال ، وكان يقصده النساء والرجال يتبركون به ، وكان لأهل نجد اعتقاد في شجرة تدعي شجرة " الذيب " تأمها النساء اللاتي يرزقن بمواليد من الذكور ويعلقن عليها الخرق البالية لعل أولادهن يسلمون من الموت والحسد ، كما تأمها النساء اللاتي يردن الأزواج والعواقر ليرزقن بالأولاد ، والعوانس ليأت لهن الخطاب ، ولقد أنهال الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما بعد بنفسه على هذه الشجرة وقطعها.

كما كانوا يعتقدون في غار كبير أسفل الدرعية ، يزعمون أنه انشق بمعجزة لامرأة تسمى بنت الأمير ، ليحميها من تعذيب الفسقة الذين كانوا يريدون بها سوءا ، فكانوا يرسلون إلى هذا الغار اللحم والخبز هدية كما أنهالت النذور على رجل يدعي " تاج " في الخرج اعتقدوا فيه النفع والضر ، وكان الناس يحجون إليه

أفواجا وينسجون حوله كثيرا من الأساطير والخرافات، في نجد والحجاز وغيرها من المدن المجاورة.

ولم تكن الحالة الدينية في مصر واليمن وحضرموت وعدن وحلب ودمشق والعراق وبلاد الأكراد والقطيف والبحرين والإحساء بأسعد حالا مما كان عليه الوضع في نجد [٣] ففي حضرموت والشمر ويافع وعدن كان عندهم قبر العيدروس الذي يفعل عنده من السفه والضلال ما تنفر منه النفوس حيث يقول قائلهم: "شي لله يا عبد روس ، شيء لله يا محي النفوس". وفي نجران وما حولها كان أهل هذه المنطقة يعظمون "السيد المكرمي" ويقدسونه وغير ذلك كثير [٤].

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الحالة قد زادت من سوء الأوضاع الدينية في العالم الإسلامي ، والذي يمكن القول أنه عودة إلى ما قبل الإسلام وهذا هو السبب في وصول العالم الإسلامي إلى مرحلة الضعف التي أدت إلى سيطرة الاستعمار عليه، بل قد يكون للاستعمار دور في ترك المسلمين للإسلام، والسؤال، أين دور الخلافة الإسلامية المتمثلة في السلطنة العثمانية؟.

والواقع أن الدولة العثمانية كانت في أحوج ما يكون إلى من يمد لها يد المساعدة، وفي الوقت نفسه كان ما يهمها هو وصول ما يطلق عليه المؤرخون لفظ "الجزية" وأرى أن هذا اللفظ خاطئ لأن الجزية لا تفرض إلا على أهل الذمة في الديار الإسلامية، ولا يصح اللفظ من دولة إسلامية على أخرى إسلامية.

بدأت الحركة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بداية بعيدة عن السلطة والسياسة، وذلك لأن الشيخ حينما رأى البدع والمنكرات نادى باتباع مبادئه، وذلك بعد أن تعمق في دراسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتأثر بحركة تقي الدين بن تيمية، وحركة تلميذه ابن قيم الجوزية ، إلى أن قوى وخرج إلى المجال

السياسي ما دام يسعي إلى تغيير الأوضاع القائمة في الدولة بقوة السلاح واستمرت حركته وامتد نفوذها واستطاعت فيما بعد أن تهزم جيش الأتراك.

كما أن نشأة الدولة هي أول خطوة عملية نحو إخراج مذهب التحرر الإسلامي إلى حيز التنفيذ، وقد شرح المستشرقون الحركة من حيث أثرها الدولي فقرروا أنها القضاء على البدع والمفاسد التي أدخلت على الإسلام ظلما والعودة إلى نقاوته الأولى وعدم الاعتراف بما تركه المفسرون مما يتعارض مع أصول الدين في بساطته وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس المشايخ والأولياء(٥).

وقد لد محمد بن عبدالوهاب عام ١١١٥ هـ-١٧٠٣م في العيينة من بلاد نجد، وفيها ازداد أتباعه وجاهر بدعوته، وطبق تعاليمه الدينية ، ولكنه اضطر إلى تركها بضغط من حاكم الإحساء بسبب إقامته الحد على امرأة ثبتت عليها جريمة الزنا، فماتت المرأة بعد تنفيذ العقوبة (الرجم) ولم تكن هذه العقوبة مما تسيغه النفوس في ذلك الوقت، فأحدثت استياء عند حاكم الإحساء الذي تمتد سلطته إلى العيينة، فتهدده بالقتل إذا لم يرجع عن طريقته، فعرض عليه أنصاره أن ينزل بينهم فرحل إلى الدرعية التي كان أميرها (محمد بن سعود) الذي أعجب بدعوته وآواه وناصره في نشر الدعوة(٦).

وكان محمد بن عبدالوهاب ينشر دعوته بالطرق السلمية واتصل بكبار الفقهاء والمسلمين في البلاد الإسلامية الأخرى يشكو إليهم ما نزل بالإسلام وأحاط به من الخرافات التي ليست منه في شيء وناشدهم أن يهبوا لتطهيره والعودة به إلى سيرته الأولى(٧).

وقد قامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على مجموعة من المبادئ الأساسية يمكن إيجازها فيما يلي:

١ـ الدعوة إلى التوحيد: أي الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، واعتمد الشيخ في دعوته إلى التوحيد على الكتاب والسنة، وآثار السلف، لقوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"(سورة الإسراء - آية ٢٣)، وقوله: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا" (سورة النساء- آية ٣٦).

وقوله: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد" (سورة الإخلاص)، واجتهد الشيخ في تعريف أهل نجد بأصول التوحيد ونواقضه، وألف في ذلك كتابه (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد).

لم تسلم دعوة الشيخ إلى التوحيد من الأعداء والمعارضين، ولم تلق آذانا صاغية لدى كل أهل بلده، فقد عاداه بعض العلماء لأنهم رأوا في دعوته تقويضا لمكانتهم لدى العامة، وإيصادا لأبواب الرزق التي يتكسبون منها عن طريق اعتقاد الناس فيهم، واللجوء إليهم بكتابة الأحجبة والتمائم وغيرها(٨) وجاء التوحيد بعدم اعتراف الحركة السلفية بالقباب والأضرحة والمآذن، بل وتحريمها والأمر بإزالتها(٩) وهذا أدى إلى زيادة العداء للحركة.

٢ـ العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، وترك مختلف البدع، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة في معالجة أمور الحياة.

٣ـ الرد التأويل الفاسد لآيات الصفات وإنكاره، والعناية بنشر مذهب السلف في التعامل مع آيات الصفات.

٤ـ الدعوة الصادقة للإسلام بالجهاد في سبيل الله، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر(١٠).

٥ـ جدد الشيخ محمد الدعوة إلى تعاليم الإسلام من أقام الصلوات الخمس وصوم رمضان وتحريم المنكرات، وتحريم الزنا والخمر والميسر والربا وهدم المزارات والقباب لاعتبارها من الوثنية(١١)، ويجب أن يتقشف المسلم في حياته الدنيا فلا يقدم

على لبس الحرير أو تعاطي الأطعمة الدسمة أو النبيذ أو غير ذلك من أساليب الترف[١٢].

٦- الدعوة إلى الاجتهاد الذي لا يخالف نصوص القرآن وسنة الرسول ﷺ وآثار السلف الصالح، وإنكار تقليد أحد غير الآئمة الأربعة (مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وابن حنبل) لعدم ضبط المذاهب الأخرى مثل مذهب الشيعة وغيره[١٣].

وقد أدت هذه المبادئ إلى شدة العداء، وفي المقابل تأثر بها كثير من العلماء خاصة في مصر فقد كان أثرها واضحا حينما عمل كل من الحكام والعلماء على محاربة البدع والخرافات، وتطهير السلوك الديني مما علق به من الشوائب، فكان عثمان بك كتخدا من أهم الأمراء الذين تأثروا بهذه الحركة، فبعد عودته استمر ست سنوات من الحج (١١٥٥-١١٦١ هـ/ ١٧٤٢- ١٧٤٨ م) في العمل على إبطال المنكرات خاصة إبطال خمامير حارة اليهود وحارب البدع والخرافات، وكذلك الشيخ علي الصعيدي (ت ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) نهى عن شرب الدخان كما هاجم دوران الصوفية وغناءهم أثناء الذكر وألف من أجل ذلك رسالة " في حكم الرقص والغناء في الذكر".

أما الشيخ عبدالرحمن الجبرتي المؤرخ الشهير فكان من أكثر العلماء تأثرا بالدعوة السلفية، ومن أشد أنصارها ومؤيديها في مصر في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، فقد كان سلفي العقيدة لا يؤمن بالخرافات والخزعبلات رغم إيمانه بالكرامات ، فقد انتقد البدع وما يصاحب موالد الأولياء ومدعي الولاية من الفسق والفجور والمغالاة من مدحهم والتوسل بهم، واعتبر ذلك خروجا على الدين واتباعا للشهوات.

واعتبر الجبرتي أن المحمل والطبول الشامية التي رفضها أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعادوا بها إلى بلادهم منكرا بقوله: "ولم يتركوا مناكيرهم" وعندما

وصلت دعوة الشيخ إلى المدينة عام ١٨٠٥ وأخرج الناس ما كان في الحجرة الشريفة من المصدر والجواهر علق على ذلك قائلا : "هذه الأشياء وضعها ضعاف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين والأعاجم" ثم أعلن تنزه النبي ﷺ عن مثل هذه الأشياء وأنه لم " يدخر شيئا من عرض الدنيا في حياته ، وقد أعطاه الله الشرف الأعلى وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختار أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا " وأخذ يدلل على صحة رآيه بالأحاديث النبوية الشريفة [١٤].

لذا تجاويت معها الجماهير إذ رأت فيها ما يعيد إلى الأذهان صورة الإسلام الحية الرائعة في أيامه الأولى [١٥]. ونالت الدعوة نجاحا بين أهل نجد ، وكسبت أعوانا [١٦] في الجزيرة العربية وخارجها ، ومن العوامل التي ساعدت الدرعية في السيطرة على نجد ما يلي : -

١ - لجأت الدولة الفتية بقيادة الإمامين ابن سعود وابن عبدالوهاب إلى حرب الإمارات النجدية واحدة تلو الأخرى فهي إمارات غير موحدة ، حيث بدأوا بإمارات العارض ثم الخرج فالقصيم وغيرها فسهل ذلك ضم هذه الإمارات.

٢- انقسام معظم الأسر الحاكمة في معظم الإمارات النجدية.

٣- هجرة كثير من القبائل النجدية إلى العراق إما هروبا من العمليات العسكرية أو بسبب القحط والجفاف وترك الميدان مفتوحا أمام الدرعية مما ساعدها على النجاح [١٧].

٤- قوة تمسك أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمبادئهم وتعاليمهم ، فأصبح لديهم دفاع عن عقيدة راسخة.

٥- كثرة الأتباع والمناصرين لهم.

٦- رغبة الإمامين ابن سعود وابن عبدالوهاب في توحيد نجد والجزيرة تحت راية واحدة ونشر الدعوة في ربوعها.

أما عن الصدام بين الدرعية والإحساء فقد بدأ منذ عام ١٧٥٨ عندما تحالف عريعر بن دجين وعشائر بني خالد مع عدد كبير من مناطق نجد بقصد محاربة الدرعيين والقضاء عليهم ، ولكن أخبار هذا التحالف وصلت إلى الدرعية فتحقق النصر للوهابيين ، وحدث نفس الشيء عام ١٧٦٥ [١٨] .

وأصبحت الدرعية بعد مبايعة أهلها للشيخ منتدى فكريا ودينيا ، وانتهى الأمر بدخول مدن وقرى نجد في الدعوة بعد حروب عديدة بين الدرعية والرياض ، ثم انتشرت الدعوة واتسعت في باقي أجزاء الجزيرة العربية وخرجت اشعاعاتها إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي [١٩] .

واستطاع أتباع الشيخ من بعده وعلى يدي أبناء الإمام محمد بن سعود توحيد نجد وضم الحجاز تحت لواء آل سعود ، مما أدى إلى قطع الصلة بين الحجاز والدولة العثمانية ، وأثار ذلك حفيظة السلطان العثماني ، باعتبار الحجاز رمزا لسيادته الروحية وباعتباره خليفة للمسلمين [٢٠] وفي العاصمة العثمانية يوجد قاضي القضاة للمسلمين جميعا في الدول التابعة للدولة العثمانية ، كما امتدت الدعوة إلى عسير واليمن واتجهت أنظارهم إلى الشام فزحفوا عليها ووصلوا في زحفهم إلى حدود فلسطين ولكن لم يكتب لهم الدخول إليها في ذلك الوقت [٢١] .

وفي الحجاز كان الشريف غالب بن مساعد قد خلف أخيه سرور في الحكم ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م وقد خاض عدة معارك ضد آل سعود ، خسر في أغلبها ، وقد شارك عدد كبير من الجنود المصريين الموجودين في الحجاز إلى جانب شريف مكة ، ففي معركة خرمة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ لقى شريف مكة هزيمة نكراء حيث قتل بها ما يقرب من مائتين من الجنود المصريين المصاحبة للشريف غالب ، وقد سبب احتلال الفرنسيين لمصر أزمة قوية للشريف غالب الذي وجد نفسه محروما من أغلب الموارد الاقتصادية للحجاز [٢٢] ، وفي عام ١٨٠٢ قامت الحركة السلفية في نجد بمحاولة لنشر

الدعوة في كربلاء، كما ضموا مكة والمدينة حتى أصبحت جميع الجزيرة العربية فيما بعد موحدة تحت راية واحدة [٢٣].

أدركت الدولة العثمانية خطر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على سلطانها في العالم العربي من جهة، وعلى نفوذها الديني وسيادتها الروحية من جهة أخرى، وقد رأت الدولة العثمانية أن يقوم العرب بقتال بعضهم بعضا، لذلك لم ترسل الدولة العثمانية جيشا عثمانيا لإخضاع حركة الشيخ محمد، بل كلفت أول الأمر واليها بالعراق سليمان باشا الكبير لهذه المهمة، ولكن هذا الوالي فشل، وكذلك فشل والي الشام، فكلفت محمد علي وإلى مصر بهذه المهمة، على أن نجاح محمد على في المهمة يوفر على السلطان القيام بها، وإن فشله سيكون سببا في كسر شوكته ومنعه من الظهور بمظهر الحاكم القوي، ولكن محمد على انتهز الفرصة ليعرض شروطه على السلطان العثماني الذي نهره عن استغلال هذا الموقف لصالحه.

ويشير المؤرخون إلى أن قرار محمد على لقتال الدولة السعودية لم يكن لمجرد الرغبة في إطاعه السلطان بل له من ورائه غرضان خفيان، الأول تعزيز مقامه في العالم الإسلامي ببسط حكمه على الأراضي المقدسة، فإذا تم له ذلك قدره السلطان حق قدره وكف عن مناوأته، والثاني: أنه وجد في الحملة وسيلة للتخلص من عدد كبير من الدلاة والألبانيين، فضلا عن أن انتصاره سوف يفضي إلى تأليب الأستانة على والي دمشق خصمه فيعزل لفشله في إخماد حركة الشيخ محمد، وبالفعل كان له ذلك.

على كل حال أرسل محمد علي حملة عسكرية بقيادة ابنه الأكبر طوسون حيث وجدت معاضدة من سكان الثغور الحجازية كجدة وينبع لأن انقطاع طريق الحج ألحق بهم ضررا كبيرا إذ كانت أرزاقهم تعتمر على من الحجاج فكانوا ناقمين على أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب [٢٤]، وفي أواخر عام ١٨١٣ قرر محمد على السفر

إلى الحجاز لتولي القيادة بنفسه، وترك ابنه إبراهيم على مصر العليا وحسن بك على مصر السفلى، ولكن لم يطل المقام بمحمد علي في الحجاز، حيث عاد إلى مصر بسبب سماعه أنباء مؤامرة دبرها لطيف باشا، وسماعه أيضاً أنباء هروب نابليون من جزيرة " ألبا " فخشى محمد على أن ذلك سوف يجدد الحرب واستهداف مصر لحملة جديدة، إذ يفكر نابليون ثانية في غزوها فعاد إلى مصر (٢٥).

ولصعوبة الموقف في شبه الجزيرة أرسل محمد على حملة أخرى بقيادة ابنه إبراهيم الذي التقى بجيش الدولة السعودية في منطقة الرس وفيها فقد إبراهيم نحو ٣٠٠ رجل وبالرغم من ذلك ترك الأمير عبدالله بن سعود الرس مما أدى إلى احتلال إبراهيم لأكثر من منطقة مثل عنيزة، وبريدة، والمذنب، وشقراء، فكان ذلك سبيلا أن يطلب الأمير عبد الله بن سعود الصلح في ٤ سبتمبر ١٨١٨.

الحركة السنوسية في ليبيا

هي إحدى التيارات الإصلاحية الإسلامية التي نشطت في أنحاء متعددة من العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري / الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي بهدف القضاء على البدع والعودة بالإسلام إلى نقائه الأول ، تأثرت بمبادئ الدعوة السلفية الوهابية ، والتقت معها في الهدف والغاية وإن اختلفت عنها في الوسيلة.

صاحب هذه الحركة السيد محمد بن على السنوسي الذي ولد في بلدة مستغانم بالجزائر في ربيع أول ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م ، وهو ينتسب إلى قبيلة سنوسي إحدى قبائل تلمسان بالجزائر وتلقى العلم على يد شيوخ بلدته ثم رحل إلى فاس وبقى بها من (١٨٢٢ ـ ١٨٢٩م) حيث حصل على إجازته ، وعين مدرسا بالجامع الكبير بفاس ثم رحل إلى الصحراء في الجنوب من الجزائر ، ثم زار تونس وطرابلس ودخل ليبيا ، ثم رحل إلى مصر حيث حلقات الدرس في الأزهر ، ثم رحل إلى الحجاز وعاش في مكة منذ ١٨٣٠ م ثم رحل إلى صبيا جنوب عسير ، ثم إلى مكة حيث بدأ دعوته خلال الفترة من (١٢٥٣ـ ١٢٧٦ هـ/ ١٨٣٧ ـ ١٨٥٩م).

والحركة السنوسية تدعو إلى معرفة الدين الصحيح ، وتحض على الابتعاد عن الرذيلة ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، والرجوع إلى الكتاب والسنة ، وتبني قوتها الروحية على تنظيم الزوايا للتعليم والتعلم.

والاجتهاد عند السنوسية اجتهاد مطلق ، منتسب أي أن الرجوع إلى الكتاب والسنة متاحان ، ولكن المجتهد عليه أن يتبع في أصول الفقه ، أحد المذاهب الأربعة ، وقد أنشأ السنوسي زاوية في جبل أبي قبيس في مكة بعد رجوعه من صبيا ، وكانت دعوته مثار غضب الدولة العثمانية وخوفها منه ، خاصة بعد اتصاله بأبناء السيد ابن

إدريس الفاسى في صبيا، وهى ضمن أملاك الدولة السعودية، ومبادئ الدعوة السلفية الوهابية متمكنة في نفوس أهلها.

تضافرت الأسباب لمغادرته مكة إلى برقة عام ١٨٤٠ ومنها إلى طرابلس، وفي عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م نزل البيضاء وبني بها زاوية، كانت هي الأولى في برقة.

ولا شك أن السنوسي أثناء إقامته في مكة عاشر بعض علماء الدعوة السلفية؛ وتأثر بهم واقتنع بنقاء مبادئهم، وهذا أفاد في جعل دعوته قائمة على المحبة والإقناع، وفيما رسمه لها من البعد عن مغامرات السياسة ومحنتها.

وأقام السنوسي زوايا لتكون بمثابة خلايا حية، تمتد منها الحياة إلى سائر جسم الأمة الإسلامية، فأصبحت مراكز للتربية والتهذيب والتعليم وإيقاظ العاطفة الدينية السليمة، كما صارت مراكز توجيه للحياة العامة، فهي بذلك مراكز إصلاح إنساني متكامل، من الناحية الدينية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية، وبذلك استطاعت الدعوة أن تصل إلى أهدافها، وأن توسع نفوذها، بل وتلقى المساندة من الدولة العثمانية، حيث أصدر السلطان عبد المجيد في ١٨٥٦ م فرمانا ثبت فيه امتيازات السنوسية وينص على أن الزوايا السنوسية حرما آمنا وحمى يلجأ إليه. بخلاف ما لقيته الدعوة السلفية الوهابية[٢٧].

ليس هذا فحسب فقد عملت السنوسية على تنظيم الأهالي في وحدات خاصة تقيمها في الزوايا في قلب الصحراء، وكانت هذه الزوايا تعتبر معسكرات لتكوين المجاهدين من الناحية العقائدية في نفس الوقت الذي تعتمد فيه على العمل والإنتاج، في نطاق الفكر الإسلامي المخلص من الشوائب. وأقامت السنوسية مراكزها في الصحراء بشكل استراتيجي، إذ إنها أقامتها في الواحات وعند الآبار، وفي طرق القوافل، وجهزتها بمباني بسيطة يقيم فيها الأخوان السنوسيين لنشر دعوتهم على من يستضيفونهم أثناء مرور القوافل[٢٨].

إن الحركة السنوسية كما سبق ذات طابع إسلامي شامل، يهدف إلى إيقاظ الأمة الإسلامية مما أصابها وجعل بلادها تقع فريسة للغزو الأجنبي، فبلاد العرب في شمال أفريقيا قد فرضت عليها الظروف أن تتمسك بالفكرة الدينية كرابطة جامعة تستند إليها في مقاومة أطماع الغرب ، فالحاكم هناك كان لا يزال الدولة العثمانية ، والسبيل الوحيد للتخلص من حكمها هو بعث فكرة القومية العربية، وهو أمر صادف هوى عند موجهي سياسة الغرب في هذا القسم من العالم العربي، إذ رأوا أن المساندة العربية في قضية العروبة هي السبيل الوحيد لتقوية عوامل الفرقة بين الشعب العربي وبين حكامه العثمانيين الذين كانوا نشيطين في بعث دعاياتهم عن الوحدة الإسلامية والإخاء الإسلامي حينذاك.

وانطلاقا من فكرة الوحدة الإسلامية ، ارتبطت الحركة السنوسية في ليبيا بالدولة العثمانية لمقاومة الغزو الأجنبي ومحاولات التسلل الاستعماري إلى ليبيا ، خاصة وأن الدول الأوربية كانت تخطط في تلك الفترة (القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي) إلى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية الضعيفة فيما بينها ، فكانت إيطاليا تنظر إلى احتلال ليبيا التي تركتها الدول الأوربية كحصة لإيطاليا في الشمال الأفريقي.

وقبل احتلال إيطاليا لليبيا بدأ التغلغل الإيطالي للبلاد عن طريق البعثات التنصيرية والتجارة والمدارس والمستشفيات وإنشاء المصارف التي قامت بإقراض المواطنين واغتصاب أراضيهم الزراعية بعد إغراق أصحابها في الديون (٢٩).

واستطاعت الدعوة السنوسية أن تنتشر في السودان، وأصبحت هناك علاقة بين محمد أحمد المهدي بالسودان وبين السيد محمد السنوسي بليبيا وكان محمد أحمد المهدي يدعو السنوسي بالمهدي أيضا ، كما أن مهدي السودان أرسل إلى السنوسي يبين له أمر مهديته وأنه هاجر إلى قدير وجاهد الترك وانتصر عليهم في عدة مواقع

ويخيره بين الجهاد في جهاته ومنها إلى مصر أو الهجرة إليه ، وأنه - أي السنوسي - قد اختير ليملأ منصب الخليفة [٣٠].

كما أرسل المهدي إلى محمد يوسف سلطان برقة ويين له اتصاله بالسنوسي وأشار إلى أن المهدية في حوض تشاد لها نفوذ عظيم ، وأن اتصاله بالسنوسي لما له من نفوذ عظيم هناك[٣١] وقد تضمن خطاب المهدي للسنوسي ما ورد في منشوراته العامة للدعوة طمعا في ضمه لما للسنوسي من نفوذ واسع في ليبيا.

وقررت إيطاليا احتلال ليبيا فأنذرت الدولة العثمانية وأبلغتها عن نيتها باحتلال ليبيا وطلبت منها تسهيل عملية الاحتلال بحجة حماية رعاياها من اضطهاد الدولة العثمانية ، فردت الدولة العثمانية ردا ضعيفا حاولت فيه التنصل من إتهامات إيطاليا ، وأعلنت إيطاليا الحرب في ٦ شوال ١٣٢٩ هـ ١٩١١ وحاصر الأسطول الإيطالي طرابلس لمدة ثلاثة أيام فسقطت المدينة بعد قتال غير متكافئ ، وتم احتلال إيطاليا لليبيا في نفس العام ، وقد قاوم العثمانيون والسنوسيون وبقية الشعب الليبي الاحتلال الإيطالي الغاشم ، ولكن الإيطاليين تمكنوا من قهر المقاومة الإسلامية وسيطروا على ليبيا [٣٢].

وبعد أن عجزت الدولة العثمانية عن مد يد المساعدة الفعلية إلى الأهالي ، وفشلت قواتها في مواجهة الموقف اضطرت إلى عقد معاهدة " أوشي لوزان " مع إيطاليا ، والتي انسحبت بمقتضاها من ليبيا في ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ، وتركتها لقمة سائغة للإيطاليين ، كما تركت أهلها يقاومون الاحتلال الإيطالي بمفردهم مقاومة عنيفة لأكثر من ثلاثين عاما .

وبهذه المعاهدة خرجت الدولة العثمانية من ليبيا تاركة الزعامة السنوسية تقف بمفردها في مقاومة الاستعمار الإيطالي ، مما كان له أكبر الأثر في ظهور العديد من النتائج السلبية ومنها :

١ـ أنها أثرت تأثيرا سيئا على حركة الكفاح الليبي نظرا لأن أمال الليبيين كانت معقودة على الدولة العثمانية.

٢ـ وقوع عبء الكفاح ضد الإيطاليين على السنوسيين الذين اعتّبروا أن تنازل السلطان العثماني عن ليبيا بمثابة إعلان الاستقلال للأمارة السنوسية في برقة.

٣ـ اعتراف الدول الكبرى بسيادة إيطاليا على طرابلس وبرقة.

٤ـ هجرة الكثير من الإيطاليين إلى ليبيا بقصد الاستيطان (٣٣).

وبمجرد إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ تزعم السيد أحمد الشريف السنوسي حركة المقاومة في إقليم برقة وترأس مجاهدي السنوسية في هذا الإقليم، وقد نجح في تنظيم قوات المجاهدين ، وفي إعداد حملة حربية بمساعدة بعض الضباط الأتراك ، كما استطاع السنوسيين احتلال السلوم وتقدموا بعدها وأستولوا على مرسى مطروح ، وتوغلوا في الصحراء الغربية واحتلال الواحات المصرية، وانضمت إليهم معظم قوات خفر السواحل وسلاح الحدود المصرية ولم يكن هذا الانضمام ضد مصر بل ضد إنجلترا (٣٤).

ومن المحقق أن الحركة السنوسية حركة دينية وطنية تأثرت بالمبادئ الوهابية ، فوقفت أمام الاستعمار الإيطالي بكل قواها اعتمادا على الإيمان بالله ووحدة العالم الإسلامي ضد سياسة التغلغل الاستعماري خاصة في العالم العربي في ظل ضعف الدولة العثمانية.

الحركة المهدية في السودان

المهدية دعوة دينية ذات أصول شيعية تقوم على فكرة المهدي المنتظر، وهي دعوة انتشرت بين العديد من الفرق قديما وحديثا، وتأتي المهدية في السودان ضمن سلسلة الدعوات التي قامت على أساس فكرة المهدي المنتظر، وهي دعوة دينية وطريقة صوفية وحركة سياسية استهدفت تحرير السودان من الحكم الإنجليزي المصري، عن طريق كسب الأنصار والأتباع وتربيتهم على السمع والطاعة، والولاء للإمام، والزهد والتقشف، وترك القبائح من الأعمال والأقوال [٣٥].

ولكن شتان بين مهدي السودان الذي كانت دعوته من أجل إصلاح حال المسلمين والنضال ضد الاستعمار، وبين المهدية القاديانية أو البابية التي دعمها الاستعمار لتكون عونا له، كما سبقت الإشارة في الفصل الأول.

وأصل أسرة المهدي من الجزيرة العربية، وقد هاجرت فيمن هاجروا من العلويين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وأسرة المهدي تمتد سلسلتها من ناحية الأب إلى الحسن على بن أبي طالب، ومن ناحية الأم إلى العباس بن عبدالمطلب فيما يقال [٣٦].

وفي ١٢ أغسطس ١٨٤٤ وفي جزيرة "لبب" التي تبعد عن دنقلة شمال السودان خمسة عشر كيلو مترا ولد محمد أحمد (١٢٦٠ـ ١٣٠٢ هـ/١٨٤٤ ـ ١٨٨٥م) الذي سيصبح مهدي السودان المنتظر وقائد الثورة التي صهرت السودانيين في بوتقة واحدة، فأوجدت منهم شعبا واحدا للمرة الأولى في التاريخ [٣٧] وقد ولد محمد أحمد من عائلة فقيرة، وكان يعرف باسم الدنقلاوي نسبة إلى دنقلة، وكان والده فقيها عاديا وقد علمه القراءة والكتابة وهو صبي وأخذه إلى الخرطوم، ولكنه مات في الطريق في كريري حيث بنى ابنه له بعد ذلك ضريحا سماه " قبة سيدي عبدالله "

وقد أخذ محمد أحمد يدرس وكانت نفسه تنزع إلى التفقه في الدين فأحبه أستاذه وأوصاه بحفظ القرآن الكريم، ثم سافر إلى بربر وتتلمذ على يد محمد الخير فأتم عليه تعليمه الديني، وكان لذكائه محبوبا من جميع المعلمين[٣٨].

احترف محمد أحمد في شبابه صناعة المراكب بمدينة سنار، ولكن ميله إلى دراسة العلوم الدينية منذ الطفولة، دفعه إلى هجر تلك الصناعة والالتحاق بأحد المعاهد الدينية بالخرطوم[٣٩]، فصار تلميذا للشيخ محمد الشريف وكان رجلا وقورا مشهورا، وكان أبوه نور الدائم صاحب الطريقة السمائية المعروفة[٤٠] ومحمد أحمد "اسم مركب وكان اسم والده عبدالله، وظل يعرف بهذا الاسم إلى أن جهر بدعوة المهدية قبيل سن الأربعين حيث نقش على خاتمة في ذلك الوقت لا إله إلا الله، محمد رسول الله، محمد المهدي بن عبدالله)[٤١]، وكان لتفانيه في التحصيل والعبادة وزهده الظاهر أكبر الأثر في نفوس الذين من حوله، واكتسب بذلك بعض الأتباع، الذين ذهب بهم إلى جزيرة "أبا" وكان له أخوان يعملان في صناعة المراكب على النيل الأبيض هما اللذان كانا ينفقان على إعاشته، ولم يكن هذا الأمر مكلفا لأنه كان صائما جل الوقت، واختار له كهفا على شاطئ النيل الأبيض ليتعبد فيه تقربا إلى الله[٤٢].

وفي هذه الخلوة التي اختارها في جزيرة آبا هرع إليه الأتباع والمريدون عندما علموا بصلاحه، وطاف بأتباعه بعض أنحاء السودان وخاصة في كردفان وكأنه يتحسس الأوضاع السائدة والتعسف التركي، والعمل بغير الشريعة الإسلامية وكانت أولى خطاباته فيها بشائر الدعوة للخير، كما كان فيها الدعوة للاستعداد للقيام بأمر فيه قوام الدين[٤٣].

ابتدأ محمد أحمد المهدي يبشر الناس بمبادئه، ويزرع بذور دعوته. فأظهر عيوب الحكام الأتراك، "أو الترك كما كان يدعوهم" والتزم التقشف، وألبس أتباعه ثيابا

مرقعة، سماها "المرقعية" علامة الزهد، ودلالة التقشف، واعدا إياهم بجنات ونعيم، فانتشر في تعاليمه بسرعة البرق، وأقبل إليه الفقراء المساكين الذين لم يكن لديهم ما يأسفون على تركه من متاع أو متعة [٤٤].

وبعد أن أسر بدعوته بدأ مكاتباته الصريحة في شعبان ١٢٩٨ هـ بأنها المهدية الكبرى التي خصه بها الله، حيث بعث برسالة مطولة يصف فيها مشهد تنصيبه مهديا في الحضرة النبوية إلى حبيبه وصفيه محمد الطيب البصير ويقول له: "لا يخفى عزيز علمك أن من كان لله وخرج من خطه وهاجر إلى الله لا يخشى من شيء ولا يخاف من أحد فإنه منصور ومضمون رزقه [٤٥].

كان جهر محمد أحمد بدعوته في جزيرة آبا في مايو عام ١٨٨١ في عهد الحكمدار محمد رؤوف باشا ، ولكن لم يلبث أن (هاجر) إلى جبال تقلى بكردفان، وفيها انتصر أوائل ديسمبر عام ١٨٨١ على مدير فاشودة في جبل قدير [٤٦].

وقد أرسل رؤوف باشا مندوبا لكي يحضر "محمد أحمد" للخرطوم للمثول أمامه للمساءلة وليفصح عن نواياه، أخطر المهدي بسرعة بتحركات مندوب الحاكم، وقرر تحدي الحكومة ورد على المندوب: "بأمر الله ورسوله أنا سيد هذه البلاد وسوف لن أذهب للخرطوم للمساءلة" وقد أرسل الحكمدار إلى رئيس الحكومة شريف باشا بهذا الأمر [٤٧].

أخذ محمد أحمد في إشهار دعواه بالمنشورات التي كان يرسلها إلى تابعين وغيرهم وهي كثيرة فيها على سبيل المثال حينما كتب له رؤوف باشا عن هذه المنشورات فأجابه محمد أحمد أنها منه لا من غيره وأنه هو المهدي المنتظر: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الولي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله إلى الحكمدار بالخرطوم. وبعد فعلى مقتضى المكاتبة فالأمر المطلوب كشفه أن دعائي الخلق على تقويم السنة

والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد الوجود ﷺ والإعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود ﷺ .... فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله فى الدارين... فمن لم يصدق طهره السيف... وكل ذلك لم أعمل فيه بشيء من نفسى ولا لغرضى وإنما هو من الله وإلى الله ومعلوم قوله تعالي: "أن تنصروا الله ينصركم... الآية ، وقوله ﷺ : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك.... سنة ١٢٩٨ هـ" وقد أرسل الحكمدار إلى مصر ما يفيد ذلك[٤٨] .

كما كان يرسل منشوراته إلى أتباعه يأمرهم بالتجرد عن الدنيا اختيارا بقوله : "أيها الأحباب أن ما عندكم ينفذ وما عند الله باق" [٤٩] كما كان يرسل إليهم المنشورات بحقيقة أمر المهدية وأنه المهدي المنتظر وتجب طاعته [٥٠] كما كاتب القادة والملوك والرؤساء يدعوهم إلى تصديقه والتعاون معه ، فكتب إلى خديو مصر وامبراطور الحبشة وإلى أهالي مراكش ومالي وموريتانيا وإلى سنوسى ليبيا [٥١] ، حيث دعاه إما أن يقوم على رأس جيشه بالزحف صوب مصر لإخضاعها للدعوة المهدية أو الحضور إليه في السودان للعمل معه [٥٢].

على كل حال أعلن المهدي الثورة في السودان نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية والجنسية والإدارية هزت المجتمع السوداني في ذلك الوقت ، وكان من الطبيعي أن تحدث هذه الحركة نتيجة لتقابل مستويين حضاريين مختلفين في السودان هما : مستوى الحضارة المصرية التي كانت قد بدأت تتأثر بالنظم الإدارية الحديثة ، ومستوى الحضارة السودانية البسيطة ، وكان لإدخال نظم إدارية جديدة فى السودان ، وتقرير تشريعات جديدة للتجارة والضرائب وتجارة الرقيق واحتكار بعض الموارد لصالح الحكومة أثرها في هذه الثورة [٥٣] حتى أن كرومر كان يرى أن الحكومة المصرية في موقف صعب لأنها تواجه ثورة عاتية استمدت قوتها من

عنصرين الأول: ديني، والثاني: سوء الإدارة الحكومية في السودان. مما تسبب في كراهية الموظفين للنظام المصري[٥٤].

وقد قامت الحركة المهدية في السودان على مجموعة من المبادئ تتمثل فيما يلي:

١ـ الأمر بالإبتعاد عن الملذات الدنيوية، والعمل على التقشف والزهد.

٢ـ حرم محمد أحمد على أنصاره استخدام فاحش القول وشرب الخمر، وتدخين الطباق والحشيش وكذلك الرقص والاستماع إلى الموسيقى والأغاني، وأوصى بتبسيط حفلات الزواج.

٣ـ أصبحت المهدية حركة تبسيط للعقيدة وتجريدها من الشوائب التي التصقت بها.

٤ـ العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان.

٥ـ رأى محمد أحمد أن توزيع المسلمين بين أربعة مذاهب: شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة، ثم تفريقهم بعد ذلك بين "طرق" صوفية مختلفة، لم يؤد إلا إلى إضعاف الإسلام، وأن الطريق إلى الله واضح في كل من القرآن والسنة[٥٥] وتنفيذا لمبادئه تلك قام بأعمال أنكرها العلماء، حيث أمر بأحراق الكتب إلا الأصول منها كالقرآن والصحيحين وإحياء علوم الدين وغيرها سماها لأنصاره، وتلك الكتب التي أمر بأحراقها في نظره حجبت النور المنبعث من القرآن والسنة، فأبطل العمل بالمذاهب الأربعة لأنها المسئولة عن إقامة السد الحاجز في وجه منبع الفرقان[٥٦].

٦ـ الأمر بقتال الترك واعتبارهم كفارا لمخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ وتجب مقاتلتهم.

٧ـ وجوب الاعتراف به أنه المهدي المنتظر[٥٧] ومن شك في مهديته فقد كفر وماله غنيمة للمسلمين ويهدر دمه.

٨ـ الجهاد في سبيل الله والقوة حماية للحق والعدل، فالسيف في رأيه لم يصنع للزينة وإنما لحماية الحق [٥٨].

٩ـ السير قدما إلى مصر لطرد الأتراك، وتغيير عقيدة العالم كله، فإذا قاومه أحد فقد حق عليه الهلاك سواء كان مسلما أو مسيحيا أو من الملحدين [٥٩].

١٠ـ أعلن المهدي معارضته للطرق الصوفية إلا أن تكوينه النفسي وتشكيله الفكري ظل أسيرا للأفكار الصوفية، ولكن الجديد أنه أعلن ضرورة العودة إلى السلف والاعتصام، بالنصوص الأصلية ، الكتاب ـ والسنة ـ وأسقط خرافات العصور الوسطى وفتح باب الاجتهاد [٦٠].

كان المهدي يفضل الحرب بالسيف وليس بالأسلحة النارية [٦١]، وقد يكون ذلك تشبها بزمن الحروب الإسلامية الأولى، ولكن غاب عنه أن هناك تطور في الحروب وأن السيف لا يمكن أن يواجه الأسلحة النارية وإلا .... ولذلك نجده فيما بعد يستولي على أسلحة العدو المهزوم ويستخدمها في الحروب عندما أدرك أهمية هذه الأسلحة، وأن السيف لا مجال له في هذا الزمن. فعلى سبيل المثال: نجد أن المهديين عندما حاصروا الخرطوم ضربوها بقذائف المدفعية التي غنموها من حملة هيكس حتى دخلوها، حيث انهكت القوات المدافعة عن المدينة [٦٢].

أما عن المرأة فقد أصدر المهدي منشورا خاصا لاتباعهن الشريعة الإسلامية وعدم خروجهن في الطرقات أو الأسواق ومن تفعل فحكمها عند القاضي أو عند حاكم السوق وعند الخليفة عبدالله أول الخلفاء الأربعة والخليفة محمد الشريف ثاني الخلفاء الأربعة، ما عدا البنات الصغيرة أو من انقطع عنها الرجال وحتى الإيماء[٦٣].

كما قام المهدي بتعيين الخلفاء بمثابة الوزراء، كما عين المديرين والموظفين والقضاة، حتى أصبح هناك الدولة المهدية وهو حاكمها كما عين قائدا لجيوشه، ومديرا لبيت المال [٦٤] بعد أن زاد أتباعه وأنصاره بالانتصارات التي حققها على

القبائل السودانية وعلى الجيش التركي المصري، فضم العديد من المدن والقبائل حيث نجد أن أتباعه بعذ موقعة "آبا" في أغسطس عام١٨٨١ كانوا ٨٠٠٠ رجل، وزادوا بعد واقعة الشلالي في مايو من عام ١٨٨٢ إلى ٢٠٠,٠٠٠ رجل [٦٥] وكان لذلك أثره في تحقيق المهدية العديد من الانتصارات، فعلي سبيل المثال:

القضاء على حملة "هيكس" رغم الاستحكامات التي أنشأها هيكس حول الخرطوم في أوائل عام ١٨٨٤ [٦٦] ويسبب سوء الإدارة وكراهية الموظفين للنظام التركي المصري نجد أن كثيراً من المسلمين في السودان يرفضون الاعتراف بالسلطان خليفة عليهم، وحتى في مصر نجد أن كل فرد يعلم أن المهدي ساوى بين المسيحيين والأتراك وأن استخدام اسم السلطان في السودان يعد وهما [٦٧].

والجدير بالذكر أن الحركة المهدية أزعجت السلطان عبدالحميد الثاني وبخاصة أنها أتسمت بسمة الخلافة ، فأصدر منشوراً كذب فيه دعوى المهدية ، وحذر المسلمين من هذه الحركة ، وكذلك أصدر مجلس النظار المصري منشوراً مماثلاً مستنداً إلى فتوى علماء الأزهر في هذا الشأن، ومع ذلك فقد ظلت الدولة المهدية قائمة في حكم السودان، حتى جردت بريطانيا حملة كبيرة بقيادة الجنرال "كتشنر" تمكنت من التغلب على قوات الخليفة عبدالله التعايشي وأسقطت الحكومة المهدية [٦٨].

جمال الدين الأفغاني

هو محمد جمال الدين بن السيد صفتر بن على بن مير رضي الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام ابن مير زين الدين الحسيني القاضي، ابن مير ظهير الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام ابن مير أصيل الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام، وينتهي نسبة إلى علي بن أبي طالب، مارا بواحد من آئمة المحدثين وهو السيد علي الترمذي.

أما والدته فهي السيدة سكينة بيكم بنت مير شرف الدين الحسيني القاضي وهي تنتمي إلى أسرة أبيه، فهي ابنة عمه لأن والدها كان أخا لمير رضي الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام.

وهو من بيت عظيم في بلاد الأفغان، وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد في خطة "كنر" من أعمال "كابل" وكان لهذه الأسرة سيادة على جزء من الأراضي الأفغانية، تستقل بالحكم فيه، وإنما سلب الإمارة من أيديها " دوست محمد خان " (١٢٤٢ - ١٢٧٩ هـ / ١٨٢٦ - ١٨٦٢م) وقد ولد جمال الدين فى قرية " أسعد آباد " من قري كنز في شعبان ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م[٧٠].

إذن هو من السلالة النبوية الطاهرة، ويجري في عروقه الدم العربي الأصيل، أمر " دوست محمد خان " بعد استيلاءه على بلاده بنقل الأسرة كلها إلى كابل فانتقلت الأسرة وهو في الثامنة من عمره، فعني أبوه بتربيته وتعليمه على ما جرت به عادة الأمراء والعلماء في بلاده، فتعلم اللغة العربية، والأفغانية، والفارسية، وتلقى علوم الدين والتاريخ والمنطق والفلسفة والرياضيات فاستوفى حظه من العلوم وهو في الثامنة عشرة من عمره.

ثم سافر إلى الهند وأقام بها سنة وبضعة أشهر يدرس العلوم الحديثة على الطريقة الأوربية فنضج فكره، وكان ميالا إلى الرحلات، واستطلاع أحوال الأمم

والجماعات فعرض عليه وهو في الهند أن يؤدي فريضة الحج، فاغتنم الفرصة وذهب إلى مكة للحج في عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م[٧١].

الجدير بالذكر أن كثير من المغرضين خاصة المستشرقين يثيرون الضباب حول نشأته، هل هو أفغاني أم إيراني؟ وهل هو سني أم شيعي؟ وذلك للتقليل من شأنه بسبب مقاومته العنيفة للاستعمار الأوربي في العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال نوجز بعض الآراء التي تقول بإيرانيته:

١- خصومه في إيران - من الشاه الإيراني مظفر الدين، الذي أمر بكتابة عريضة موقع عليها من بعض الإيرانيين تشهد بإيرانية جمال الدين، وذلك لسهولة إحضاره من الاستانة، للقصاص منه لاتهامه بتدبير مقتل الشاه "ناصر الدين" أثناء زيارته "مشهد عبدالعظيم" ورغم وجود جمال الدين حينئذ بالآستانة، وإنما بنى الاتهام على مقولة قاتل الشاه حينما طعنه: "خذها من يد جمال الدين" كما أن القاتل أحد تلامذة جمال الدين، وقد سجل الواقعة الشيخ عبدالقادر المغربي تلميذ جمال الدين بصحيفة المؤيد عام ١٩٠٩.

٢- أورد الدكتور لويس عوض في دراسته عن الأفغاني "الأيراني الغامض في مصر" وقد أورد لذلك أربعة أدلة لا مجال للحديث عنها[٧٢].

كما يذكر الكسندر شولش: أن جمال الدين "كان في الحقيقة فارسيا شيعيا"[٧٣].

ويقول عنه بيتر مانسفيلد: "هو إيراني من أصل غامض ويعتبر من أهم المثقفين الأشداء الذين أحدثوا تأثيرات هائلة على الإسلام في القرن التاسع عشر"[٧٤].

أما عن أفغانيته، فهو بنفسه أثبت ذلك فيقول في خاطراته للمخزومي باشا: "واضطررت لترك بلادي الأفغان مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض" ويجيب على أرتوارنولدز بصحيفة بال مال في لندن ما ترجمته: "أنا أفغاني أصلا وفرعا وليس لي علاقة بإيران" وهناك أدلة كثيرة للشيخ محمد عبده فيقول عنه "هذا هو

السيد محمد جمال الدين من بيت عظيم في بلاد الأفغان، وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد في خطة كنر من أعمال كابل، ولد في قرية "أسعد أباد" من قرى كنر عام ١٢٥٤، كما توجد أدلة من مفكرين إيرانيين ومحققين أفغانيين وبعض مستشرقين تثبت أفغانيته وكما توجد أدلة على أنه سني وليس شيعي (٧٥).

على كل حال كان للأفغانى الكثير من الرحلات مثل الهند ومصر وتركيا وفرنسا وغيرها.

ففي مصر ساعد وجود جمال الدين الأفغاني منذ عام ١٨٧١ على تفتح الأذهان ونمو المشاعر الوطنية وبدأ كثير من المصريين يتطلعون إلى عهد جديد يقوم على المساواة، وينشد الحرية والحياة الكريمة، فكان الأفغاني يرى أن الحرية والاستقلال لا يوهبان عن طيب خاطر، بل أن الأمم تحصل عليها قوة واقتدارا، وكان يفضل أن يتحول الحكم المطلق إلى الحكم الشورى بإرشاد الحاكم ونصيحته من جانب عقلاء مقربية، ومن رأيه أن النظام الجمهوري فى وقته لا يصلح للشرق نتيجة لتشاؤمه من ممارسات الأحزاب السياسية في الشرق، كما أبدى إعجابه بالمبادئ الاشتراكية التي بدأت تحترم في الغرب، وتوقع أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح، ويعرف الإنسان أنه وأخاه من طينة واحدة (٧٦).

جاء جمال الدين إلى مصر لاجئا مبعدا من الآستانة بسبب انتمائه إلى التيار الإصلاحي الكبير الذي اجتاح تركيا نفسها، وكانت دعوته تقوم على أن بعث شباب العالم الإسلامي يكون ببعث شباب الإسلام أيام مجد السلف الصالح، وكان داعية ثورة واستقلال، وداعية جامعة إسلامية تدين بالولاء للباب العالي، داعية عقلانية واجتهاد وتوفيق بين العلم والدين، وبين الفكر والدين، وبين الدنيا والدين، التف حوله كثير من الناس الذين كانوا من أعوانه أو مريديه، الخديو والمجاور، الجنرال والأديب، وعالم الأزهر والعمدة، اليهودي والنصراني، ففي عام

١٨٧٧ حصل الأفغاني لأديب اسحق على امتياز إصدار جريدة "مصر" وغذاها بمقالاته فصارت شيئا مذكورا (٧٧) .

والتف حوله مجموعة من الشباب المثقف، أزهريين وعصريين، وكونوا ما يشبه الحلقة الدراسية السرية، منهم محمد عبده، وإبراهيم اللقاني وسعد زغلول وعلى مظهر وحفني ناصف وعبدالسلام المويلحي وأديب اسحق ومحمود سامي البارودي وعبدالله النديم وغيرهم.

سعي الأفغاني إلى العمل المنظم، عن طريق تكوين جماعة ذات نظام ودستور وأهداف تكسب الأنصار والأعوان ولم يجد أمامه سوى النموذج الماسوني، فأنشأ محفلا تابعا للشرق الفرنسي، وهذا دليل على ذكائه وعلى موقفه الاجتماعي ومنهجه في العمل، فالأفغاني مثقف ليبرالي، يكره الظلم والطغيان ويسعى إلى الإصلاح للعالم الإسلامي ويؤمن بالتعليم وسيلة لذلك (٧٨).

وكانت هناك دعوات إلى التضامن الإسلامي والجامعة الإسلامية، عندما شعر المفكرون الإسلاميون أن العالم الإسلامي أصبح نهبا للدول الاستعمارية ولكنها لم تتخذ شكل " الحركة " حتى دعا إليها جمال الدين الأفغاني، حيث كرس فكره ولسانه وقلمه للدعوة إلى الجامعة الإسلامية ليس في قطر بعينه وإنما عبر الأقطار الإسلامية وبين العجم والعرب بل وبين الأوربيين أنفسهم.

لقد جاءت دعوته في الوقت الذي كان فيه السلطان عبدالحميد الثاني يعاني من النهب الاستعماري الاقتصادي والسياسي والتوسعي وأصبح في حاجة ماسة إلى نظرية تجمع رعيته تحت مظلته، وتعتبر الدعوة إلى الجامعة الإسلامية شكلا من أشكال السلفية.

والحقيقة أن رؤية الأفغاني للجامعة الإسلامية كانت أكثر تقدما من رؤية عبدالحميد الثاني ، فالأول نادى بجامعة إسلامية دستورية ، بينما الثاني كان يريد

جامعة إسلامية يتمتع هو بزعامتها كخليفة للمسلمين ظل الله على الأرض له الكلمة الأولى والأخيرة ، بينما كان العصر عصر الحكومات الدستورية البرلمانية القومية، ومن ثم كانت نظرية عبدالحميد الثاني لا تنسجم مع العصر، إذ كان ضد النظام الدستوري وضد التمثيل النيابي (٧٩). لذا أصدرت تركيا قرارا بنفي الأفغاني (٨٠).

أما عن المحفل الماسوني الذي أنشأه الأفغاني في مصر عام ١٨٧٦ ، فقد ضم عناصر من المثقفين وضباط الجيش وعلماء الأزهر وعدد من المكافحين عن الحقوق في مجلس شورى النواب في كل من القاهرة والإسكندرية، ومنهم ولي العهد محمد توفيق، وبعض كبار الموظفين(٨١).

وكانت الحركة الماسونية حتى ذلك الوقت تتمتع بسمعة طيبة لأنها ترفع شعارات الثورة الفرنسية (الحرية ـ الإخاء ـ المساواة) وتناضل ضد الأفكار الاستبدادية والسلطة الرجعية، وتعمل على فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية، وكانت تتسم بروح التسامح والتعاطف الإنساني، وتبتعد عن التعصب للجنس أو الدين، ولم تكن قد انكشفت صلاتها بالاستعمار والصهيونية، لذا انضم لها الأفغاني وحاول أن يستفيد من طاقة وقوة المحفل الماسوني في مصر، وكان تابعا للمحفل البريطاني ـ في خدمة أهداف التحرر والديمقراطية، ولما طالب بتطبيق شعارات المحفل، قالت قيادة المحفل: "أن الماسونية لا دخل لها في السياسة". فثار الأفغاني وأدرك ما بين المحفل والاستعمار والاستبداد من صلات، لذا أنشق عن المحفل البريطاني، وكون محفلا وطنيا شرقيا ذا علاقة بالمحفل الفرنسي، وبلغ عدد أعضاء المحفل الوطني ثلاثمائة عضو(٨٢).

ومما لا شك فيه أن أعمال الأفغاني في مصر لم تقتصر على المحافل ، وإنما كانت له أعمال وطنية كثيرة ، فقد أهتم بالتعليم وأخذ يدرس فى بيته لكل من يرد إليه ، ثم كان يتحدث ويشرح لكل من يلتف حوله في المقهى التي يجلس إليها ، وكان

طلابه في المنزل غالبيتهم من طلاب الأزهر، أما في المقهى فقد كانوا من الساسة والصحفيين والشعراء ورجال الثورة المقبلين ومنهم البارودي والمويلحي ومحمد عبده وغيرهم [٨٣] فروح الأفغاني كان لها الأثر البالغ في نهضة العلوم والآداب في مصر، و يفوتنا هنا أن مصر بما فيها من الأزهر والمعاهد العلمية الحديثة، والتقدم العلمي كانت على استعداد لتقبل دعوة الحكيم الأفغاني، ولولا ذلك لأخفق في مصر كما أخفق في الآستانة [٨٤].

بالإضافة إلى ذلك كان الأفغاني وراء ظهور الصحف الجديدة التي أصبح لها صدى قوي نتيجة لشدة اهتمام المثقفين بأحداث الحرب الروسية التركية ١٨٧٧/ ١٨٧٨ التي جعلت الأفغاني يوقف دروسه لمدة ستة أشهر إظهارا لجزعه على مصير الإسلام فيما لو انهارت الدولة العثمانية [٨٥].

لم يدر بخلد الأفغاني أن يشعل ثورة من جموع الشعب ، لكنه أراد أن يجمع حوله قيادة واعية ، وكان هدفه الأمثل هو كسب توفيق خديوي إلى صف جماعته، وما أن أطيح بإسماعيل وبمجرد توليه توفيق السلطة أمر بطرد الأفغاني من مصر [٨٦] فقبض عليه في ليلة السادس من رمضان ١٢٩٦هـ - ٢٤ أغسطس ١٨٧٩م ونفي إلى الهند [٨٧] ليتخلص توفيق من المد الثوري الذي شارك في وضع بذوره الأفغاني منذ عام ١٨٧١ ، بعد أن كان توفيق يقول للأفغاني قبل توليه الخديوية "إنك أنت موضع أملي في مصر أيها - السيد" [٨٨] .

وعندما سافر الأفغاني إلى باريس كتب إلى الشيخ محمد عبده الذي كان منفيا في بيروت عقب إخماد الثورة العرابية يطلب منه الحضور إليه والإقامة معه فوافق محمد عبده على طلبه وسافر إلى باريس وهناك أسسا جمعية العروة الوثقى وهي جمعية إسلامية عالمية هدفها إعادة أمجاد الإسلام والعمل على تطهير عقائده ، ولكي تنتشر هذه الجمعية أفكارها أسس الأفغاني ومحمد عبده جريدة " العروة

الوثقى " التى صدر العدد الأول منها في ١٣ مارس ١٨٨٤ وكانت أفكار المقالات التي صدرت باسم هذه الجريدة للأفغاني أما الأسلوب والعبارة فكانا لمحمد عبده فخرجت بليغة العبارة كثيرة المباحث، وقامت الجريدة بمحاولة تقوية العلاقات بين الأمم الإسلامية، وبيان المنافع المشتركة بينها، كما قامت بالرد على التهم التي كانت توجه إلى الشرقيين عامة، والمسلمين خاصة، فكانت نبراسا لكل مناضل يكافح في سبيل حرية وطنه [٨٩].

ولذا كان الشيخ "محمد عبده" من أبرز تلاميذ "جمال الدين الأفغاني" ممن عدوا امتدادا لجهوده وأفكاره.

وقد لد عام ١٨٤٩ في قرية مصرية (محلة نصر) مركز شبراخيت، مديرية البحيرة، حيث درس في كتاب القرية، ثم في معهد طنطا، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر في ١٨٦٦، وهنا تظهر شخصيته، فلم يقنع بالعلوم الدينية واللغوية بل أضاف إليها العلوم الطبيعية وما استطاع أن يصل إليه من مستحدثات الحضارة الأوربية [٩٠] ومما سبق يتضح أنه تتلمذ ودرس على يد أستاذه جمال الدين الأفغاني.

تقلد محمد عبده عدة مناصب منها أنه عين أستاذا بأحد المعاهد لكن القائمين على الحكم أبعدوه عن وظائف التعليم عندما وجدوه مؤمنا بقوة التعليم وقادرا على بث هذه القوة في نفوس الناشئين من الطلبة الذين سيفعلون مثله في المستقبل، وهذا ما يمثل خطرا عليهم واختاروا له بعد ذلك وظيفة القضاء.

ولعل صلته بالأفغاني جعلته مؤلفا جريئا حيث دفعه إلى الحياة العامة ودراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات وعلم الكلام والأخلاق والسياسة وغيرها، مما لم يكن له مكان في مناهج الأزهر، وكان من آثر الأفغاني عليه أن اتجه محمد عبده إلى الإصلاح فشرع يكتب في جريدة الأهرام فصولا متتابعة تشتمل على فصول الدعوة الإصلاحية، كما تولى تحرير جريدة الوقائع (الجريدة الرسمية) [٩١].

رأى البعض أن محمد عبده كان مصلحا أخلاقيا ووسيلته الدين، كما ذهب البعض إلى أن الإصلاح عنده كان إصلاحا سياسيا، فهو زعيم سياسي سعى لمقاومة الاستعمار ولمعارضة النفوذ الأجنبي في دائرة العالم الإسلامي العربى، وعنده أن العلم هو سر تقدم الغرب ولا سبيل للإلحاق بالركب إلا بأخذ هذا العلم الغربى المتقدم، وإذا كان المسلمون متقدمون في الماضي ونجحوا في تحقيق نهضة هائلة أخذ عنها الغرب في بداية صحوته إلا أن الوضع اختلف في العصر الحالي، فلم يعد أمامهم إذا أرادوا التقدم إلا أن يأخذوا من الغرب، كما أخذ هو عنهم في الماضي فالعلم لا وطن له.

أما التربية فهي العامل الثاني بعد التعليم عند محمد عبده لتحقيق الإصلاح، فإذا كان العلم لا دين له ولا وطن، ولذا من اليسير أخذه عن الغرب بلا حرج، فالقيم التي تهدف التربية إلى غرسها في النفوس تختلف من حضارة لأخرى ومن دين لآخر، وقد أختار أن تكون التربية إسلامية لأن العقيدة شديدة التأثير في النفوس، وهذا التأثير يعمل عمله في العامة والخاصة على السواء[٩٢].

وتبلغ الدعوة إلى العلم - عند محمد عبده - حين يقترح إنشاء مدرسة تختص ببيان فوائد العلم، وأضرار الجهل، وهو يبين أن قضية الدعوة إلى العلم قد أصبحت بالنسبة إليه قضية حياة، كذلك فإن العلم هو أساس ازدهار الثروة والمحافظة عليها، ويستدل على هذه المقولة بأن خصوبة أرض مصر، واعتدال مناخها وتحمل أبنائها مكابدة العمل تعد عناصر يمكن أن تجعل مصر دولة غنية[٩٣].

أما جانب الإصلاح السياسي عند محمد عبده فإنه كان يؤمن بالتدرج في الإصلاح السياسي، ويرى أنه يجب البدء بالأخذ بيد الأمة اجتماعيا، ويأتي ذلك بنشر التعليم الصحيح بين أفراد الشعب، كما كان يرى أن الإصلاح الذي يتمشى

مع نفسية المصريين هو الذي يأتي عن طريق الدين، وأن الدعامة الأولى لإصلاح الدين هي إصلاح الأزهر الشريف.

ومن الطبيعي أن يقف في سبيل الدعوات الإصلاحية أعداء من كل لون، فإذا كان محمد عبده يرى أن إصلاح التعليم هو طريق جلاء المستعمر، فإنهم يرون أن جلاء المستعمر هو طريق التعليم(٩٤).

كما دعا محمد عبده إلى الاجتهاد، ووسيلة الاجتهاد العظمى عنده هي التأويل الذي من شأنه المحافظة على حيوية الإسلام المتجددة التي وهبها الله للدين الحنيف، وقد استخدم محمد عبده التأويل لإبراز بعض المفاهيم الإسلامية التي من شأنها تحرير إرادة الإنسان(٩٥).

وإذا كان الأفغاني يرى ضرورة إثارة مشاعر المسلمين ورعاياهم من المسلمين وتعبئتهم من أجل محاربة الدول الأوربية، فإن محمد عبده كان يرى أنه ينبغي على المسلمين أن يركزوا أولا على الإصلاح الديني والتعليمي علاوة على الاقتداء بالحضارة الأوربية التي تتمشى مع الإسلام، وأن الإسلام لا يتعارض مع أسس الفكر الغربي، وأوضح أن الشورى في الإسلام ليست سوى الديمقراطية البرلمانية عند الغرب.

ولما عاد محمد عبده إلى مصر في عام ١٨٨٨ ركز جهده على تطبيق الإصلاح التعليمي والقانون والتشريعي، وبعد أن تولى المفتي الأكبر في مصر فإنه حول المفهوم الذهني عن المصلحة إلى إجراءات عملية تتمثل في وضع قوانين ترتكز على المبدأ الشامل للأخلاقيات العامة(٩٦).

عمل محمد عبده مع الأفغاني كما سبقت الإشارة في مجلة العروة الوثقى وكان الهدف منها إرشاد المسلمين بالقرآن، وتوجيه جميع الشعوب الإسلامية إلى استغلال

بلادهم واتحادهم، وترك عصبيات المذاهب والجنسيات، كما تبنت المجلة مبدأ صيانة تبعية مصر للدولة العثمانية حتى يمكن طرد الإنجليز من مصر(٩٧).

وكان للعروة الوثقى مواقف من المطالب المصرية القومية العامة وقد تمثلت في الآتي:

١ـ سبيل الاتحاد هو الاتفاق حول الدين.

٢ـ الدين فوق الجنسية.

٣ـ بيان النموذج السلفي لقوة الأمة باتحادها حول الدين.

٤ـ بيان شروط الحاكم الذي يظهر وكأنه يقوم بالدور الأساسي في ترابط الأمة على المستوى الزمني.

٥ـ بيان دور العلماء إلى جانبه الحاكم.

أما موقف العروة الوثقى من المطالب الاجتماعية فكانت كالتالي :

١ـ رفع الظلم والعمل بالعدل في مرافق العمل العام.

٢ـ الإصلاح العام.

٣ـ تحقيق التقدم والتمدن.

٤ـ العناية بالتعليم(٩٨).

دور الأزهر والقرويين والزيتونة

كان لبعض المساجد الكبيرة في البقاع الإسلامية دور في نشر العلوم والدفاع عن الهوية الإسلامية، والتصدي للاستعمار بأشكاله، وقد أصبحت هذه المساجد بمثابة جامعات كبرى يقصدها الطلاب من شتى بقاع الأرض، وسوف نتناول ثلاثة من هذه المؤسسات ونعرض لأدوارها فيما يلي:

أ - دور الأزهر:

أن كل من يتحدث عن الأزهر يعترف بأنه حامي حمى الإسلام، والمدافع عن القيم والمبادئ الإسلامية، والمحافظ على لغة القرآن الكريم حتى في العصور التي ساد فيها التخلف، أو سيطر فيها الاستعمار على عالمنا العربي والإسلامي، ولا أحد ينسى كيف حاول السلطان سليم تخريب الأزهر بإبعاد علمائه والاستيلاء على كتبهم ومخطوطاتهم، كيف عمل اللورد كرومر طاغية الاستعمار البريطاني القضاء على الأزهر بإبعاد خريجيه عن الوظائف العامة أو بضم الأزهر إلى وزارة المعارف، ولم ينجح حكام مصر من أسرة محمد علي في هدم الأزهر بمحاربة رواد الإصلاح من رجاله، حتى تخلف الأزهر وعاش فترة من الزمن يعاني من الجمود والتشدد وعدم القدرة على مسايرة الزمن، وفي كل هذه المحاولات كان الهدف منها إبعاد الأزهر عن موقع القيادة والتأثير، وتحويل أكبر قلعة للإسلام إلى قلعة للجمود والتخلف لكي يبقى الإسلام والمسلمون بعيدا عن دائرة التأثير وعن التقدم الحضاري[٩٩].

وإذا ما ذكر الإصلاح في الأزهر فلابد من اقترانه بالشيخ "محمد عبده" لأنه صاحب الدعوة المدوية إلى الإصلاح وواضع الأساس الوطيد في صرح هذا الإصلاح، وترتب على الدعوة الإصلاحية التي نهض بها محمد عبده كثير من التغيير

في النظم الأزهرية، منها تدريس العلوم الحديثة بجانب تدريس علوم السلف والدين، والعناية بالشئون الصحية والمرتبات[١٠٠].

ومنذ أن أنشئ الأزهر تكونت له على مر السنين والقرون حرية كبيرة وقداسة عظيمة، فقد كان ملجأ اللاجئين وملاذ الخائفين الذي يحتمون ببقائه من حاكم مستبد أو وال قاس.

وليست مكانة الأزهر قاصرة على نفوس المصريين فقط، بل كان ولا يزال لهذا الصرح العظيم مقام لا يدانيه مقام في نفوس أهل الشرق والعالم الإسلامي، كما أننا لا نغفل حقيقة واقعة هي أن اللغة العربية، استكنت داخل الأزهر طيلة الحكم العثماني لمصر، ثم ابتدأت بمجرد انقشاع ذلك الحكم في الظهور والنمو، فقد استمرت مصر ملاذا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية، يؤم هؤلاء الطلاب من جميع البلاد الإسلامية، وهكذا استطاع الأزهر منذ أوائل القرن التاسع عشر أن يحيا حياة جديدة، وكانت مهمة الأزهر تلك في الاحتفاظ باللغة من الصعوبة بمكان، بل يعتبرها المؤرخون أعظم ما وفق الأزهر لإسدائه من خدمات لعلوم الدين واللغة والفقه[١٠١].

ناهيك عن دور الأزهر في التصدي للحملة الفرنسية على مصر، والتي كان من أهم أهدافها إنشاء إمبراطورية في الشرق تكون قاعدتها مصر ـ أن التوسع في المنطقة العربية والشرق الأوسط كله امتدادا للحروب الصليبية على العالم الإسلامي، بل والوصول إلى الهند لاستعادة الأملاك الفرنسية من الإنجليز، ويتضح ذلك من مذكرات "نابليون بونابرت" حيث يقول: لقد كان بوسعي أن أحلم بكل شيء، وأن أرى وسائل تحقيق ما حلمت به، سوف أؤسس ديانة وسأجد نفسي على طريق آسيا، راكبا فيلا، وعلى رأسي عمامة، وبين يدي قرآن جديد أؤلفه على هواي،

وسوف أجمع في مشاريعي بين تجارب وخبرات العالمين، نابشا لحسابي ملكوت جميع التواريخ والقصص، مهاجما الجبروت الإنجليزي في الهند[١٠٢].

فكان للأزهر دور هام في حماية مصر والعالم الإسلامي من خطر نابليون، فقد تصدى الأزهر للحملة، وهبت ثورة القاهرة الأولى من داخله مما أدى إلى ضرب الفرنسيين له بالمدافع ودخولهم الجامع الأزهر راكبين خيولهم وعاثوا بالأروقة وكسروا القناديل والسهارات، ومن طلبة الأزهر "سليمان الحلبي" الذي قتل كليبر قائد الحملة بعد نابليون.

لقد قاد الأزهر الحركة الوطنية ضد الفرنسيين والطغاة، وكانت له زعامة الشعب وقيادة الحركة العلمية والعقلية في البلاد، كما كان الأزهر مساندا لثورة القاهرة الثانية[١٠٣].

وقد استعان محمد علي بالأزهر في نهضته، واعتمد عليه في تحقيق غايته وبلوغ رسالته، فاستمد من الأزهر البعوث العلمية التي أرسلها إلى أوربا، ومن الأزهر استمرت المدارس التي أنشأها لتحقيق أسباب النهضة، وأبناء الأزهر هم الذين ألفوا الكتب في العلوم الحديثة، ونقلوا من علوم الغرب وثقافاته فازدهرت بهم الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية في شتى ألوانها[١٠٤].

وقام الأزهر بنصيب كبير في إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبدالله الشرقاوي منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب وإلزام الوالي باحترام هذه الحقوق، كما غذى ثورة عرابي وكان له دور كبير فيها[١٠٥].

وكان الأزهر ولا يزال صرحا عظيما يأتي إليه طلاب العلم من كل أقطار الأرض ينهلون من ورده، ويقبسون من نور علمه.

وقد ظل الأزهر طول حياته سوقا للعلوم اللسانية وسياجا للغة الفصحى يوحدها في البلاد العربية ويشد أزرها في مختلف أقطارها، وجعل لمصر مكانا ممتازا وسلطانا أدبيا وزعامة موقورة على شعوب العالم الإسلامي [(١٠٦)].

واهتم الأزهر بالإضافة إلى ما سبق بسكن طلاب العلم فيه، وأنشأ لهم الأروقة مثل: رواق الصعايدة ورواق الشوام ورواق الحرمين، ورواق الجاوه ورواق السليمانية والمغاربة والسنارية والأتراك واليمنية والأكراد والهنود والبغدادين ورواق الحنابلة وغيرها من الأروقة الخاصة بطلاب بلدان العالم الإسلامي[(١٠٧)].

ليس هذا فحسب، بل رتب الأزهر لهؤلاء الطلاب الجراية لغذائهم وكانت تصرف من أوقاف الأزهر[(١٠٨)]، وأصبح في كل أنحاء العالم الإسلامي أزهريون يعملون على نشر الإسلام واللغة العربية ويدافعون عن ذلك.

ب. جامع القرويين:

يقع في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ويرجع إليه الفضل في استمرار الوجود الإسلامي في تلك البلاد، وفي حفظ اللغة العربية والتعاليم الإسلامية ونشرها في سائر أطراف أفريقيا، وقد أنشئ عام ٢٤٥ هـ، ٨٥٩ م، وظل يؤدي دوره كمصدر إشعاع إسلامي دون إنقطاع، ولم يتعرض إلى ما تعرض إليه الأزهر، أو جامع الزيتونة، وهو من أغنى المساجد الإسلامية من حيث فسحة أراضيه، وكثرة عقاراته، حتى أن الدولة كانت أحيانا تلجأ إلى أمواله تأخذ منها وقت الشدة لتغطي عجزها، وقد تميز بعراقة آثاره، فمئذنته من أقدم المآذن، ومنبره من أثرى وأقدم المنابر، وحوت خزائنه ومكتبته الأحمدية عيون المخطوطات، ونوادر المؤلفات، وقد ازدهرت فيه الحياة العلمية بسبب وفرة الكتب النفيسة فيه، وقد شيدت بجانبه مدارس داخلية لاستقبال الطلاب، بها قاعات الدراسة الفسيحة، وسكني الطلاب، وكانت حلقاته مقصد طلاب العلم من كل المغرب، وكذلك فروعه المنتشرة في مدينة

فاس، وقد درست فيه كتب العلماء المشارقة في طوره الأول، ثم الكتب المترجمة فيما بعد، حيث أصبحت لهم مؤلفاتهم التي كانوا يبعثون بها إلى المشرق، وأصبح أثرهم واضحا في رواج الحركة العلمية في المغرب.

وقد لمعت أسماء بعض من تلقوا العلم في القرويين من أمثال ـ ابن العربي وابن بطوطة، وابن خلدون وغيرهم ممن أثروا تراث الأمة الإسلامي الثقافي وقد كان لعلمائه مشاركتهم في إحداث بلادهم السياسية والعسكرية [١٠٩].

وتحولت فاس إلى مركز ثقافي مزدهر، ينبثق منه تيار الفكر المغربي الموحد، ومن فاس انبعثت أشعة التجديد الفكري، القائم على الجهود القروية، وبدأ الاهتمام بدراسة علم الهندسة، كما شملت الحركة الفكرية، في المغرب نوعا أخر من الدراسات، هو كتابة التراجم وخاصة المتصل منها بحياة الأولياء والصالحين والمجاهدين لتكون بمثابة العبر والعظات لأبناء المغرب في مواجهة موجات الغزو الأسباني الشرسة [١١٠].

وبسبب الاستعمار الأوربي لبلاد المغرب، انتشرت الاضطرابات عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م في البلاد، وأشرف المقيم العام على إخماد هذه الاضطرابات بنفسه، ولكنه واجه بعد قليل حملة عنيفة بدأت في المساجد، وجرت اعتقالات في جامع فاس (القرويين) وأصدر الوزير الأعظم قرارا بمنع استعمال المساجد في أغراض سياسية[١١١].

ومن مشاهير الجامع في المجال السياسي والعسكري الأمير عبدالكريم الخطابي الذي درس العلوم العربية والدينية في فاس، ثم أقام في مليلة ثم أخذ يحرر في بعض الجرائد [١١٢].

واستمر جامع القرويين في نضاله ضد الاحتلال الذي اضطر السلطان على توقيع بعض المراسيم في ٢٩ جمادي الأول عام ١٣٧١ هـ/١٩٥٢م بعزل بعض

أعضاء ديوانه، وعزل رئيس جامعة القرويين في فاس[١١٣] ولا يزال جامع القرويين يؤدي دوره في خدمة الإسلام والمسلمين والذود عنهم في المغرب وخارجه.

جـ. جامع الزيتونة :

أنشئ هذا الجامع عام ١١٤هـ/٧٣٢ م، وكانت القيروان هي العاصمة الحضارية الأولى في المغرب العربي، وفي خلال القرن الخامس الهجري بعد الزحف الهلالي انتقل مركز الإشعاع الفكري إلى جامع الزيتونة بتونس ومنذ ذلك التاريخ يعتبر جامع الزيتونة مقصد طلاب العلم والمعرفة من جميع أقطار المغرب وأفريقيا الإسلامية [١١٤].

واعتزت تونس بكونها قصبة من قصبات العروبة والإسلام في شمال أفريقيا، واعتزت بأن بلادها تحتضن جامعة الزيتونة ، أقدم الجامعات الإسلامية في العالم العربي، وهي التي أخرجت عددا من الرجال يعتزون بعروبتهم وبإسلامهم، وكانت تونس قد أفادت كذلك من حركة الإصلاح التي قام بها خير الدين باشا التونسي الذي دعم الروابط التونسية بالدولة العثمانية، دولة الخلافة الإسلامية [١١٥].

ومن أشهر القادة الزيتونية العظام الشيخ عبدالعزيز الثعالبي زعيم الحركة الوطنية في تونس ومؤسس الحزب الحر الدستوري القديم. ولا شك أن جامع الزيتونة قد لعب دورا كبيرا منذ أنشائه في القرن الثاني للهجرة في تثبيت دعائم الثقافة العربية والإسلامية بطرق ووسائل مختلفة.

ومما لا شك فيه أن كل عمل نضالي ضد قوى الاستعمار الأجنبي بالبلاد تمتد جذوره الأولى إلى جامع الزيتونة بصفته الأمين على التراث القومي والحضارة العربية الإسلامية ، ولعل أقدم عمل إصلاحي عرفته الزيتونة هو إنشاء معهد (الخلدونية) ليكون تابعا لها ومتعاونا معها على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة العلوم العصرية [١١٦] .

وبذلك فإن جامع الزيتونة كان له أكبر الأثر في الحركة الفكرية في تونس، وبلاد المغرب الأخرى، وأخرجت هذه المراكز عددا كبيرا من العلماء الأفذاذ على مستوى المغرب العربي، نظرا لحركة التبادل الثقافي التي كانت قائمة بين بلدان المغرب، وكانت السمة العامة للحركة الفكرية في تونس هي السمة الدينية التي كانت تدعو إلى التمسك بأمجاد الماضي والاستعداد للحاضر والمستقبل(١١٧).

وقد عملت فرنسا على محاربة اللغة العربية والفكر الإسلامي، كما اتجهت لنشر اللغة الفرنسية وتشجيع التنصير، وقطعت الإعانات عن المدارس الإسلامية، فضعفت وانقضت أكثرها ولم يبق إلا جامعة الزيتونة تصارع الأحداث وتناضل للبقاء، وفرضت فرنسا الأحكام العرفية على تونس أكثر من عشرين عاما صادرت خلالها حرية الفكر وحرية النشر والاجتماع، إلا ما يؤيد أغراضها، ويحقق أهدافها(١١٨).

وفي عام ١٩٣٢ التف الطلبة الزيتونيون ومدرسوهم حول الحزب الدستوري القديم في مناهضته لقانون التجنيس الذي أصدرته الحكومة الفرنسية قصد فرنسة التونسيين، وساهموا مساهمة فعالة في إظهار ما يهدف إليه هذا القانون من تقسيم الشعب، وإذابة العنصر الوطني في الكيان الفرنسي، كما لعب رواد الزيتونة في حركة الإصلاح الاجتماعي والثقافي، وفي مقدمة هؤلاء أبو القاسم الشابي والطاهر الحداد، وكانت الحركة العمالية والاجتماعية بتونس في نشأتها زيتونية، ووجدت من أبناء الزيتونة من الرعاية ما مكنها من الاستمرار في السير في طريقها الوطني الصحيح ومن تحمل أعباء النضال النقابي الوطني ضد القوى الاستعمارية الغاشمة وواجه أعضاءها التهديد والإرهاب وحتى الاختطاف والاغتيال وما ضعفوا وما استكانوا.

وعلى أثر الإضراب العام الذي أعلنه مدرسوا الزيتونة في نوفمبر من عام١٩٤٣ وأجبروا فيه السلطات الاستعمارية على الاستجابة لمطالبهم ومنحهم حقوق موظفي

الدولة بعد أن أيدهم الشعب تأييدا كاملا بالمظاهرات، شعر الطلاب بالزيتونة بالارتباك الذي حدث للاستعمار فتشجعوا وأقبلوا على تكوين الجمعيات الطلابية فأسسوا في عام ١٩٤٤ جمعية "مكتبة التلميذ الزيتوني" وبعد ذلك جمعية "القواد الزيتوني" التي أصبحت فيما بعد تسمى باسم "الأخوان الزيتونيين" وأسهمت كل منها في توحيد الطلبة وتنظيم صفوفهم والرفع من مستواهم [١١٩]، وبذلك فإن دور الزيتونة مشابه لدور الأزهر الشريف في مصر، سواء في المجال الفكري أو السياسي.

وتعد موافقة الحكومة آنذاك على برنامج الإصلاح الزيتوني انتصارا عظيما للزيتونة، ورجال الإصلاح فيها، وإثر أحداث الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين وما صحبه من تحمس شعبي عام لقضية العرب بفلسطين ودعوة إلى مقاومة الصهيونية والرفض لقرار التقسيم، شددت الحكومة قبضتها على الزيتونة التي كانت تعتبرها بؤرة لحركة القومية العربية، ومصدر التحريك الشعبي، فأخذت تعمل على عرقلة الإصلاح الزيتوني، وفي هذا الجو المليء بالأحداث الخطيرة، شعر الطلبة الزيتونيون بضرورة تكوين تنظيم قوى يدافع عن مصالحهم ويساهم في حركة النضال الشعبي الذي تخوضه البلاد لنيل حريتها والدفاع عن عروبتها فكونوا منظمة أطلقوا عليها اسم "منظمة صوت الطالب الزيتوني" وقام طلبة المنظمة بتنظيم الإضرابات وقيادة المظاهرات واصطدموا مع السلطات الاستعمارية وسقط منهم العديد شهداء.

على كل حال فإن جامع الزيتونة حمل لواء الثقافة القومية مالا يقل عن أثنى عشر قرنا ونصف، وحافظ على مقوماتنا الحضارية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة العربية والإسلامية مهددة بالمحو، والشخصية القومية عرضة للمسخ [١٢٠]، وكان وما زال جامع الزيتونة يحمل مشاعل الثقافة العربية الإسلامية ومنه تخرج المشاهير في مختلف مجالات العلم فكما أصبح الجامع الأزهر جامعة دينية وعصرية، كذلك جامع الزيتونة أصبح جامعة دينية وعصرية تفد إليها طلاب العلم من كثير من إنحاء العالم الإسلامي.

هوامش الفصل الرابع

١ـ د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: تاريخ العرب الحديث المعاصر، دار الكتاب الجامعي ، طـ ٥، ١٩٩٠ ص ٦٣.

٢ـ جورج يانج : تعريب ، على أحمد شكري: تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٩٠ ، مرجع سابق ص ١٠٧.

٣ـ د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مرجع سابق ص ٦٣ ـ ٦٥.

٤ـ نفسه.

٥ـ د. عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: دراسات في تاريخ العالم العربي الحديث المعاصر، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ، ١٩٩١، ص ١٣٨.

٦ـ د. فرغلى على تسن: تاريخ مصر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة، والنشر إسكندرية ٢٠٠١، مرجع سابق ص ١٧٣.

٧ـ الرافعي ، مرجع سابق ص ١٢٢ ، ١٢٣.

٨ـ جورج يانح مرجع سابق ص ١٠٨.

٩ـ د٠ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مرجع سابق ص ٧٥ ـ ٧٧ .

١٠ـ د٠ فرغلى على تسن: ص ١٧٣ ـ للمزيد أنظر ،عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد على ، دار المعارف، طـ ٥ ، ١٩٨٩ ، مرجع سابق ص ١٢٢.

١١ـ تاج السر، مرجع سابق ص ١٠٨ ، ١٠٩.

١٢ـ جورج يانج، مرجع سابق ص ١٠٨.

١٣- د. فرغلي علي تسن، مرجع سابق ص ١٧٣.

١٤- د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مزجع سابق ص ٧٨، ٧٩.

١٥- د. عبدالله محمد عزباوي: علاقات مصر الثقافية مع دول البحر الأحمر في القرن الثامن عشر، بحث في سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس بعنوان البحرالأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣١٩، ٣٢٠.

١٦- ذو قان قرقوط: تطور الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥ - ١٩٣٦ المؤسسة الغربية للدراسات والنثر - بيروت، ١٩٧٢، ص ٩٦.

١٧- الرافعي، مرجع سابق ص ١٢٢.

١٨- د. محمد حسن العيدروس: تاريخ الجزيرة العربية الحديث المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦، ص ١٧٩.

١٩- نفسه، مرجع سابق ص ١٨٢.

٢٠- د. الجميعي، مرجع سابق ص ١٤١.

٢١- طارق عبدالعاطي غنيم بيومي: سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ٦٧.

٢٢- د. فرغلي على تسن: مرجع سابق ص ١٧٤، ١٧٥

Edward s . Creasy M.A .: History of the Ottoman Turks London 1878 , p 466

٢٣ـ حسام محمد عبدالمعطي: العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، مرجع سابق ص ٥٨

٢٤ـ Creasy : op . cit , p 466

وانظر دليب هيرو مرجع سابق ص ٨٥

٢٥ـ د. فرغلي على تسن، مرجع سابق ص ١٧٤ ـ وللمزيد أنظر د. على حسن الخربطلي، التاريخ الموحد للأمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠: ص ١٩٧، كريم ثابت: محمد على، مطبعة المعارف، مصر (ب، ت) ص ٦٦، ٦٧، د. عمر عبدالعزيز عمر: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠ ـ ص ١٦٧، الرافعي، ص ١٢٦ ـ ١٣٠.

٢٦ـ د. فرغلي علي تسن، مرجع سابق.

W.B . Fisher , The Middlle East . Printed In Great Britain 1952 , pp , 31- 34 ,

٢٧ـ د. عبدالرحيم، عبدالرحمن، عبدالرحيم، مرجع سابق ص ١٠٠ ـ ١٠٢

٢٨ـ د. جلال يحي : العالم العربي الحديث ، الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين. مرجع سابق ص٥٤٧.

٢٩ـ د. إسماعيل أحمد ياغي : محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، جـ ٢ ، دار المريخ للنشر، السعودية، ١٩٩٣، مرجع سابق ص ٧٢، ٧٣.

٣٠ـ د. محمد إبراهيم أبو سليم : المرشد إلى وثائق المهدي، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، ١٩٦٩، ص ٦٠ ، وثيقة ٢٨ في ٢ من المهدي إلى محمد المهدي السنوسي بليبيا في ١٢ مايو ١٨٨٣.

Wingate , Magor F. R : Mahdism and the Egyptian Sudan ,London 1891, pp , 67- 72

٣١ـ نفسه، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، وثيقة ١٤٥ في ٢ من المهدي إلى محمد يوسف (سلطان برقو) في ١٦ إبريل ١٨٨٤.

٣٢ـ د. إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، مرجع سابق ص ٧٣ ، ٧٤

٣٣ـ د. عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، ص ٢٢٢.

٣٤ـ د. جلال يحيي، مرجع سابق ص ٥٤٨، ٥٤٩.

٣٥ـ د. سعيد مراد: مرجع سابق ص ٢٨٢

٣٦ـ د. عبدالقادر محمود: الفكر الصوفي في السودان، مصادره وتياراته وألوانه، دار الفكر العربي، ١٩٦٩، ص ٩٣.

٣٧ـ حسن صادق: جذور الفتنة، في الفرق الإسلامية، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٩١ ، ص ٢٦٣ .

٣٨ـ سلاطين باشا، تعريب، جريدة البلاغ، السيف والنار في السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ٥٩.

٣٩ـ اللورد كرومر، تعريب عبدالعزيز أحمد عرابي، بريطانيا، في السودان الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٠ ، ص ٨.

٤٠ـ سلاطين باشا : مرجع سابق ص ٥٩.

٤١ـ د. عبدالقادر محمود، مرجع سابق ص ٩٤.

٤٢ـ سير ونستون تشرشل: ترجمة، عز الدين محمود: حرب النهر، تاريخ الثورة المهدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢، ص ٣٥، ٣٦.

٤٣ـ د. مكي شبيكة: مقاومة السودان الحديثة للغزو والتسلط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢ ص ٥٤، ٥٥.

٤٤ـ هـ، س. جاكسون، تعريب، عزيز يوسف عبدالمسيح، غوردون باشا، جمعية نشر المعارف المسيحية، بولاق مصر، ومكتبةالسودان بالخرطوم ص ٧١.

٤٥ـ د. مكي شبيكة: السودان والثورة المهدية، جـ ١، دار جامعة الخرطوم، للنشر، ١٩٧٨، ص ٣٤.

٤٦ـ د. أحمد أحمد سيد أحمد: تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري ١٨٢٠ - ١٨٨٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ - ص ٣٩٧.

٤٧ـ دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفاتر عابدين، دفتر س/٥/٢١/٤ وارد تلغرافات، السودان، الوثيقة في ١٨٨١/٨/٢٤، محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٩ / ١/أ / السودان، وثيقة بدون رقم، سير ونستون تشرشل: المرجع السابق، ص ٣٩، وانظر، جاكسون، المرجع السابق ص ٧٢

٤٨ـ نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة- بيروت ١٩٦٧، ص ٦٥١، ٦٥٢، دار الوثائق القومية، دفاتر عابدين، دفتر س/٥/٢١/٤ وارد تلغرافات السودان، وثيقة في ١٨٨١/٨/٢٤، محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٩/١/أ- السودان وثيقة بدون رقم.

٤٩ـ منشورات المهدي ـ المحفوظة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ـ جامعة القاهرة منشور بتاريخ سنة ١٣٠٠ هـ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١.

٥٠ـ نفسه ص ٢٤١ ، ٢٤٤.

٥١ـ حسن صادق: مرجع سابق ص ٢٦٦ ، ٢٦٧.

Wingate Op,cit ., pp,67-72 0

٥٢ـ د. جلال يحي : المرجع السابق ص ٥٤٩.

٥٣ـ The Earl of Cromer : Modern Egypt , Vol 1 , London 1988 , p , 276 •

٥٤ـ د. جلال يحي: مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر، دار المعارف ، ١٩٨٤ : ص ٣٠٧، ٣٠٩.

٥٥ـ د. مكي شبيكة: مقاومة السودان الحديث، مرجع سابق ص ٥٨، ٥٩.

٥٦ـ مجموع المناشير الصادرة من سيدنا الإمام المهدي عليه السلام بتفويض الأمر عموما إلى خليفته الأكبر سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد زادة.

٥٧ـ منشورات المهدي، ص ٦٢ ، ٣٦٨، نعوم شقير ، ص ٦٦٢ ، د. عبدالقادر محمود ، ص١٠٣.

٥٨ـ اللورد كرومر، مرجع سابق ص ٨.

٥٩ـ د. سعيد مراد، مرجع سابق ص ٢٩٤.

٦٠ـ د. محمد إبراهيم أبو سليم: المرشد إلى وثائق المهدي، ص ٥١ وثيقة ٩٣ إنذارات أ ، ٦٧ إنذارات من المهدي إلى كافة الخلفاء والأمراء، وأنظر ، نعوم شقير ، ص ٦٥٤

٦١- A.Egmont Hake : The Journals Magor Gen. C.G Gordon .C.B . At Kartoum , london 1885 , 173 – 175- 256 – 257 and 262

٦٢- منشورات المهدي، مرجع سابق ص ٣٢٩، ٣٣٠، في ١٨ جمادي أول ١٣٠١.

٦٣- د. مكي شبيكة : السودان والثورة المهدية ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، وانظر. نعوم شقير ، ص ٦٦٨ ، ٦٦٩.

٦٤- دار الوثائق القومية، محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٩/١/أ السودان، تقرير السودان في آخر مايو ١٨٨٢ ، وانظر - د. جلال يحي، ص ٣١٠، ٣١١، ٤٠٢.

٦٥- Wingate , op , cit , pp , 72-75

٦٦- The Earl of Cromer . Op . cit , p . 374

٦٧- د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مرجع سابق ص ٩٩.

٦٨- السيد يوسف : جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩، ص ١٧ ، ١٨.

٦٩- عبدالرحمن الرافعي : جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق، ١٨٣٨ - ١٨٩٧ ، دار المعارف، مصر ، ١٩٩١ ، ص ١١ ، ١٢.

٧٠- السيد يوسف، مرجع سابق ص ٣٤، ٣٥.

٧١- د. الكسندر شولسن ؛ تعريب، د. رؤف عباس حامد : مصر للمصريين - أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨ - ١٨٨٢ ، دار الثقافة العربية، ١٩٨٣ - ص ١٣٥.

٧٢- بيتر ما سفيلد : ترجمة، عبدالحميد فهمي الجمال، تاريخ مصر الحديثة ، والشرق الأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٩.

٧٣ـ السيد يوسف ، ص ٣٦ ـ ٤٣ .

٧٤ـ المجلس الأعلى للثقافة ، بحوث ندوة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة عبدالله النديم ـ الفترة من ٢٧ مايو ١٩٩٥ إلى ٢٩ مايو ١٩٩٥ ـ بحث د. أحمد عبدالرحيم مصطفي : الاستعمار وحقوق الأمة في فكر عبدالله النديم. مرجع سابق، ص ٩١.

٧٥ـ د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩ ، المبحث الأول جـ ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

٧٦ـ د. رفعت السعيد : الأساس الاجتماعي للثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٨٨، ٨٩.

٧٧ـ د. عبدالعزيز نوار : مرجع سابق، ص ١٤٧ ، ١٤٩ .

٧٨ـ بيتر ما نسفيلد ، مرجع سابق ص ١٦٩ .

٧٩ـ د. أحمد عبدالرحيم مصطفي : أفكار جمال الدين الأفغاني السياسية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع والعاشر، ١٩٦٠ـ ١٩٦٢ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، د. زين العابدين شمس الدين نجم ، الجمعية الوطنية المصرية ١٨٨٣ (جمعية الانتقام) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ، ص ٢٧ ، ٢٩.

٨٠ـ السيد يوسف ، مرجع سابق ص ١٠١ ، ١٠٢ .

٨١ـ د. جلال يحي : مرجع سابق، ص ٢٧٩

٨٢ـ الرافعي : مرجع سابق، ص ٢٣.

٨٣ـ د. أحمد عبدالرحيم مصطفي: الاستعمار وحقوق الأمة في فكر عبدالله النديم، ص ٩ ، ١٣

٨٤ـ د. رفعت السعيد، مرجع سابق ص ٨٩، ٩٠.

٨٥ـ الرافعي مرجع سابق ص ٤٨.

٨٦ـ السيد يوسف: مرجع سابق ص ١١٢٠.

٨٧ـ السياسة الدولية: العدد ٦٥ يوليو ١٩٨١ ، د. عبدالمنعم الدسوقي الجميعي، الكتابات المعاصرة للثورة العرابية، ص ١٩٧ ، وأنظر، الرافعي ص٥١- ٥٣ .

٨٨ـ المجلس الأعلى للثقافة : الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) مفكرا عربيا ورائدا للإصلاح الديني والاجتماعي، بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٥ ، ص ١٣ ، ١٧ ، ٣٥٧.

٨٩ـ المصدر السابق، د. نبيلة زكري زكي: الإمام محمد عبده، فكرة ومنهجه ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٩٠ـ نفسه، زينب محمود الخضري: التطور والإصلاح عند محمد عبده ص ٨٠ـ ٨٢.

٩١ـ نفسه: د. حامد طاهر : محمد عبده وأفكاره المستقبلية ص ٩٤ ، ٩٦

٩٢ـ نفسه: سعيد زايد: الإمام محمد عبده المصلح والمجدد، ص ٢٤٦، ص ٢٥٤، ص٢٥٥.

٩٣ـ نفسه: زينب محمود الخضري، ص ٨٦.

٩٤ـ د. لبيب هيرو، مرجع سابق ص ١٠٥ ، ١٠٦.

٩٥ـ د. لويس عوض، مرجع سابق ص ٢٦٤.

٩٦ـ د. عزت قرني : في الفكر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص ٧٦ ، ١٠٠ ، ١٠١.

٩٧ـ رجب البنا : مرجع سابق، ص ٢٩٩.

٩٨ـ وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، الأزهر تاريخه وتطوره، دار مطابع الشعب، ١٩٦٤، ص ٢٥١ ، ٢٥٥.

٩٩ـ عبدالحميد يونس، عثمان توفيق، الأزهر، دار الفكر الغربي، ١٩٤٦، ص ٦٧، ٦٩، ٨٦

١٠٠ـ د٠ فرغلى علي تسن، ص ١٠٢.

١٠١ـ محمد عبدالمنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام ٠ جـ ١ ، المطبعة المنيرية بالأزهر القاهرة ، ١٣٧٤ جـ١ ـ ص ٩٢ ـ ٩٧

١٠٢ـ محمد كامل الفقي : الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة جـ١ ، المطبعة المنيرية بالأزهر ١٩٥٦ ، ص ٤٧، وأنظر، عبدالحميد يونس، عثمان توفيق: مرجع سابق، ص ٨٧ـ٨٩.

١٠٣ـ محمد عبدالمنعم خفاجي: مرجع سابق، ص ١١٦ ، ١١٨.

١٠٤ـ محمد كامل الفقي، مرجع سابق ص ٥٤.

١٠٥ـ عبدالحميد يونس، توفيق، ص ٤٩ ـ ٥٨.

١٠٦ـ وزارة الأوقاف وشئون الأزهر: مرجع سابق ص ٢٥٦

١٠٧ـ ناج السرحران، مرجع سابق ص ١٢٣ ، ١٢٤.

١٠٨ـ د. عبدالرحمن عبدالرحيم عبدالرحيم : مرجع سابق ص ١٣٤ ـ ١٣٦.

١٠٩ـ د. إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، مرجع سابق ص ١٦٠ .

١١٠ـ د. جلال يحي : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ص ٥٦٤

١١١ـ د. إسماعيل ياغي ، محمود شاكر ، ص ١٦٤

١١٢ـ الطاهر عبدالله : الحركة الوطنية التونسية ، دار المعارف للطباعة والنشر ، طبعة ثانية ، (ب ، ت) ص ٢١٩.

١١٣ـ د. جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ .

١١٤ـ الطاهر عبدالله : مرجع سابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢.

١١٥ـ د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : مرجع سابق ص ١٣٨ .

١١٦ـ إسماعيل ياغي ، محمود شاكر ، مرجع سابق ص١٠٤

١١٧ـ الطاهر عبدالله ، مرجع سابق ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥

١١٨ـ نفسه ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

الفصل الخامس

الصحوة الإسلامية في العصر الحديث

- المشكلات الإسلامية السياسية والاقتصادية والحلول المناسبة لها
- القضايا الإسلامية المعاصرة (فلسطين ، مسلمو الفلبين، إريتريا، كشمير، التعريف بمسلمي الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا).

المشاكل الإسلامية السياسية والاقتصادية والحلول المناسبة لها

تحاول الأمة الإسلامية الخروج مما هي فيه من مأزق، فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من التبعية الاستعمارية، والعمل على حل مشكلاتهم السياسية والاقتصادية، كما حاولوا تجاوز المحن والمصاعب من خلال صحوة إسلامية شملت عدة جوانب.

وتتمثل المشاكلات الإسلامية السياسية في موقف الأمة الإسلامية من الاستعمار الذي سيطر عليها فترة طويلة من الزمن، مما أدى إلى الأخذ بأفكاره، ومبادئه، والسير على نهجه، كما نشأت بعض المشكلات نتيجة تضافر الجهود المبذولة من أعداء الإسلام لمحاربته ومن هذه المشكلات ما يلي:

١ـ الاختلاف على الحدود بين الدول الإسلامية، ومثل هذه المشكلة خلفها وراءه الاستعمار، فلم يخرج الاستعمار من بلد إلا وخلف وراءه مشاكل عديدة ومعقدة بين الدول وجيرانها، وخاصة في المناطق ذات الأهمية الاقتصادية أو الاستراتيجية، وهذا في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

فعلى سبيل المثال: الخلاف الدائر بين المغرب والجزائر على بقعة من الأرض تعتبر ذات أهمية اقتصادية بالنسبة إلى الثروة المعدنية الموجودة بها [(١)] وهي مشكلة الصحراء المغربية التي ترتبط بالمنطقة التي كانت تحتلها أسبانيا وتطلق عليها اسم الصحراء الأسبانية أو وادي الذهب، فقد طالبت المغرب بعد استقلالها بهذه المنطقة ـ وقد ظهر أهميتها بعد اكتشاف الفوسفات في "بوكرع" عام ١٩٦٢م، وحين أحيلت المشكلة إلى محكمة العدل الدولية ـ لم يكن قرارها حاسماً، وقد أعلنت المغرب ما عرف بالمسيرة الخضراء في عام ١٩٧٥م.

وفي ٢١ نوفمبر من عام ١٩٧٥م حدث إتفاق بين إسبانيا والمغرب وموريتانيا على أن تترك إسبانيا إدارة المنطقة للدولتين ـ لكن تطورت المشكلة بعد إعلان قيام الجمهورية الصحراوية في ٢٧ فبراير ١٩٨٦م واعترف عدد من الدول بها، وأدى الأمر لحرب البوليزاريو (الجناح العسكري) للجمهورية الصحراوية وبين قوات المغرب وموريتانيا، وانسحبت موريتانيا من المشكلة واستمر النزاع بين المغرب والبوليزاريو، وساندت الجزائر البوليزاريو عسكريا، وأدى اعتراف عدد من دول منظمة الوحدة الأفريقية بالجمهورية الصحراوية إلى تعليق المغرب عضويتها في المنظمة، وبرغم قبول المغرب أخيرا لمبدأ الاستفتاء في الصحراء المغربية، لكن إلى الآن تتعثر جهود المنظمة الدولية لإجراء هذا الاستفتاء بسبب الخلاف على من لهم حق التصويت ـ وقد زار الأمين العام للأمم المتحدة المنطقة، وكان الأمل في إجراء الاستفتاء في عام ١٩٩٥ حتى تنتهي هذه المشكلة التي استنزفت الكثير من الجهد والمال من كل الأطراف، وحتى تستقر العلاقات الطيبة بين المغرب والجزائر ـ لكن تعثرت الجهود المبذولة لتحديد من يحق لهم الا دلاء بأصواتهم في الاستفتاء مرة أخرى[٢].

بداية التسعينات الميلادية احتدم الخلاف الدائر بين العراق وجيرانها خاصة الكويت، وقام صدام حسين بغزو الكويت وتهديد دول الخليج بشأن البترول، وكانت النتيجة دخول الاستعمار مرة أخرى إلى العراق، وتأثيره على هذه البلدان المجاورة، ولا يفوتنا في ذلك أن الاستعمار وراء كل هذا الخلاف منذ البداية.

٢ـ الاختلاف في الثقافة: حاول الاستعمار جاهدا إجبار سكان البلاد التي كان يستعمرها على تعلم لغته وثقافته، ومفاهيمه، بل وعممها على المناطق التي دانت له، وهذا ما جعل الثقافة مختلفة بين أقسام العالم الإسلامي، فالصومال على سبيل المثال، أقسام ثلاثة خضعت لثلاثة أنواع من الاستعمار هي: الفرنسي والإنجليزي

والإيطالي، وعممت لغات متعددة لشعب واحد، واختلفت المفاهيم والثقافات بين أقسام هذا المجتمع الواحد[٣].

وقد برزت المشكلة في الصومال وهو قطر إسلامي من أقطار الجامعة العربية، وترتب على الصراع الدامي بين القبائل المختلفة والنزاع بينها على السلطة إلى سقوط مئات من القتلى والجرحى، وفرار عدة آلاف ولجوئهم للأقطار المجاورة حيث يعيشون في خيام أو مراكز إيواء وينتظرون القوت من الهيئات الدولية وغيرها، بالإضافة إلى فصم وحدة البلاد وظهور الحركات الانفصالية.

وعلى الرغم من أن الشعب الصومالي يتميز بأنه أكثر الشعوب الأفريقية تجانسا في الأصول العرقية والثقافية إلا أنه ينقسم في بيئته الاجتماعية إلى ثلاث قبائل هي الدارود والهاوية والإسحق ـ التي تنقسم بدورها إلى عشائر عديدة، ولم تستطيع النظم التي حكمت الصومال بعد استقلاله في عام ١٩٦٠ أن تحقق الاندماج الكامل بين هذه القبائل والعشائر، ورغم محاولات منظمة الوحدة الأفريقية والجامعة العربية ومساهمة الدول على رأسها مصر لحل هذه المشكلات[٤].

٣ـ تحكم الأقلية: ما خرج مستعمر من بلد إسلامي إلا وترك وراءه أقلية تتحكم في هذا البلد، أنشأها على يديه ورباها تحت ناظريه، تدين له بالولاء، وفقد تعهدها في مدارسه التبشيرية، وسلطها على الحكم كما هو الحال في تشاد وكثير من البلدان الأفريقية، ففي تشاد تتحكم في البلاد فئة تقل عن ١٠ ٪ بينما يشكل المسلمون ٩٠ ٪ وليس لهم أي نصيب في الحكم، إضافة إلى أن المستعمر في كل مكان، عمل على ترك المسلمين في حالة من الجهل والفقر والبؤس والتأخر حتى لا يمكنهم العمل في المراكز الحساسة، كما هو الحال في نيجيريا، حيث لا يزال الشمال المسلم متأخرا، وهو يشكل أكثر من أربعة أخماس السكان، بينما الجنوب ذو الأكثرية الوثنية والنصرانية يعتبر متقدما، ويحاول الشمال المحافظة على النظام

الاتحادي حتى لا يخضع لنفوذ الجنوب، بينما يرغب الجنوب بالحكم المركزي حتى يتسنى له السيطرة على الشمال، وقد قامت الحركات العسكرية متتابعة لينفذ كل قسم رأيه.

٤- التأييد للمستعمر وهذا واضح في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حيث نجد في كل بلد إسلامي جماعة من الحكام أو من غيرهم ممن يؤيدون المستعمر ويسيرون في ركابه ، وهم الذين فتنتهم حضارته المادية وبهرت عقولهم بحيث لا يمكنهم أن يسيروا إلا على هديها ، وإذا ما حكم دولة إسلامية نظاما صالحا فتحت الدعاية عليهم أبواقها وقامت عليهم الحرب من كل جهة.

وعلى هذا فشئ طبيعي أن لا تستطيع الحركة الإسلامية في بعض الظروف النمو والازدهار والتقدم والنشاط، وإنما تقف وكأنها في مكانها، بينما تتقدم الفئات الأخرى بوسائلها غير المشروعة، ويكثر النقاد لهذا التوقف وهم لا يعرفون العوامل المؤدية إلى ذلك(٥) .

٥- أن ما حققته المجتمعات الغربية من تقدم شجع على تفشي القيم المادية وأدى إلى انتشار العلل الاجتماعية كجنوح الشباب من جراء ابتعادهم عن القيم الدينية فلجؤوا إلى تعاطي المخدرات وتناول المسكرات مما أدى إلى القضاء على القيم الأسرية(٦).

وإذا كان الأمر كذلك في قارة أفريقيا فلزاما علينا أن نأخذ مثالا في قارة آسيا- الصحوة الإسلامية في الهند (الدولة الإسلامية الباكستانية).

وسبق أن أشرنا إلى أن الوجود الإنجليزي في الهند اعتمد على القوة العسكرية الإنجليزية والهندية التي كانت تعمل بكفاءة تحت القيادة الإنجليزية، وكانت الشركات والمؤسسات البريطانية الكبيرة تسيطر على الاقتصاد، ولكن المشاعر العقائدية الإسلامية أخذت تتضح منذ أوائل القرن الثامن عشر، حيث دعا شاه ولي

الله الدهلوي (١٧٠٢ ـ ١٧٦٣م) إلى تأسيس كيان خاص بالمسلمين إما تحت لواء (الخلافة) أو (دولة إسلامية هندية)، وقاد ابنه شاه عبدالعزيز الحركة حتى توفي عام ١٨٢٣ فتولاها من بعده (سيد أحمد الشهيد) الذي دعا إلى تحرير عقول المسلمين من البدع والتقاليد غير الإسلامية ومن الخرافات، وتحرير أرض الهند من غير المسلمين، خاصة من الوثنيين، وكان "السيخ" في نظره من هؤلاء الوثنيين وإعلان دولة الخلافة،

دعا السيد أحمد الشهيد المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله على مبادئ شبيهة إلى حد كبير بالمبادئ التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ولكن المسلمين في الهند كانوا موزعين على العديد من القيادات. فلم يصغ إلى دعوته سوى عدد محدود، ورفض المسلمون الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة لاعتقادهم أن الأخذ بأدوات الحضارة الحديثة يؤدي إلى تشويه الهوية الإسلامية.

أما الهندوس فقد نهلوا من الحضارة الغربية، وشجعهم الإنجليز، فظهرت فيهم كفاءات على مستوى العصر أفادت من الإنجليز وأفادوا هم منها، الأمر الذي جعل كفة الأمور تميل لصالح الهندوس، خاصة وأن الإنجليز كانوا يضمرون كراهية تقليدية للمسلمين، الأمر الذي جعل مصالحهم لدى الإنجليز تالية لمصالح الهندوس.

ورغم أن تأسيس (المؤتمر الهندي) في عام ١٨٨٥ كان خطوة ذكية وجريئة إنجليزية، إلا أن المؤتمر الهندي هو الذي أفرز الزعامات الوطنية، مثل المهاتما غاندي، الذي قاد حركة التحرر الهندية من الاستعمار البريطاني.

ورغم أن تأسيس (الرابطة الإسلامية) في عام ١٩٠٦ أيضا كانت خطوة ذكية بريطانية، إلا أنها هي التي قادت المسلمين هناك إلى تأسيس (باكستان)، فقد أسهم ذلك في أن يركب الإنجليز التيار. فالرابطة الإسلامية أصبحت قادرة على التعبير عن آمال المسلمين، إلا أن اندحار الدولة العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى عام

١٩١٨ ، وإلغاء مصطفى كمال أتاتورك الخلافة في عام ١٩٢٤ أدى إلى نوع من الضيق لدى أنصار الخلافة في الهند ، فقد كان مسلمو الهند يعقدون الآمال لكبيرة على الخلافة العثمانية.

والجدير بالذكر أن الزعيم محمد على جناح كان لا يرى في إلغاء الخلافة العثمانية أية مساس بالحركة الإسلامية في الهند ، إذ كان يرى أن الخلافة تقوم على أساس (عاطفي) وأن عهد الخلافة قد مضى وانقضى ، وأنه على مسلمي الهند أن يحددوا أهدافهم بشكل واقعي ، فهاجم وحشية الإنجليز خاصة عندما انقضوا على الثوار الهنود في عام ١٩١٩ لمجرد أنهم يتظاهرون مطالبين بحق غاندي عندما أضاف لقب (المهاتما) على اسمه فهو يفتخر بالألقاب الهندوسية دون الإسلامية ، وأنه يكرس مسيرة التعاون في خدمة الهندوس وليس في خدمة المسلمين ، كما انتقد التعاون بين حزب المؤتمر الهندي والسلطات الاستعمارية الإنجليزية في أصدار دستور للبلاد يعطيها طابعا هندوسيا ، وهذا يعني إذابة السكان المسلمين في البوتقة الهندوسية ، ونظرا لفشل محمد علي جناح في إقناع غاندي والزعامات الهندية بوجهة نظره تلك أصدر هو مبادئه الأربعة عشر وهي في مجملها لصالح المسلمين ومراعاة حقوقهم وفصل السند عن بمباي أي فصل المسلمين عن الهندوس[٧] والمجال هنا لا يسمح بذكرها.

على كل حال ، فقد كان الاستعمار الإنجليزي وراء هذا الخلاف الذي استمر فترات طويلة من الزمن بين أبناء شعب واحد حتى وإن اختلفت الديانات - أي بين المسلمين والهندوس. حيث أفاد الاستعمار من استمرار الخلاف بينهما.

وفي عام ١٩٤٦ بذلت المحاولات لفرض كلمة المؤتمر الهندي على الرابطة الإسلامية ، وحاولت الجموع الهندوسية أن تفرض الوحدة على المسلمين بالقوة

والمذابح، وكانت المذابح مروعة، فكانت واحدة من الأسباب الرئيسية التى قطعت الطريق على دعاة قيام نظام فيدرالي يعيش تحت مظلته المسلمون والهندوس.

وأصبح التقسيم هو الهدف الوحيد الذي يسعى إليه المسلمون، وأخيرا اضطر زعماء حزب المؤتمر إلى أن يوافقوا على انفصال المسلمين وظهرت دولة باكستان (الإسلامية) في منتصف أغسطس عام ١٩٤٧[٨]، ومع ذلك فالخلاف لا يزال مستمرا بين الدولتين الهندية والباكستانية خاصة على مسألة الحدود وكشمير.

وإذا كان الواقع السياسي للعالم الإسلامي هكذا، فإن الواقع الاقتصادي أيضا أليم ـ فالدخل القومي في أكثر بلاد العالم الإسلامي يضع الفرد المسلم في أقل مستوى، والإنتاج القومي هو الآخر سيئ، فالبلاد الإسلامية تتوزع بين أن تكون مزرعة، تستجلب منها القوى العالمية موادها الأولية، أو أن تكون سوقا استهلاكية توزع القوى العالمية فيها سلعها أو تجارتها، وهي بالتالي محرومة من الصناعات الثقيلة والإنتاج الكبير.

والبلاد التي أتاها الله بسطة في الرزق ـ وهي قليلة ـ تمتص أكثر رزقها القوى العالمية بإيداعها رؤوس أموالها في بنوكها، وتعريضها لتخفيض العملة بين الحين والحين، ثم بتصدير السلع الكمالية الاستهلاكية والترفيهية التي تمتص ما بقي لدى تلك الدول المختلفة من رأس المال.

وميزان المدفوعات مختل لدى أكثر الدول الإسلامية، لأن أكثرها تستورد أكثر مما تصدر[٩].

ومن أهم الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار في العالم الإسلامي في النواحي الاقتصادية وتركت بصماتها على الواقع الاقتصادي المعاصر ما يلي:

١ـ وجه الاستعمار موارد البلاد الإسلامية إلى مصالحه الخاصة، فشجع رؤوس الأموال الأجنبية على غزو البلاد واستثمار خيراتها، وأصبحت معظم الشركات

أجنبية تدار لمصالح استعمارية ، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوربا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن التاسع عشر ، وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية والكمالية ، فأصبح لأفراد العالم الإسلامي ولع خاص بالاستهلاك التفاخري، ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبيلها بالنفوذ الغربي.

٢ـ احتكر الاستعمار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية وعمد إلى توطن الأوربيين في البلاد الإسلامية عن طريق التجارة ، كما فعل في الجزائر والهند وإندونيسيا وأفريقيا وغيرها ، وأوفد إلى البلاد العربية مئات الألوف من الأوربيين ومعظمهم من اليهود فاستوطنوا فيها وتحكموا في اقتصادها وخاصة في أقطار المغرب ومصر.

٣ـ اتجه الاستعمار إلى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الإسلامي ليضمن استمرار تبعية البلاد الإسلامية له اقتصاديا كما تبعه عسكريا أو سياسيا ، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها، واكتفى بتوجيه المسلمين إلى الاشتغال بالزراعة، زاعما أن الصناعة تتطلب قدرة فنية لم يصلوا إليها بعد، فشجع زراعة القطن في مصر والسودان والتمر في العراق والزيتون في تونس والمغرب والمطاط في إندونيسيا وماليزيا وزيت النخيل في نيجيريا والعنب في الجزائر، وعمل على إقراض الفلاح بالربا الفاحش، وجند المرابين والصيارفة وأصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي.

٤ـ احتكر ثروات العالم الإسلامي المعدنية وبخاصة البترول من البلاد العربية ونيجريا وإندونيسيا وأذربيجان وإيران و القصدير من ماليزيا وإندونيسيا ونيجيريا والحديد من الجزائر وموريتانيا..... وغيرها.

٥- شجع الاستعمار نظام الإقطاع الزراعي والطبقية، وحرم السواد الأعظم من المسلمين أن يعيش في مستوى لائق لذا شاع الفقر والبؤس والتخلف والمرض في عالم الخيرات الوفيرة، فأفقر دول العالم مسلمة حاليا[١٠].

وتعتبر مشكلة الغذاء في العالم الإسلامي من أهم المشكلات نظرا لتزايد معدلات النمو السكاني، وبالتالي معدلات الطلب على الغذاء، ويزداد معدل نمو الطلب على الغذاء في دول العالم الإسلامي ككل عن معدل إنتاج الغذاء بها، ومعنى هذا هو حدوث نقص محلي في الغذاء لابد من مواجهته، وإلا تسبب ذلك في ظهور مشكلة الجوع[١١].

٦- ربط الاستعمار عملات العالم الإسلامي بعملته، فالبلدان التي خضعت للنفوذ الإنجليزي، ربطت عملتها بالجنيه الإسترليني، والبلاد التي خضعت للنفوذ الفرنسي أخضعت عملتها للفرنك الفرنسي، وارتبطت كثير من العملات الإسلامية بالدولار الأمريكي حاليا، وكان نتيجة ذلك ظهور ما أطلق عليه العالم الثالث في آسيا وأفريقيا، أو الدول النامية التي أصبحت تمد يدها للحصول على ما يسمى بالمعونات الخارجية التي تستهدف الابتزاز والكسب غير المشروع تحت ستار المساعدات التي تذهب معظمها إلى جيوب العملاء، وظهور صندوق النقد الدولي، الذي نتج عنه كثرة الديون على هذه الدول[١٢].

فالديون الخارجية من المشكلات الاقتصادية الحادة التي تواجهها دول العالم الثالث، ومن بينها الدول الإسلامية، حيث تتراكم الفوائد المستحقة من تلك الديون عاما بعد عام مما يسبب عبئا كبيرا على النمو الاقتصادي في تلك الدول، ومما يدعو إلى القلق أن تلك المشكلة تزداد يوما بعد يوم نتيجة لعوامل كثيرة منها الزيادة الكبيرة في أعداد السكان في الدول النامية مما يتطلب توفير قدر مناسب من الغذاء الذي غالبا ما تستورده تلك الدول من الدول المتقدمة كالولايات المتحدة وغيرها[١٣].

وكذلك انتشار حدوث الكوارث الطبيعية في العالم الإسلامي ككارثة الجفاف (في منطقة الساحل الأفريقي في غرب أفريقيا وتشمل سبع دول إسلامية هي موريتانيا والسنغال وجامبيا ومالي والنيجر وغينيا وغينيا بيساو) وفي شرق ووسط أفريقيا وفي أثيوبيا والسودان والصومال وتشاد)، وكارثة سقوط الأمطار الغزيرة (في بنجلاديش وباكستان) مما يؤدي إلى إتلاف كثير من المحاصيل الزراعية، وقد أدت تلك العوامل إلى إخفاق الجهود التي بذلت من أجل زيادة المساحات المنزرعة، وغيرها من الجهود المبذولة في سبيل رفع الإنتاج، وأدى ذلك إلى ارتفاع معدلات الاستيراد أو تراكم الديون الخارجية بصورة مخيفة ومثل هذه الديون تجعل الدول الإسلامية دائما تحت رحمة الاستعمار والدول الغربية غير الإسلامية ـ فمن لا يملك قوته لا يملك حريته ـ وبالتالي يتحكم غير المسلم في المسلم، وهذه بعض الدول الإسلامية والديون المستحقة عليها في بداية عام ١٩٨٨.

الدولة	الدين (بليون دولار)	الدولة	الدين (بليون دولار)
إندونيسيا	٤٧	مصر	٤٢
تركيا	٣٢	أفغانستان	٢٩
نيجيريا	٢٣	الجزائر	٢٢
المغرب	١٦	باكستان	١٥
السودان	١١	سوريا	٤,٥
الأردن	٤	اليمن	٣[١٤]

ولعل من الحلول التي يمكن التفكير فيها لمواجهة هذه المشكلة ما يلي[١٥]:

ـ في المجال السياسي ينبغي الالتزام بما يحدده الإسلام العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وجعلها علاقة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الحاكم، والسمع والطاعة من المحكوم، ما لم يأمر بمعصية.

وعلى الحاكم أن يكون لـه مجلس شورى ـ بمثابة بطانة الخير ، تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وتتكون من العلماء في كل تخصص ثم تعرض على كل الآراء على ميزان الشرع ، مراعاة لمرضاة الله.

كما أن على الدولة أن تقيم علاقاتها الخارجية على أسس الفهم الصادق لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون : ٨) فتبرم عهودها ومعاهداتها على أساس من أن مصير الناس صائر إلى أن يكونوا مسلمين.

وهناك واجب كبير على المسلمين للحفاظ على عقيدتهم يتمثل فيما يلي :

١ـ التقيد بأوامر الله سبحانه وتعالى والاعتزاز بالإسلام لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران : ١٩)، ولقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (السجدة : ٣٢).

٢ـ تقوية الإيمان في النفس وتدعيم صلتها بالله تعالى.

٣ـ اعتبار الرابطة الإسلامية هي الرابطة الأساسية والوحيدة التي تربط المسلمين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠).

٤ـ الاستفادة من الحضارات الأخرى بحيث لا تتعارض مع عقيدتنا ، فنأخذ النواحي العلمية دون النظر إلى العادات الاجتماعية ، والأمور الاقتصادية التي تختلف مع ديننا ومنهجنا.

٥ـ عدم الاكتراث بما يقول الأعداء عنا ، وعن نهجنا الشرعي لقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ (المزمل : ١٠).

٦ـ وضع مناهج مدرسية تتفق والمنهج الإسلامي.

٧ـ إصدار صحف ومجلات تتماشى مع مبادئ الإسلام.

٨ـ أجهزة الإعلام يجب أن توجه برامجها وجهة إسلامية.

٩ـ تنظيم المسلمين تنظيما دقيقا والعمل على كشف كل ما يحاك ضدهم.

١٠ـ التوجيه الدائم إلى قيمة الرابطة الدينية في الحلقات والمجتمعات والمدارس، وعدم الالتفات إلى الإشاعات المغرضة[١٦].

١١ـ على الحكومات الإسلامية الاهتمام بإصلاح المجال التعليمي من حيث:

ـ تأنيث مدارس ومناهج البنات.

ـ تذكير مدارس ومناهج البنين.

ـ تديين الدراسة: منهجا ونشاطا على المستوى الزمني والتعليمي.

١٢ـ إنشاء وزارات تهتم بقضية "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتختص بمراقبة أماكن نشاط المجتمع في الشارع ووسائل النقل والأسواق والمساجد ومكاتب العمل، والمصانع، والمزارع، وكافة الأنشطة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية، والدينية، للقضاء على المخالفات الشرعية ونشر الوعي المجتمعي في هذا المجال.

١٣ـ الحفاظ على شخصية الأمة إسلاميا، حيث تصطبغ انشطة الدولة السياسية (البروتوكولات) بالصبغة الإسلامية في السلوكيات: لغة، ضيافة، وعهودا[١٧].

١٤- الاهتمام بالأوقاف الإسلامية، ودعمها لما لدور الوقف في التخفيف من مشكلة الفقر وتنمية المجتمع الإسلامي.

وهناك العديد من المؤتمرات والندوات التي عقدت في الدول الإسلامية لدعم قضايا تنمية المجتمعات الإسلامية، وتحتوى أعمال هذه المؤتمرات على تقويم البحوث التي تهتم بالتنمية الاقتصادية وفق أسس إسلامية، وإعداد الدعاة الأكفاء.

كما تهتم هذه المؤتمرات والندوات برصد الشبهات والحملات التي تثار حول الإسلام واقتراح نشر أو إصدار الكتب والرسائل التي تعرف الإسلام باللغات المختلفة وتبادلها مع الجهات المماثلة في البلدان الأخرى.

كما أن هناك دعوة مستمرة لتنظيم عدد من المحاضرات والندوات والملتقيات العلمية خارج العالم الإسلامي بهدف دراسة بعض القضايا التي من شأنها توضيح صورة الإسلام وأهله في عيون غير المسلمين، كما أوردت الدراسات أهمية إنشاء معاهد عليا لتكوين دعاة أكفاء بمختلف البلاد الإسلامية وإنشاء معاهد لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين المهاجرين خارج العالم الإسلامي[١٨].

وعلى الصعيد الاقتصادي، فإنه لا مخرج للمسلمين من مثل هذه المشكلات الخطيرة، إلا الإيمان الصحيح بالله تعالى أولا، ثم التعاون الجاد المثمر بين العلماء لحصر موارد الأمة الإسلامية ووضع الخطة الشاملة لاستغلال تلك الموارد على أن تكون تلك الخطة مبرمجة بأوليات زمنية محددة وتكون قاعدة حقيقية للمشاريع الإنتاجية المختلفة التي توفر الغذاء لملايين المسلمين في العالم، ولنتدبر قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦)[١٩].

فالموارد الزراعية والصناعية في المنطقة الإسلامية أغنى من أي منطقة أخرى واليد العاملة متوافرة ورخيصة، وهي في الوقت نفسه إن تحقق فيها الإسلام كانت أفضل الأيدي أتقانا وأكثرها أمانة، ورأس المال متوافر لدى الدول الغنية بما يكفي لإمداد أي مشروع، ولا يلزم إلا أن تتحقق: "الأمة الإسلامية الواحدة" لتكون بإذن الله أغنى أمة اقتصادية كما هي بإذن الله خير أمة أخرجت للناس، ويومها يمكن للعالم الإسلامي أن يكون أقوى القوى الاقتصادية العالمية، بل يمكن أن يتحكم في الاقتصاد العالمي عن طريق صناعته وأسواقه ورأس ماله وموقعه الاستراتيجي[٢٠].

ولكي يتحقق تعاون اقتصادي بين الدول الإسلامية يجب توحيد الأنشطة الاقتصادية أولا، والعامل المشترك بين جميع هذه الدول هو الإسلام، فبالاتجاه إلى

النظام الاقتصادي الإسلامي يسهل إنجاز عمليات التكامل وقيام السوق المشتركة والتعاون الاقتصادي.

وقد تعاظمت التحديات الاقتصادية على منطقة الخليج العربي بشكل خاص لحاجة العالم الصناعي للنفط، فظهر مجلس التعاون الخليجى لدول الخليج العربى عام ١٤٠١هـ/١٩٨١ وقد نجح هذا المجلس بسبب الروح الإسلامية التي تجمع بين هذه الدول ويعتبر مثلا، الواجب على بلاد المسلمين أن تحتذيه وتطوره للتغلب على الأخطار التي تواجه هذا العالم الإسلامي الغني في خيراته، وإمكانياته، الجائع على أرضه، المسلوب الإرادة والتحكم في ثرواته(٢١).

القضايا الإسلامية المعاصرة

هناك قضايا كثيرة تهم المسلمين والعالم الإسلامي منها القضية الفلسطينية، وقضية المسلمين في الفلبين، وفي القرن الأفريقي، وغيرها، وسوف تتناول بعضا من هذه القضايا المهمة فيما يلي:

١ـ فلسطين:

ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسرى بالرسولﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء جسدا وروحا، فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوي في المدينة، والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال، كما تشد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين.

"أن رسول الله ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".

وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول ﷺ نحو أرض الشام فكانت غزوة دومة الجندل عام ٥هـ وسرية مؤتة عام ٧هـ وغزوة تبوك عام ٩ هـ.

وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وانفذها لفتح الشام وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة، أجنادين وفحا واليرموك، ثم تم فتح بيت المقدس وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من بطريرك القدس عام ١٦هـ، وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن أيلياء أحد من اليهود، فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث

استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعدأن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها، ولكن المجاهد صلاح الدين أجلاهم عنها في ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في ٢٥ ربيع الثاني عام ٥٨٣ هـ، وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك فكانوا من الغزوات العابرة، ولن يكون حظ الصهيونة الحديثة بمساعدة الغرب الصليبي والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين بإذن الله[٢٢].

ومع بزوغ الثورة الفرنسية، وتقدم الحملة الفرنسية إلى مصر وتزايد أهمية مصر، تضافرت القوى الطامعة بمصر مع القوى الطامعة بفلسطين لفصل كل منهما عن الأخرى وإضعافها.

وعندما احتدم النزاع بين الثورة الفرنسية وإنجلترا، كتب أحد الزعماء اليهود إلى عضو في حكومة الديركتوار رسالة ينصح فيها الفرنسيين بمساعدة اليهود على سكني فلسطين لتكون جسرا لهم في الشرق، وقبيل مجيئ الحملة الفرنسية إلى مصر صدر بيان موجه إلى يهود العالم للعمل على استعادة فلسطين وانتخاب لجنة تمثل اليهود المنتشرين في خمسة عشر بلدا من بلدان العالم، وقد وقع الاختيار -وفق هذا البيان- على أقليم الوجه البحري من مصر مع حفز منطقة واسعة المدى خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر في العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة في البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الجنوبية والشمالية.

ومن المعتقد أن هذا البيان قد صدر في أعقاب اجتماع نابليون بونابرت بعدد من الشخصيات اليهودية وذلك لاستنهاض همم اليهود في مساعدته على إتمام مشروعه محاولا شراء تعاونهم معهم، في نظير وعده أياهم "بأن يرثوا ملك بني

إسرائيل الذي رسخ في اعتقادهم وداعب أحلامهم" أرض الميعاد" حيث الوطن الذي شتتهم منه الرومان منذ قضوا على مملكة يهوذا في الزمن القديم.

إلا أن اليهود رأوا في إنجلترا دولة المستقبل ، لذلك نجد أن إنجلترا فور سماح محمد على لها بأفتتاح أول قنصلية أوربية لها في القدس عام ١٨٣٨ يوضع اليهود المقيمين في منطقة هذه القنصلية تحت حمايتها ، ولعب آل روتشيلد اليهودي المالي الدور الرئيسي عندما أبرمت إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا فيما بينهم عام ١٨٤٠ معاهدة تهدف إلى مناصرة تركيا ضد محمد علي في إقناع فرنسا بالانضمام إليها.

وفي الوقت الذي كان اليهود يعيشون فيه أذلاء منبوذين في كثير من المجتمعات الأوربية أشتد عطف الإنجليز عليهم، وظفروا بتأييد الكتاب والساسة وبكثير من هبات المحسنين من بين جلدتهم في بريطانيا، والإنجليز هم الذين أبرزوا لليهود المطالب في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ -كما سبقت الإشارة- للحصول على حق التوطن في فلسطين، فقد لعب اللورد بالمرستون دورا كبيرا في رسائله إلى السلطان العثماني بإنشاء وطن لليهود في فلسطين لكي يكون حائلا بين اتصال مصر بسوريا أي اتصال مصر بالمشرق العربي، إذا أصبح عزل مصر عن هذا المشرق تأثيرا واتصالا أو اتحادا هدفا رئيسيا لجميع المشروعات الاستعمارية.

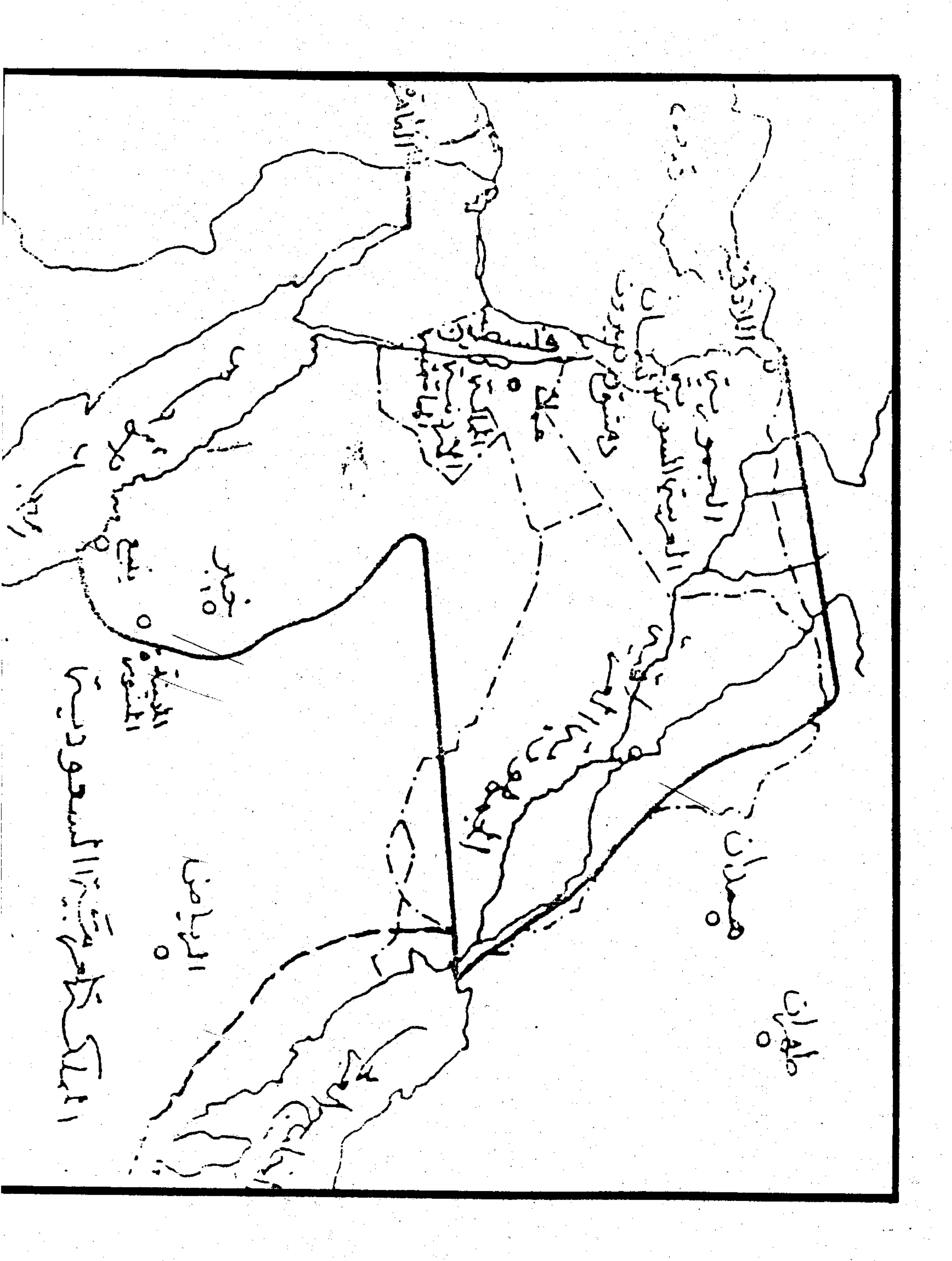
وبهذا نجحت إنجلترا في الحصول على اعتراف الدولة العثمانية بأن يكون لها الحق في التحدث باسم يهود الأمبراطورية العثمانية ، وبموجب هذا الحق طلب بالمرستون جمع شمل اليهود في فلسطين ، وبدأت بعد ذلك عمليات شراء الأراضي الفلسطينية.

وبدأت عملية استيطان اليهود حول القدس بعد إنسحاب قوات محمد على والي مصر من بلاد الشام تطبيقا لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ ، وفي غفلة من السلطات العثمانية التي يفاخر أنصارها بأن السلطان عبدالحميد لم يوافق على بيع أراضي

لليهود في فلسطين أو إنشاء وطن قومي لهم هناك ولكن هؤلاء الأنصار لم يلتفتوا إلى فلسطين وتكوين المستوطنات لفترة طويلة (إلى أن عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧م) [٢٣] والذي على أثره توالت المؤتمرات الصهيونية فيما بعد.

وهكذا فقد ظهر التحالف اليهودي الاستعماري ضد مصر وفلسطين مع شراء الأراضي الفلسطينية، وكان المقابل أن عقد اليهود لصالح إنجلترا أعظم صفقة بيع أسهم وهي أسهم قناة السويس التي بيعت لإنجلترا في عهد إسماعيل، ناهيك عن إغراق مصر في الديون إلى أن تم احتلالها.

والصهيونية هي القومية اليهودية، وأصبح معناها الحديث عود القومية اليهودية واستردادها لتراثها الغابر، والصهيونية الحديثة ترجع إلى أواسط القرن التاسع عشر[٢٤]، وكان لفرنسا مكان بارز في تاريخها[٢٥]، ومنذ عدة عقود تتلقى الصهيونية مادة قوتها، ذلك أن خصومة السامية أو نزعة التعصب ضد اليهود قد اضطربت في معظم الدول الأوربية وأسفرت عن مذابح مروعة في روسيا والمجر وعصفت باليهود في ألمانيا ثم في فرنسا، حيث بلغت الحركة ذروتها في قضية دريفوس الشهيرة عام ١٨٩٦، ورأت اليهود أنها رغم حصولها على الحقوق المدنية والسياسية في معظم الدول الغربية إلا أنها لا تزال عرضة للبغض القديم، عندئذ بدت فكرة الوطن القومي اليهودي ضرورة يجب تحقيقها لخير اليهودية وسلامها، وأخذ أقطاب اليهودية يعملون على تنفيذ ذلك، فتكونت جمعية لإنشاء المستعمرات اليهودية وزودت بالمال.


فلسطين
الرياض
المملكة العربية السعودية

والواقع أن انقسام فرنسا لسنوات طويلة حول قضية دريفوس أعطى هرتزل فكرة حل سياسي للمشكلة اليهودية، وهكذا ولدت الصهيونية كقومية[٢٦]، أما اليهودية فهي دين وليس قومية، ويذكر د. جمال حمدان في هذا الشأن أن كتاب "نحن الأوربيين" يؤكدون فيه أن كلمة يهودي صحيحة كوصف اجتماعي ديني أو شبه قومي أكثر منها كتعبير أثنولوجي في أي معنى جيني (ولو أن هذا لا يقصد به أن اليهود أمة بالمعنى المفهوم للكلمة)، وكثيراً من الصفات اليهودية هي بلا شك نتاج التقاليد والتربية اليهودية، خاصة رد الفعل ضد الضغط الخارجي والإضطهاد أكثر منه نتاج الوراثة، ويذكر في موضع آخر، ليس اليهود قومية ولا هم شعب أو أمة، بل هم مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس[٢٧]، وهذا ما نود التأكيد عليه بأن اليهود طائفة دينية تتكون من أجناس شتى، فمنهم القوقازي والأسود، والأصفر وخلاف ذلك من أجناس العالم.

والصهيونية تحاول عبثا أن تجعل من اليهودية العالمية شعبا، وقومية، وأمة بل وجنسا مستقلا، وليس مجرد طائفة دينية، فالصهيونية تعلم علم اليقين أن الإضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوربا لا يرجع إلى التعصب الديني وحده بقدر ما يرجع إلى طريقة حياة اليهود وانعزالهم وطبيعة حرفهم الابتزازية وإدعاءاتهم بالتفوق الموهوم، فاليهود مكروهين عند كل الديانات لما يقومون به من أفعال تجبر أصحاب الديانات الأخرى على كرههم لذا كان اضطهادهم.

ويرغم أن المسيحية وفكرتها قد انهارت في أوربا، فلا يسعنا إلا أن نشير إلى الانتصار القومي الذي حققه اليهود في أوربا أيضا على حساب المسيحية، حيث استولى اليهود على البورصات في كل مكان في أوربا وتحكموا في رؤوس الأموال، وأصبحوا أرباب القروض، وبالتالي أرباب السياسة الدولية برمتها.

لذا فاليهودية العالمية تعمل بجهدداثب على السيطرة العالمية، وأول ما يسعى إليه اليهود من سيطرة هو السيطرة على العالم المسيحي الغربي - حيث القوة العالمية، لذا وجدت سيطرة اليهود في البورصات الأوربية والأمريكية، وكذلك البنوك وكل مجالات المال والسياسة والإعلام[٢٨].

وقد بدأت مساعي الماليين اليهود لدى الباب العالي لإنشاء هذه المستعمرات، وتبني المشروع كاتب يهودي نمسوي يدعى "تيودورهرتزل" الذي أخرج عام ١٨٩٦ رسالتة الشهيرة Die judenstaat "الدولة اليهودية" وعرض فكرة الوطن الذي يتخذ صورة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت السيادة العثمانية وتؤدي لها الجزية وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص، وكان لدعوته وقع عظيم في اليهودية بأسرها، وأيده أقطاب المفكرين اليهود[٢٩]، ثم انتقلت دعوته إلى الواقع العملي من خلال عقد المؤتمر الصهيوني في بال بسويسرا عام ١٨٩٧.

وقد كشف هرتزل عن أهمية مصر وطائفتها اليهودية بالنسبة لمشروعه خلال حوار دار بينه وبين "البرت موصيري" أحد أقطاب الحركة الصهيونية في مصر بأن يهود مصر والشرق العربي باستطاعتهم تسهيل مهمة هرتزل الصهيونية كوسطاء لخدمة القضية الوطنية، لذا تأتي أهمية يهود مصر بالنسبة للحركة الصهيونية لتمويل الحركة بالمال اللازم حيث الثراء اليهودي في مصر.

وفي مؤتمر بال الصهيوني اعتمدت بنود عرفت باسم "بروتوكولات حكماء صهيون" بلغت عدتها أربعة وعشرين بروتوكولا تحدد الأماني الصهيونية لإذلال العالم وإخضاعه لسيطرتهم، ويرسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض، ويبذرون بذور الفساد ويعيثون بالفوضى والإنحلال في المجتمع، ويفصل الثالث السلاح الاقتصادي الذي يستعين به اليهود على تقويض الحكومات فيقول "وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية" أما الرابع فيقول

"يجب أن نقيم التجارة على أسس المضاربة ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الإحتفاظ بالثروات التي أنتجتها الأرض وعن طريق المضاربة لتدخل تلك الثروات خزائننا"، والسادس يعمل على نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر.

ويذكر محمد عبدالله عنان: "أن هرتزل إتجه إلى إنجلترا وهناك عرض إنشاء الوطن القومي اليهودي في أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطاني، واقترحت خلال ذلك ما سبق ذكره بالنسبة لسيناء وشرق أفريقيا ولكن أغلبية المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠٣ رفضت فكرة التحول عن فلسطين إلى غيرها وعدتها تراجعا وهزيمة للفكرة القومية الأهلية[٢٩]، وهي نفس الفكرة التي عرضت في عهد نابليون ولم تتحقق، ويلاحظ رغبة اليهود في سيناء حتى بعد تحقيق الوطن القومي لهم في فلسطين على الرغم من رفضهم أياها قبل وعد بلفور.

ومن المناطق التي طرحت خلال هذه الفترة أيضا بالنسبة لمسألة توطين اليهود - الجبل الأخضر في برقة بليبيا - عام ١٩٠٤، واستمرت الفكرة اليهودية حتى الغزو الإيطالي لليبيا عام ١٩١١، ثم الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، كما تم طرح مشروع توطين اليهود في الجزء الشمالي الغربي من الخليج العربي (منطقة البحرين والإحساء) في عام ١٩١٧.

أما عن اختيار اليهود لأي دولة من الدول الواقعة تحت النفوذ البريطاني فقد كان ذلك بسبب ميل الإنجليز إلى جانب اليهود - ليس حبا في اليهود - ولكن بسبب كثرة نزوح اليهود إليها، بسبب تعرضهم لكثير من الاضطرابات بل المذابح في كثير من دول أوربا خاصة في روسيا والمعروفة بالبوجروم Pogroms والتي اتسع نطاقها ليشمل يهود بولنده ورومانيا، فكان دور بريطانيا هو إبعاد اليهود عنها حيث أصبح

عددهم لديها كبيرا جدا لدرجة أنه أصبح يقال أن اليهود أنشأوا مدينة بلندن، وبذلك فإن بريطانيا أساس كل بلاء حدث للعرب والمسلمين.

والمتفحص لتاريخ اليهود يجد أنهم السبب الأساسي في جميع عمليات الاضطهاد أو الإبادة التي تلحق بهم في كل أنحاء العالم، فهم شعب مدمر ومخرب لا يحب السلام للشعوب الأخرى ، ولا يحب العيش في سلام، لذا فاليهود يستحقون أكثر مما تعرضوا له في السابق ، ولكن ليس للعرب حظ لوصول اليهود إليهم وقت وقوعهم تحت الاحتلال الأوربي خاصة الإنجليزي الذي ساعد اليهود على نزع قطعة غالية من أرضهم هي فلسطين، ويقول د. جمال حمدان: "لو أن حظ العالم العربي والإسلامي حاليا أسعد فكانوا انتهوا على يد (تيتوس وهادريان) عام ٧٠ ميلادية ١٣٥ ميلادية، ففي الأولى قتل منهم ١،٣٥٠،٠٠٠ في المعارك و ٩٠٠،٠٠٠ أسروا أو بيعوا كرقيق، كما مات منهم الآلاف غيرهم من المجاعات والأوبئة والمذابح، ونحن نقول لو أن حظ العرب أسعد لتمت إبادة اليهود عن أخرهم على يد الروس، والألمان والمجريين، وغيرهم من الأوربيين ولو أن حظ العرب أسعد ما ساعدتهم بريطانيا في إنشاء الوطن اليهودي في فلسطين، أو على الأقل كانت وجهتهم إلى أفريقيا وأمريكا أو غيرها بعيدا عن العرب.

ويقول عبدالسميع الهراوي: "كان اليهود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب في العالم ، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ يظاهرونها ويذكون نيرانها انتقاما من روسيا التي خصتهم بصنوف العذاب والاضطهاد وابتغاء استغلال تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية بإقراض الدول أموالهم بباهظ الفوائد وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها وللقضاء على شعوب أوروبا وتقويض دولها.

ومارست القيادات الصهيونية الكثير من المؤتمرات والتخطيط الإرهابي منذ إنشاء الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١ وكان هذا الصندوق (كيرن كايمت اليسرائيل)

أحد البنوك الصهيونية مهمته شراء الأراضي الفلسطينية وللاستفادة من الرأسمالية اليهودية المصرية، وكان للبنك فرعان في مصر أحدهما بالقاهرة والآخر بالإسكندرية، وكان يحمل أسم (مكتب الكيرن كايمت ليسرائيل)[٣٠].

دوافع بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

هناك جملة من الدوافع الرئيسة التي يمكن استخلاصها لاهتمام بريطانيا بدعم المخططات الصهيونية، وهذه الدوافع هي:

١ـ مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية في البلاد الإسلامية، فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق الإسلامي بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند ـ درة التاج البريطاني ـ والسيطرة على قناة السويس ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وأفريقيا، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي.

ففي عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الإمبراطورية فكان مشروع كامبل باترمان رئيس وزارة حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي أعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر، فلابد من العمل على تجزئة المنطقة وتخلفها، ومحاربة اتحاد سكانها وضرورة فصل الجزء الأفريقي عن الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري كقوة حليفة للاستعمار.

٢ـ تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى فبدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل الرأي العام الأمريكي لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء، وللصهيونية تأثير كبير على هذا الرأي العام في الولايات المتحدة، فعملت على السير في المخططات الصهيونية، فضمنت بذلك جماعات

اليهود القوية الغالية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال لا في نيويورك فقط بل في نواحي كثيرة من أنحاء العالم وحملها على مناصرة قضية الحلفاء، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام ١٩١٧م.

٣ـ مشكلة استخراج الأسيتون: والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخانًا، وقد تمكن "وايزمن" اليهودي من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الاستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية بعد أن نجحت الغواصات الألمانية في فرض حصار بحري محكم على الجزر البريطانية، ولم يترك "وايزمن" عملية الإشراف على إنتاج الأسيتون لغيره، فقد أرسل أحد تلاميذه الصهاينة وهو "هربرت سبيكمان" للإشراف على العمل في كندا، وبذلك ضمن أن يظل هو صاحب الفضل الأول والأخير في إنتاج هذه المادة الاستراتيجية، وقد رفض وسام الشرف الذي قدم له وطلب أن تفعل الحكومة البريطانية شيئا لشعبه، وطالب بمنح اليهود أراضي الدولة في فلسطين بعد ذلك وتشجيع الهجرة اليهودية بمعدل أربعين ألفا إلى خمسين ألفا فأيده "أورجسي" السياسي الاستعماري البريطاني على الفور.

مرحلة العمل الصهيوني الأنجليزي لتهويد فلسطين:

في هذه المرحلة ١٣٣٧ ـ ١٣٥٨ هـ/١٩١٨ـ ١٩٣٩م تمكنت الصهيونية والاستعمار من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها، ووقعت البلاد الإسلامية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية.

وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة، ومعاناته من المستعمرين، فانفردت الصهيونية والأنجليز في فلسطين، وتم التوقيع عام ١٣٣٨/

١٩١٩م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم وفي المادة (٢٢) من هذا الميثاق نص يعترف بصك الانتداب، وفي معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠م انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطنية مع ضاحيتها والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ إنجليزي، وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية، وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٣٣٩ هـ/١٩٢٠ م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا، وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علنا، وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وأقر مجلس عصبة الأمم وعد بلفور، كما نصت بنود محاضر اجتماعاته على تشجيع الهجرة اليهودية، فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد ومن أهم ما عملته في هذا السبيل ما يلي:

١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

تزايد عدد اليهود من ٥٥ ألفا عام ١٣٣٩ هـ / ١٩١٩ م إلى ١٠٨ آلاف عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ ثم إلى ٣٠٠ ألفا عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥م، ثم بلغ ٦٥٠ ألفا عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨م، فرأي أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول.

(٢) تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود:

منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقة بيسان والبيرة وقيصرية، بطلب من وايزمن وتأييد من السياسي البريطاني أورجسبي غور، كما وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني

جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة وتضمنه الحكومة البريطانية وذلك لشراء المزيد من أراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية، ووضعت بريطانيا الفلاحين المسلمين في فلسطين في ظروف غاية في القسوة تجبرهم على ترك أراضيهم أو بيعها.

كما ساعدت الحدود المصطنعة والإغراءات المالية الصهيونية على أن يبيع الملاك خارج فلسطين أراضيهم داخل فلسطين كسهل مرج ابن عامر (الذي كان يملكه أغنياء بيروت وتجاره أمثال: عائلات بترس وسرسق وتويني ومتى فرح وسليم الجوري) ووادي الحوارث والحولة وغيرها، وقد استخدمت اليهودية مكانهم، فحصل الصهاينة من هذه المناطق وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم فحصل الصهاينة في الفترة من عام(١٣٤٠ـ ١٣٤٤هـ/١٩٢١ـ ١٩٢٥م) على ٢٦٠ دونم من مالكين مقيمين خارج فلسطين، وأما من أهالي فلسطين، فحصلوا على نسبة ضئيلة معظمها من العائلات النصرانية: كسار، روك، خوري وحنا وغيرهم.

وأما الأراضي التي باعها الفلاحون المسلمون فكانت تكون نسبة ضئيلة جدا من الأراضي التي بيعت، ورغم كل جهود اليهود لشراء الأراضي فإنهم لم يستطيعوا أن يملكوا حتى عام ١٩٤٨م سوي ٦ ٪ فقط من مساحة فلسطين، ولكن هذه النسبة تساوي ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية.

٣ـ اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية شريكة في تنفيذ المخططات فأصبحت دولة داخل دولة، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الإنجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية.

٤ـ عينت بريطانيا "هربرت صموئيل" السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام١٣٣٩ هـ/١٩٢٠م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة، وكان يشغل عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م منصب وزير الداخلية، واتخذ معاونيه

من اليهود وعلى رأسهم اليهودي بنتوليش الذي تولى وضع القوانين والإشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني، وفتح مع زملائه اليهود باب الهجرة على مصراعيه حتى يمكن اليهود من السيطرة عليها، فكان تعيينه ضربة قوية لمسلمي فلسطين.

٥ـ اعترفت بريطانيا باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود، بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الإنجليز واليهود، وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م في القدس.

٦ـ منحت بريطانيا الصهاينة امتيازات المشاريع الهامة في فلسطين، كمشروع روتنبرغ للكهرباء، وتجفيف بحيرة الحولة، ومشروع البوتاس.

موقف المسلمين من وعد بلفور:

لم يوافق العرب والمسلمين على وعد بلفور، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم من الهجمة الاستعمارية الشرسة، ولغموض وعد بلفور وعدم إدراكهم أبعاده، أما أهل فلسطين فقد كانوا أكثر المسلمين أدراكا لأبعاد التصريح واكتووا بنار التهويد، فقاموا بعدة انتفاضات تعبر عن شعورهم بالخطر الصهيوني وكانت مطالبهم تنصب على المناداة بما يلي:

١ـ العدول عن فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

٢ـ إيقاف الهجرة اليهودية إيقافا تاما.

٣ـ منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

٤ـ منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى ومرفق الشروط نفسها.

وكان التيار الإسلامي قويا في حركات أهل فلسطين، وكثيرا ما ناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الأخطار اليهودية على فلسطين، ومن أهم هذه الحركات:

١ـ حركة عام ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١م: على إثر تصريحات تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الموالية للصهيونية، وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينة يافا ثم امتدت إلى سائر المدن الفلسطينية، فلجأت بريطانيا إلى سياسة التهدئه وإتباع أسلوب تشكيل اللجان للتحقيق، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين، ثم لا تلبث بريطانيا أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد.

٢ـ حركة البراق عام ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩م: إثر اعتداء اليهود على حائط البراق[٣١]، فتجددت الاضطرابات في فلسطين، حيث يدعى اليهود أن هذا الأثر هو حائط المبكى، وهو أثر من أثار هيكلهم الزائل في حين يعده المسلمون من الآثار الإسلامية المقدسة حيث ربط فيه النبي محمد ﷺ جواده الذي عرج به إلى السماء، وفي هذه الاضطرابات اصطدم العرب باليهود مما أدى إلى سقوط مئات القتلى والجرحي من الفريقين[٣٢].

٣ـ حركة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٣٣٤ هـ/ ١٩٣٥م:

الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين، وكان قائدا بارزا، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م تجول في قرى شمال فلسطين واستثار روح الجهاد ضد الإنجليز واليهود على السواء، وفي عام ١٩٣٥م أرسل إلى المفتي أمين الحسيني طالبا إعلان الثورة في الجنوب في الوقت نفسه الذي يعلنها هو في الشمال، وقيل أن المفتي أمين أجابه بأنه يؤثر التوصل إلى حل سياسي على اللجوء إلى ثورة مسلحة فقاد الشيخ القسام الحركة بنفسه عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

٤ـ الثورة الفلسطينية الكبرى: ١٣٥٥ـ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٦ـ ١٩٣٩م:

تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة بالنظر إلى ما يعانيه يهود ألمانيا من اضطهاد النازية، فزاد ذلك الطين بلة، وصب الزيت على النار المشتعلة، فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام ١٣٥٢/١٩٣٣ وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة، ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها، فبدأ الناس بإضراب استمر ستة شهور وهو أطول إضراب عرفه التاريخ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية(٣٣).

وفي أغسطس عام ١٩٤٧ صدر تقرير حصل على أغلبية الأصوات من اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين وأوصى هذا التقرير بمراعاة النواحي الاقتصادية للفلسطينيين مع تدويل القدس والضواحي التابعة لها، ووافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على هذه التوصيات حيث حصلت على التأييد من جانب ٣٣ صوتا والرفض من جانب ١٣ صوتا وامتناع عشرة أصوات من الإدلاء بالرأي، وبذلك أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

وفي أعقاب ذلك أعلنت بريطانيا عن استعدادها لسحب قواتها من فلسطين في ١٤ من مايو، كما عينت الأمم المتحدة لجنة للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم(٣٤). وكانت بريطانيا من الدول التي امتنعت عن التصويت حتى لاتتهم بالوقوف في هذا الجانب أو ذاك واحتفظت بموقف محايد(٣٥) في المشكلة التي كانت سببا في وجودها منذ إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ ومساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين مؤقتا.

والواقع أن قرار التقسيم قرار جائر بالنسبة لفلسطين وسلبي في الوقت نفسه، وقد جاء هذا القرار بعد خذلان مجلس الأمن للقضية المصرية في سبتمبر ١٩٤٧، وكأن الأمم المتحدة ضد مصر والعالم العربي، وهذا ليس بعيدا أو غريبا، فالأمم المتحدة يسيطر عليها الدول الكبرى وهي دول استعمارية، لذلك كانت قراراتها ولا تزال طبقا لما تملية مصلحة هذه الدول الاستعمارية ودائما ضد مصلحة الدول العربية خاصة فلسطين، طالما هذه الدول تساند اليهود.

وقد كان قرار مشروع التقسيم سبب إثارة جماهير المواطنين في مصر في الشهور الأخيرة لعام ١٩٤٨، وسببا جديدا للسخط في جامعة الأزهر والجمعيات السياسية والدينية العديدة بالقاهرة، وفي الأيام الأولى من ديسمبر كان المتظاهرون وعددهم نحو عشرة آلاف يخترقون شوارع القاهرة مطالبين بالسلاح هاتفين ضد الدول المتهمة بإقرار مشروع التقسيم.

وفي ٥ ديسمبر من هذا العام، وفي أثناء انعقاد المؤتمر العربي الإسلامي بفناء جامعة الأزهر صاح صالح حرب وزير الدفاع الوطني السابق وأصبح رئيسا لجمعية الشبان المسلمين وهو يلوح للمستمعين بنسخة من القرآن الكريم ومسدسا موضحا أن تحرير فلسطين أصبح واجبا وطنيا دينيا على كل المسلمين، أما دعوات التعقل التي كان ينصح بها رئيس الوزراء السابق إسماعيل صدقي فقد ضاعت وسط قعقعة السلاح وصخب الجماهير فقد كان يقول أنه لا خطر على مصر من قيام إسرائيل وإذا كان هذا هو التفكير المتعقل بأنه لا خطورة لليهود على الحدود المصرية، فلماذا إقدام اليهود على شراء الأراضي في مناطق الحدود بين مصر وفلسطين أو في شمال شرق سينا سنة ١٩٤٥؟.

ألم يكن ذلك ضمن المخططات اليهودية الصهيونية للتوسع في المناطق المحيطة بفلسطين مثل سيناء؟ ألم تصدر الحكومة المصرية القانون رقم ١١١ لسنة ١٩٤٥

لمواجهة هذا المخطط الذي يهدد حدود مصر؟، ولوضع حد للمحاولات اليهودية في سبيل تملك الأراضي المصرية ألم يطالب أعضاء مجلس النواب في نفس العام بحظر تملك الأجانب للأراضي الزراعية في مصر لنفس الغرض الذي استمر أمام محكمة المنصورة المختلطة حتى ١٩٤٧؟ [٣٦].

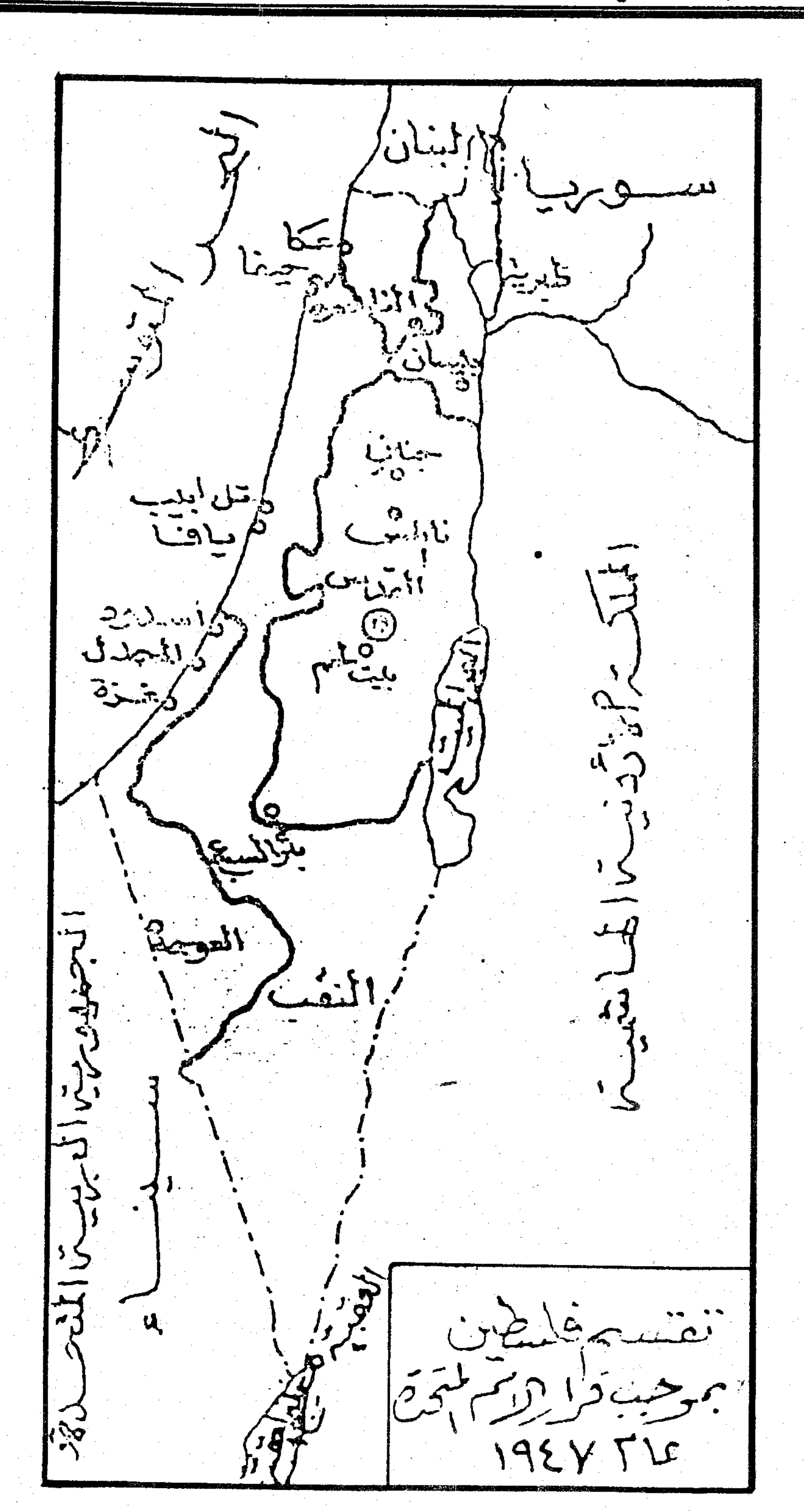
وبذلك فإن النواب كانوا يرون خطر اليهود بصفة خاصة وخطر الأجانب بصفة عامة، كما أن اليهود بالفعل كانوا يقومون بشراء الأرض للتوسع على حساب أراضي الدول المجاورة، وأن عملية الشراء هذه فقد تكون غير واضحة المعالم لمثل إسماعيل صدقي لأنه حدث قبل قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨.

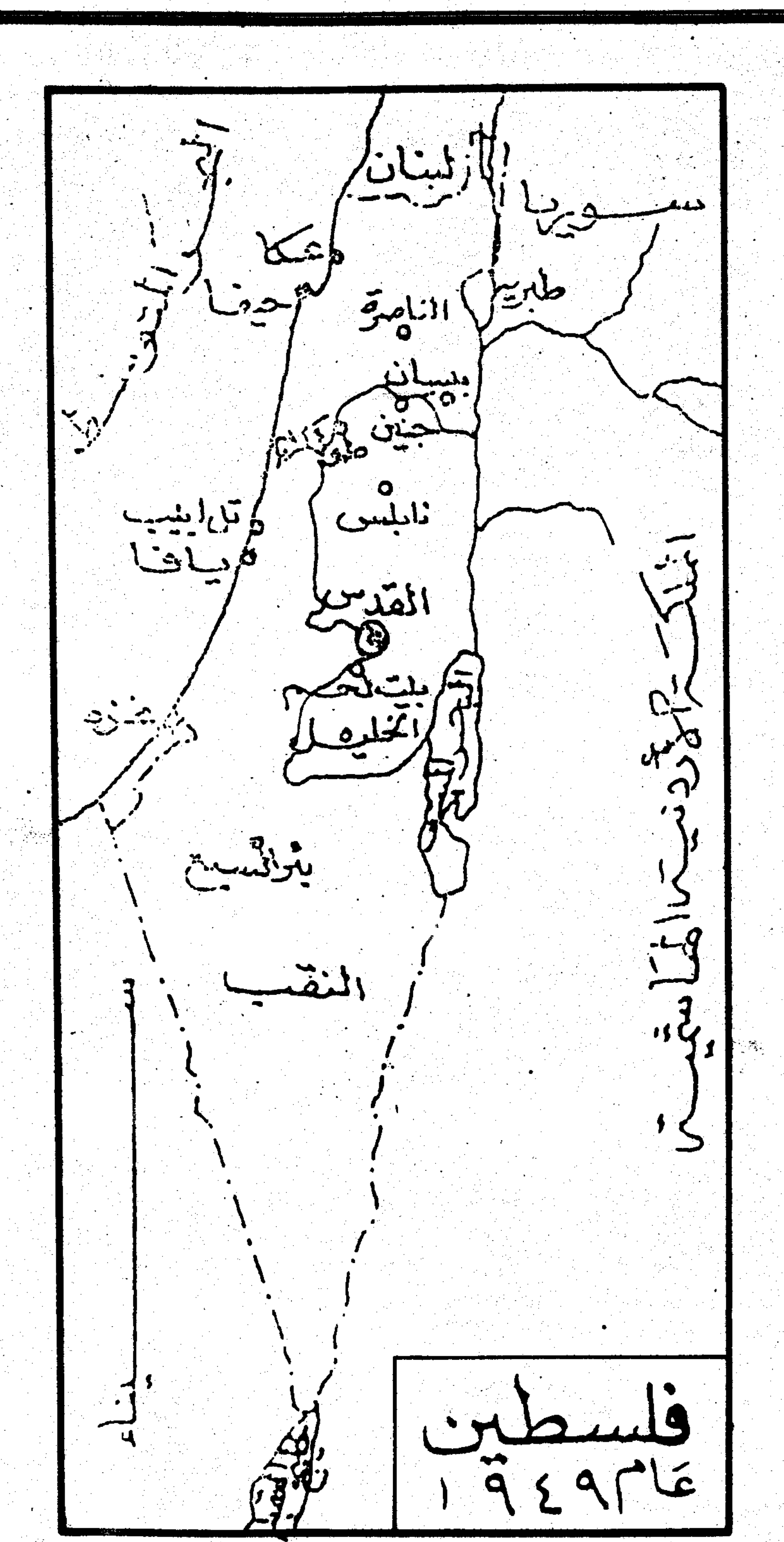
ناهيك من وجود كثير من الشركات الاقتصادية في مصر شركات مملوكة لليهود الذين كانوا يقومون بجمع الأموال وإرسالها إلى (تل أبيب) بفلسطين، وكذا الشبان اليهود الذين كانوا في سن العسكرية كان يتم إرسالهم إلى إيطاليا ومنها إلى تل أبيب على حساب الشركات بالتآمر مع اليهود الموجودين بكثرة في ضاحية المعادي بالقاهرة لأشتراكهم في حرب فلسطين ومساندة يهود إسرائيل، حتى وإن كان إرسال الشبان لا يشكل خطورة بل العكس فهو مصلحة مصرية بإحلال المصريون محلهم، وكل ذلك كان يشكل خطورة على فلسطين لأن في ذلك زيادة أعداد اليهود فيها، أما الخطر الأكبر فكان تهريب الأموال المصرية إلى إسرائيل [٣٧].

إن قرار التقسيم الذي هلل له اليهود، صدم به العرب صدمة كبيرة فهم يطالبون بفلسطين دولة عربية مستقلة غير مقسمة، وانفجرت ثورتهم، واشتبكوا مع اليهود في مصادمات واسعة داخل فلسطين مما جعل الوضع بالغ الخطورة، وفي الوقت الذي طالب فيه مجلس الأمن من الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث القضية الفلسطينية من جديد، أصبح اليهود على ذلك، وأكدوا عزمهم على إعلان دولتهم في قسمهم الذي منحهم أياه مشروع التقسيم معتمدين على تدعيم الولايات

المتحدة الأمريكية لهم [٣٨] فهي فرصة لليهود فمن خلالها سوف يتم التوسع اليهودي، المهم أن تكون هناك دولة إسرائيلية يهودية مبدئيا، وقد كان.

وبعد صدور قرار الأمم المتحدة تم إعلان انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وحانت لحظة الانتقال من مجال الأقوال إلى مجال الأفعال ، وظهرت المصاعب التي دفعت الدول العربية إلى الوقوف كل منها ضد الأخرى من خلال التصريحات التي أسرف قادة الجامعة العربية في الإدلاء بها متجهين بها إلى شعوب المشرق والمغرب، فقد اقترح العراق على سبيل المثال على الدول العربية قطع علاقاتها الاقتصادية بدول الغرب فلم يجد ذلك تجاويا من جميع الدول، ودعا الملك عبدالله من جانبه إلى إنسحاب الوفود العربية من هيئة الأمم المتحدة ولكن عارضه كل أعضاء الجامعة، وذلك لأن هذا القرار لا يخدم سوى مصالح شرق الأردن لأنها الدولة العربية الوحيدة التي ليست عضوا في المنظمة الدولية، كما اختلف الأعضاء في تعيين قائد عام للجيوش العربية، وكل دولة أرادت أن تحوز هذا الشرف، لذا عندما دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ كان كل جيش يقاتل لحسابه الخاص [٣٩]، ولم يحدث الاتحاد بينهما.


لبنان
سوريا
عكا
حيفا
طبرية
بيسان
جنين
تل أبيب
يافا
نابلس
القدس
بيت لحم
أسدود
المجدل
غزة
بئر السبع
العوجا
النقب
العقبة
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
تقسيم فلسطين
بموجب قرار الأمم المتحدة
١٩٤٧


لبنان
سوريا
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
بيسان
جنين
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
بئر السبع
النقب
فلسطين
عام ١٩٤٩

وهكذا، وعلى مدى عقود عقدت اجتماعات ومداولات بين القادة العرب دون جدوى تذكر لصالح الفلسطينيين، حتى تعاقبت حكومات الكيان الصهيوني وآخرها حكومة شارون للنيل من الفلسطينيين، وقتل أطفالهم وشبابهم، وهدم منازلهم بصورة تكاد ترى بصفة يومية.

ومما لا شك فيه أن الشقاق والخلاف الذي اجتاح الدول العربية كان رغم صدور قرار بالإجماع من جامعة الدول العربية ينص على التدخل في فلسطين آنذاك، إلا أنه لم يكن سوى واجهة، إذ لم تكن هناك رابطة فعالة بين الجيوش العربية ولم تعمل هذه الجيوش في توافق أو تشاور أوانسجام ، كما أن قدراتها العسكرية لم تكن تعكس التفوق العربي الكاسح من حيث العدد حيث كان ٤٠ مليون عربي يواجهون ٦٠٠ ألف يهودي صهيوني، وفي ميادين القتال نجد أن مصر كان لها عشرة آلاف جندي والفيلق العربي التابع لشرق الأردن كان يضم ٤٥٠٠ مقاتل وكان رئيس أركان هذا الجيش هو الجنرال جلوب البريطاني، كما كان كبار ضباط الجيش من البريطانيين (٤٠) وبالتالي فإن هؤلاء لا يستطيع أحد محاسبتهم عن الهزيمة التي تحل بالجيش ، خاصة وأن بريطانيا أساس تواجد هؤلاء اليهود في فلسطين.

أما سوريا فقد كان لها ثلاثة آلاف مقاتل، والعراق ثلاثة آلاف مقاتل، ولبنان كان لها ألف مقاتل، وكانت الأسلحة التي يستخدمها العرب إما بريطانية أو فرنسية، وكانت الجيوش العربية تواجه حوالي ٦٠ ألف جندي يهودي مسلحين ومدربين والكثير منهم سبق له الاشتراك في معارك حقيقية(٤١) هذا بالإضافة إلى المعدات الكثيرة التي كانت ترسل إلى فلسطين لليهود، وكذلك المهاجرين عن طريق الدردنيل.

وقد كتب بذلك عبدالفتاح عمرو سفير مصر في بريطانيا في ١٧ مايو ١٩٤٨ منبها وزارة الخارجية المصرية بكثرة هذه المعدات والمهاجرين، بل، ويلفت النظر إلى أن تركيا تستطيع بمقتضى اتفاقية مونتيه أن تمنع تلك السفن من المرور بالمضايق باعتبارها سفنا حربية [٤٢] وبذلك فإن تركيا رغم أنها دولة إسلامية إلا أنها لم تحاول الدفاع عن فلسطين الإسلامية والتي كانت يوما ما ولاية عثمانية، ولكن تركيا أصبحت دولة علمانية لا شأن لها بالدول الإسلامية فقد كانت وما زالت ذات علاقات طيبة مع اليهود.

ولما دخلت القوات العربية إلى فلسطين لم يتجاوز عددها العشرين ألفا تقدمت في مناطق عربية في الغالب ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة عندما تحركت إلى المناطق اليهودية، وعلى الرغم من سوء التخطيط والفساد والضغط الأجنبي على الحكومات العربية التي كانت مصائرها في يد الاستعمار، فقد حققت هذه الجيوش بعض النجاح فتعرضت الدول العربية للضغط الهائل من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا لحملها على قبول الهدنة في ١١ يونيو١٩٤٨م فتمكن اليهود من تحسين موقفهم العسكري بالحصول على الأسلحة الثقيلة والطائرات والمتطوعين في حين طبق الحظر الكامل على الدول العربية، فلما إستؤنف القتال في ٩ يوليو ١٩٤٨م أصيبت الجيوش العربية التي التزمت جانب الدفاع بالانتكاسات المتوالية رغم البطولة التي أبداها اهل فلسطين والمتطوعون المسلمون، فقبلت الدول العربية الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨ م التي استفادت منها إسرائيل فائدة كبيرة، فقد دخل اليهود بعدها مصر ولبنان فكانت عدة تطورات في المواقف منها:

١ـ اتفاقات هدنة رودس مع كل من مصر ولبنان والأردن وسوريا عام ١٩٤٩ م وقد سيطرت إسرائيل بموجبها على ٧٧٪ من أراضي فلسطين عوضا عن ٥٦٪ من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب مشروع التقسيم، كما أعطت إسرائيل

جـ ـ أتاحت الفرصة للشعارات الثورية والتقدمية القومية أن تملأ اسماع المنطقة بوسائل الإعلام المختلفة فتقلصت الاتجاهات الإسلامية وأتهمت بالرجعية وهوجمت بعنف وملأ الضجيج كل مكان.

٤ـ معركة المياه : رغبت الدولة اليهودية بتحويل مياه نهر الأردن وتوصيلها إلى النقب لتوفير مصدر للمياه يساعد على استيعاب مهاجرين جدد.

وكانت النتيجة أن نجحت الدولة اليهودية في تحويل مياه نهر الأردن ، وبدأت تتجه القضية إلى الأقليمية الضيقة.

مرحلة التوسع اليهودي: (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م):

تعمد اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، وتعرضت مصر للانتقادات لوجود قوات الطوارئ الدولية ، فطلبت من الأمم المتحدة سحبها ، ثم أغلقت خليج العقبة في وجه الملاحة اليهودية ، ففاجأ اليهود الطيران العربي في مصر وسوريا والأردن بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم ٥ يونية عام ١٩٦٧م ، واحتلوا سيناء ، وقطاع غزة من مصر والجولان من سوريا والضفة الغربية من الأردن ، وسميت هذه الحرب المذلة بحرب الأيام الستة ومن أهم نتائجها ما يلي:

أ ـ ثبوت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجا من قومية واشتراكية وثورية وغيرها ، وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ، وإلى دينها ، فهي تمثل في الحقيقة منعطفا نحو إدراك الأمة لذاتها.

ب ـ زادت من غرور العسكرية اليهودية ومن ثقة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي.

فرصة البناء والتنظيم بأن نصت على وجود مناطق مجردة من السلاح بين سوريا وإسرائيل، والأردن وإسرائيل، ومصر وإسرائيل، ولقد اتصف العرب بتقيدهم الكامل بتلك الاتفاقات والاحترام لها، أما إسرائيل فقد خرقتها في مناسبات عديدة.

٢ـ أصدرت الدول الاستعمارية الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في ٢٥ مارس ١٩٥٠م التصريح الثلاثي بضمان حدود إسرائيل والمحافظة على كيانها الصهيوني ضد أي خطر محتمل يتهددها، كما قامت تلك الدول بدعم إسرائيل اقتصاديا وعسكريا من أجل خدمة المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية، أما روسيا فأمدتها بأهم من ذلك وهو العنصر البشري المدرب على القتال.

٣ـ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م: ففي هذا العام أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس، فقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو الأراضي المصرية، ويهمنا في هذا العدوان نتائجه التي منها:

أ ـ حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقليص النفوذ البريطاني والفرنسي، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الانسحاب.

ب ـ وضعت قوات الطوارئ الدولية على الجانب المصري من الحدود بين إسرائيل ومصر لتحول دون وقوع الحرب بين الطرفين، وقد أدى هذا إلى توقف النشاط الفدائي في قطاع غزة وإلى فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية والاتصال بإفريقيا وكلها مكاسب ثمينة لإسرائيل فقد صرح موشي ديان قائد العدوان الإسرائيلي على سيناء بعد انسحاب قواته قائلا: "إن فتح خليج العقبة يعدل في أهميته قيام إسرائيل عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م".

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٢٤٢) والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧م، وعلى إنهاء حالة الحرب بين العرب واليهود[٤٣].

ومنذ احتلال إسرائيل للقدس الشرقية عام ١٩٦٧ ظهرت أصوات في الكنيست تطالب بضمها إلى القدس الغربية واعتبارها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل ، وبينما كانت إسرائيل تفكر فيما يجب أن تتبع من سياسات إزاء الأراضي المحتلة أنتهي الأمر إلى أصدار الكنيست عام ١٩٨٠ مرسوما بضم القدس واعتبارها عاصمة إسرائيل الأبدية وظل موقفها هكذا حتى الآن -على الأقل- من حيث السياسة العامة ، وخلال الفترة من ١٩٦٧ حتى الآن عملت إسرائيل على تهويد المدينة المقدسة وتشجيع استيطانها من اليهود، وتقليص الوجود العربي فيها، وتغيير هويتها الحضارية والجغرافية والسكانية، ثم محاولة فرض أمر واقع دولي بتشجيع نقل مقار البعثات الدبلوماسية إليها على أساس أن الدولة في القانون الدولي تختار عاصمتها وعلى البعثات الأجنبية بموجب التشريعات الدبلوماسية في مختلف الدول أن تقيم في العاصمة.

ولكن وضع القدس مختلف حيث لها وضعية خاصة بموجب قرار التقسيم، وحرصت الجمعية العامة ومجلس الأمن على تأكيد أن القدس لا يجوز المساس بها من طرف واحد، وأن القدس الشرقية جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ كما أكدت اليونسكو وغيرها من الوكالات المتخصصة على الطابع الخاص للمدينة، وعندما قرر الكنيست اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل أصدر مجلس الأمن القرار ٤٧٨ في ١١ نوفمبر١٩٨٠ بعدم الاعتراف بالتشريع الإسرائيلي وطالب إسرائيل بالالتزام بالشرعية الدولية.

ولقد قامت منظمة المؤتمر الإسلامي أصلا لدعم قضية القدس وأنشأت لها لجنة القدس منذ عام ١٩٧٥ برئاسة الملك الحسن ملك المغرب، وإدارة القدس بالأمانة العامة للمنظمة، وصندوق لدعم صمود القدس ضد التهويد ودعم هويته الإسلامية، وكذلك تحاول الجامعة العربية دعم صمود الشعب الفلسطيني في مواجهة التهويد.

وقد تقرر اتفاق المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي الموقع عليه في واشنطن في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣، الذي يتضمن أن تكون القدس والمستوطنات واللاجئون والحدود هي الموضوعات التي تجري حولها مفاوضات تحديد الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية، ومعنى ذلك أنه لا يجوز لأي من الطرفين المساس بالمدينة منذ توقيع هذا الاتفاق الذي ضمنته مصر والأردن وروسيا والنرويج والولايات المتحدة، ووقع رؤساؤها عليه تعزيزا لاحترامه ونفاذه.

وبينما احترم العالم كله ذلك وأكده في مختلف المناسبات تراخت الولايات المتحدة إزاء سياسات إسرائيل الهادفة إلى طمس هوية المدينة، تارة عندما قررت بناء ٦٠٠٠ وحدة سكنية للمستوطنين اليهود على جبل أبو غنيم، واستمرت في ذلك مما أوقف عملية السلام، وبدلا من تصدي واشنطن لهذه الخطوات لإنقاذ مسيرة السلام قرر مجلس النواب الأمريكي بأغلبية كبيرة رصد مبالغ لنقل مقر السفارة الأمريكية (مؤقتا) من تل أبيب إلى القدس وهو ما أثار التساؤلات حول جدية موقف واشنطن رغم رفض الإدارة الأمريكية للقرار بسبب عدم ملاءمة توقيته وليس بسبب تناقضه مع ما يجب أن يكون عليه الموقف الأمريكي، ولقد أكدت القمة الإسلامية في إسلام أباد في مايو ١٩٩٧ وفي اجتماع لجنة القدس على مستوى القمة مساندتها للموقف الفلسطيني إلا أن ذلك، بجانب تصدي الشعب الفلسطيني الأعزل للمخطط الإسرائيلي، لم يوقف عملية بناء الوحدات السكنية المشار إليها.

والحق أنه منذ وصول حكومة الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو إلى الحكم في مايو ١٩٩٦ وهي تشجع المستوطنين، وتعرقل عملية السلام، وتعمد إلى تشديد قبضتها على القدس وانتحال مختلف الوسائل لإغلاق بيت الشرق الفلسطيني الذي يؤكد به الفلسطينيون مركزهم الدولي في القدس.

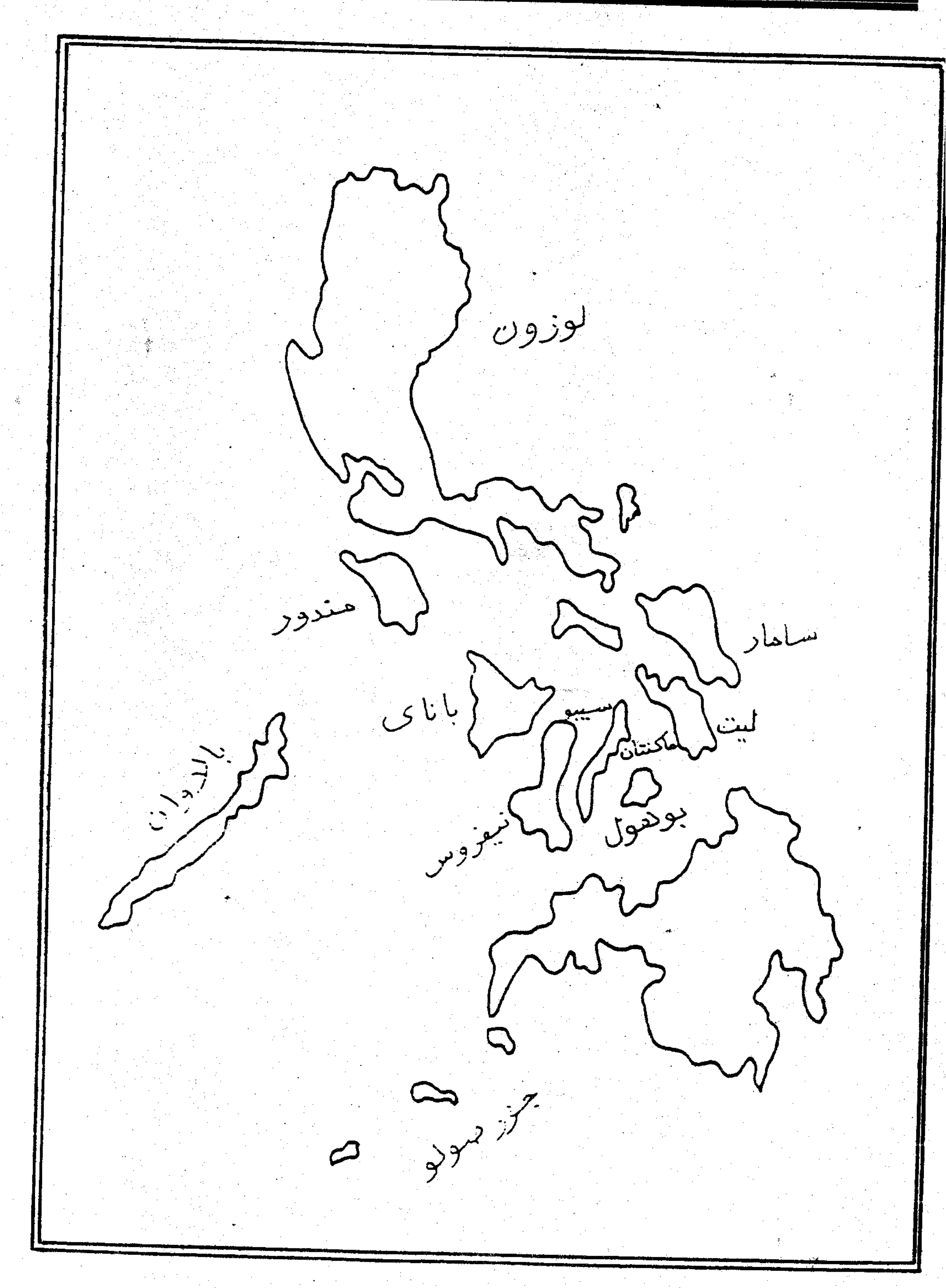
وقد اختارت إسرائيل عام ١٩٨٠ للإعلان رسميا عن موقفها التشريعي من القدس على أساس اعتقادها أن السلام المصري الإسرائيلي باتفاقية ١٩٧٩، وإكتفاء مصر بالتحفظ لموقفها إزاء القدس في المراسلات المصرية الأمريكية على هامش اتفاقيتي كامب ديفيد قد جعل القدس لقمة سائغة لفرض أمر واقع عليها في وقت تفرقت فيه السبل وتمزقت الصفوف العربية فور توقيع الاتفاق المصري الإسرائيلي في مارس ١٩٧٩، فأصبحت القدس في نظر إسرائيل أرضا لا مالك لها، بعد أن شككت في البداية في القدس التي من شأنها التأثير على الحق الفلسطيني المفترض في المدينة المقدسة، أما في الموضوع فيتطلب من المحكمة بيان المركز القانوني للقدس في ضوء قرار التقسيم والتزامات الأطراف في نطاق اتفاق أوسلو[٤٤].

وأخيرا لا يجوز أن تصادر الآمال المعقودة على فرص التسوية السياسية وعلى الأمة الإسلامية العمل في ظل وحدة إسلامية لمواجهة الخطر الصهيوني وتخليص فلسطين من دنس هؤلاء الصهاينة أحفاد القردة والخنازير.

مسلمو الفلبين

تقع الفلبين في الجزء الجنوبي الشرقي من قارة آسيا ، على شكل أرخبيل يضم نحو من سبعة آلاف جزيرة ، تتفاوت في مساحاتها ويبلغ تعداد سكانها أكثر من أربعين مليون نسمة، منهم خمسة ملايين من المسلمين معظمهم يتبعون مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

دخل الإسلام الفلبين مع أتساع حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية عن طريق التجارة، وما كاد يجئ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حتى انتشر الإسلام وتضاعفت أعداد المعتنقين لهذا الدين الحنيف، حتى أنهم أسسوا سلطنة مستقلة في جزيرة جولو الفلبينية على رأسها السلطان شريف الهاشم الذي لا يزال قبره موجودا عند جبل تومانتانتسن، وأتسع نفوذ السلطنة حتى شمل جزر جولو


لوزون
مندور
سامار
باناي
سيبو
ليت
ماكتنان
بوهول
نيغروس
جزر سولو

الفلبين

وسولو ومندناو، وبني المسلمون المساجد والمدارس الإسلامية كعهدهم في كل بلد يستوطنوه ، ثم تعددت السلطات والإمارات الإسلامية في جزر الفلبين.

ومنذ القرن السادس عشر والمسلمون في جزر الفلبين يخوضون حركة جهاد مستمرة مرت بثلاث مراحل ضد البرتغاليين والأسبانيين. وما زالوا يخوضون مرحلتهم الثالثة ضد نظام الحكم الحالي في الفلبين.

وقد انتقلت الفلبين في نهاية القرن التاسع عشر إلى حكم الولايات المتحدة الأمريكية بعد استعمار دام قرابة ثلاثة قرون، وتوقع المسلمون الخير على يد الأمريكان في الفلبين ولكن السياسة الأمريكية اتسمت بمناهضة الإسلام والمسلمين بإرسال البعثات التنصيرية، واستمرت هذه السياسة من عام ١٨٩٨ إلى عام ١٩٤٦ ، وتركت بصماتها السيئة بالنسبة لمسلمي الفلبين في الجوانب التالية[٢٤] :

١ـ فقدان السيادة الإسلامية على معظم الولايات والسلطات.

٢ـ فقدان المسلمين لحيازة كثير من أراضيهم.

٣ـ ضياع التماسك الإسلامي.

٤ـ تسلل الصهيونية إلى الفلبين.

وفي الحرب العالمية الثانية وبعد ثلاثة أيام فقط من قصف "بيرل هاربر" بدأت القوات اليابانية في غزو الفلبين ، وأدرك الجنرال " ماك أرثر " أنه لا يستطيع المقاومة فأنسحب إلى جزيرتي كورجيدور وباثان وترك مانيلا مدينة مفتوحة، حاصرتها القوات اليابانية واستسلم ٨٤ ألف مقاتل أمريكي ساروا في طابور الموت إلى معسكرات الاعتقال • وإلى أقبية قلعة سنتياجو ، ولا تزال القلعة تحمل ذكرى أحد عشر جنديا أمريكيا ماتوا في الأقبية جوعا وعطشا.

وفي عام ١٩٤٤ بدأ الهجوم الأمريكي المضاد، وكانت هزيمة اليابان في الفلبين بداية هزيمتها في الحرب كلها ، وعادت أمريكا إلى الفلبين بعد أن كانت منحتها الاستقلال[٤٦].

-واقع المسلمين في الفلبين في عهد الاستقلال:

اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الاستقلال (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م) بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لا يقل عن مائة ألف مسلم، وحرقت نصف مليون واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس، وجاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م: "أن عدد المذابح والحوادث الدامية التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ ٤١٧ حادثة في ثلاث سنوات.

وبالمقابل اشتد وعي المسلمين في الفلبين وشعورهم بالانتماء إلى الأمة الإسلامية الكبيرة وظهر هذا التجاوب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، فقد ألفوا لجانا للتطوع لمساعدة العرب المسلمين، وعندما زارت جولدا مائيرالفلبين سنة ١٩٦٤م احتج المسلمون على هذه الزيارة وقال النائب المسلم في البرلمان، "إذا لم تطرد الحكومة هذه السيدة فسنتولي طردها" وقامت المظاهرات العدائية في أنحاء الفلبين، مما جعلها تختصر زيارتها وتخرج بعد أقل من ٢٤ ساعة.

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م أعدوا كتائب خاصة للجهاد ضد اليهود وعقب مأساة عام ١٩٦٧ م كان أبا أيبان يطوف بالعالم يبرر ما حدث منهم ، فلما وصل الفلبين كانت المظاهرات تحاصر المطار حتى حالت دون خروجه فاضطر لاستخدام

الطائرة الهليكوبتر لتنقله إلى القصر الجمهوري، ولم يستطع الوصول إلى الجامعة ليلقي المحاضرة التي كانت مقررة له ضمن برنامج زيارته.

وعقب ذلك اشتدت الهجمة الصهيونية في الفلبين، وعمل الكاثوليك بمساعدة البابا على تنصير السكان المسلمين وتهجيرهم وبموافقة الدول الأجنبية وخاصة أمريكا، وزحف نصارى الشمال نحو أراضي المسلمين في جزر مندنا وبالاوان وصولو بغية طردهم واحتلال أراضيهم.

وبالإضافة إلى الأحزاب السياسية النصرانية الكاثوليكية في الفلبين نشأت منظمات كاثوليكية محظورة قانونا ولكنها تلقي التعاطف من قبل السلطات الحكومية ورجال الأمن والشرطة مثل (منظمة ايلاجاس - (أي الفئران) الإرهابية، وقد وجدت هذه المنظمة تأييدا من إسرائيل فزودتها بالخبراء والأسلحة، وتدرب أفرادها على العمليات الإرهابية، وأخذت هذه المنظمة الخطيرة منذ ١٣٩١هـ/١٩٧١م تقتل المسلمون وتحرق بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم وتهدد زعمائهم ليقبلوا تنصير المسلمين) وقد فضح النواب المسلمون تواطؤ حكومة ماركوس (الذي تولى رئاسة الفلبين منذ سنة ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م) وأولئك الفئران المسلحين، واعتراف أحد قادتهم أمام لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ الفلبيني سنة ١٣٩١هـ بأنهم يتلقون تدريبات عسكرية ومعونات ومؤن من الحكومة، كما اعترف قائد الشرطة إن هناك ٣٥ ألف رجل من عصابات إيلاجاس المسلحة في مناطق المسلمين بجزيرة مندناو[٤٧].

جبهة تحرير مورو ترفع علم الجهاد:

خلال نصف عقد من الجهاد سقط في ساحة الشهادة خمسون ألفا من المسلمين ويضرب شباب الإسلام مثلا في التضحية تعيد ذكرى الرعيل الأول، ويقود أمثال الشهيد عبد الباقي عبد الرازق خريج الجامعة الإسلامية معارك القتال، ويستشهد في معركة يقتل فيها ويجرح من الكفار ثلاثمائة ويستولى على جميع أسلحة الجيش

المحارب بينما تكون خسائر المسلمين تسعة من الجرحى وأربعة من الشهداء.... ربحت الصفقة بموازين الدنيا وهي أكثر ربحا بموازين الآخرة.

وفي مقابل مثل الجهاد... مثل الوحشية... في ١٩ يونيه ١٩٧١ م يهجم جيش الصليبيين على المسلمين في مسجد في قرية مانيلي ببلدة كارمن مقاطعة كوتاباتو فيقتلون ٦١ ويجرحون ٣٢ ويدفن القتلى في أرض المسجد فترتفع ثلاثة أقدام عن منسوبها الأصلي - ويضعون - تسعيرا - لأوصال المسلمين. وفي ٢١ يوليه ١٩٧١ يقف محافظ مانيلا في مؤتمر مديري الجامعات ليقول... أنها مناسبة أو مصادقة أن يتوافق إنعقاد مؤتمركم مع الذكرى الأربعمائة على تنصير مانيلا.

لا ينقص المجاهدين إيمان ولا عقيدة، فتحسبهم مما يؤثرون الموت في سبيل الله على حياة الذلة تحت حكم الصليبيين، ولقد قدموا من دمائهم خمسين ألف شهيد، هي خير شاهد على ذلك لكن ينقصهم للأسف المال... الذي ينفق في كثير من البلدان فيما لا طائل من ورائه بل فيها لا يرضي الله تعالى .

وتنهار المفاوضات في ٢٦ إبريل ١٩٧٧بعد أن يدرك المسلمون المفاوضون أن الحكومة الفلبينية تصر على إفشال المفاوضات لتطبيق مخططاتها المعادية للمسلمين في جنوب الفلبين) وتعلن حكومة الفلبين في ٣٠ إبريل ١٩٧٧ م وقف المفاوضات وتخليها عن جميع التزاماتها السابقة ويعرض الأمر على المؤتمر الدوري لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في طرابلس (٢٧ جمادي الأول - ٣ جمادي الثانية ١٣٩٧ هـ) (١٦ - ٢٢ مايو ١٩٧٧م).

ويتحدث رئيس تحرير جبهة مورو (نور مسواري) فيعلن أنه بالرغم من أن هدف المجاهدين كان الاستقلال التام، ولكنها قبلت بما انتهى إليه وزراء خارجية الدول الإسلامية بالاكتفاء بالحكم الذاتي بدلا من الاستقلال التام، وإنه خلال وقف إطلاق النار حدث اكثر من مائتي انتهاك لوقف إطلاق النار، كما رفضت الحكومة

الإفراج عن المجاهدين المسجونين في سجونها، ورفضت إعادة الأرض المغتصبة إلى أصحابها، وزادت قواتها في الجنوب، كما قررت رفع عدد جيشها من مائة ألف إلى ٢٥٦,٠٠٠ وهكذا تكررت مأساة فلسطين مرة أخرى.. الهدنة دائما للعدو...

في ظل التدخل الدولي من الدول الصديقة والحبيبة... ومرة ثانية أعرب المؤتمر على اهتمامه البالغ بتطورات قضية المسلمين في الفلبين وأسف للموقف السلبي لحكومة الفلبين، وأعلن مسئوليتها عن فشل المفاوضات.

ومع ذلك... وأهم قرار يكلف اللجنة الرباعية باستئناف الوساطة على الجانبين تمشيا مع القرارات السابقة التي اتخذها المؤتمر.. ومن هنا نتحدث عن مستقبل الفلبين(٤٨).

وخير ما يمثل حال المسلمين في الفلبين تصريح السيد سلامات هاشم رئيس جبهية تحرير مورو الإسلامية، ومنه:

"أن وضع المسلمين في الفلبين اليوم خطير جدا حيث يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد من قبل السلطات الفلبينية التي تقوم بمحاولات القضاء على مسلمي الفلبين بشتى الوسائل ومنها الحملات العسكرية المكثفة التي تستخدم فيها القوات المسلحة الفلبينية أجهزتها الحديثة من طائرات ودبابات وبحرية، ومنها الحرب الثقافية لمحاولة تضليل أبناء المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم؛ ومنها الحرب الاجتماعية بهدف نشر الفساد والإفساد في وسط المجتمع الإسلامي في المنطقة الجنوبية التي يتركز فيها المسلمون، ومنها الحرب السياسية التي تهدف إلى عزل المسلمين الواعين عن ممارسة حقوقهم السياسية وإسناد جميع المناصب إلى النصارى وإلى المسلمين السياسيين الذين لا يهتمون بأمر أخوانهم المسلمين وحصارهم اقتصاديا.

كما أن منها العمليات الإرهابية التي تقوم بها العناصر النصرانية بالتواطؤ مع القوات المسلحة الحكومية.

وقد قدمت الفلبين بين عامي (١٣٩٣ـ ١٤٠٤هـ/١٩٧٢ـ ١٩٨٤م) ما يلي :

- ٣٠ ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن.
- استرقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين
- تشريد أكثر من مليوني مسلم .
- فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة ـ ولأية صباح التابعة لماليزيا.
- إحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين.
- تدمير مئة قرية ومدينة إسلامية.
- اغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة.
- تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين.

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية والمحاولات المستمرة للقضاء على المسلمين بشن الحملات العسكرية إلى انتشار الفقر والجهل والأمراض بين المسلمين، مما جعلهم فريسة للحملات التنصيرية والشيوعية ـ وللمؤثرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

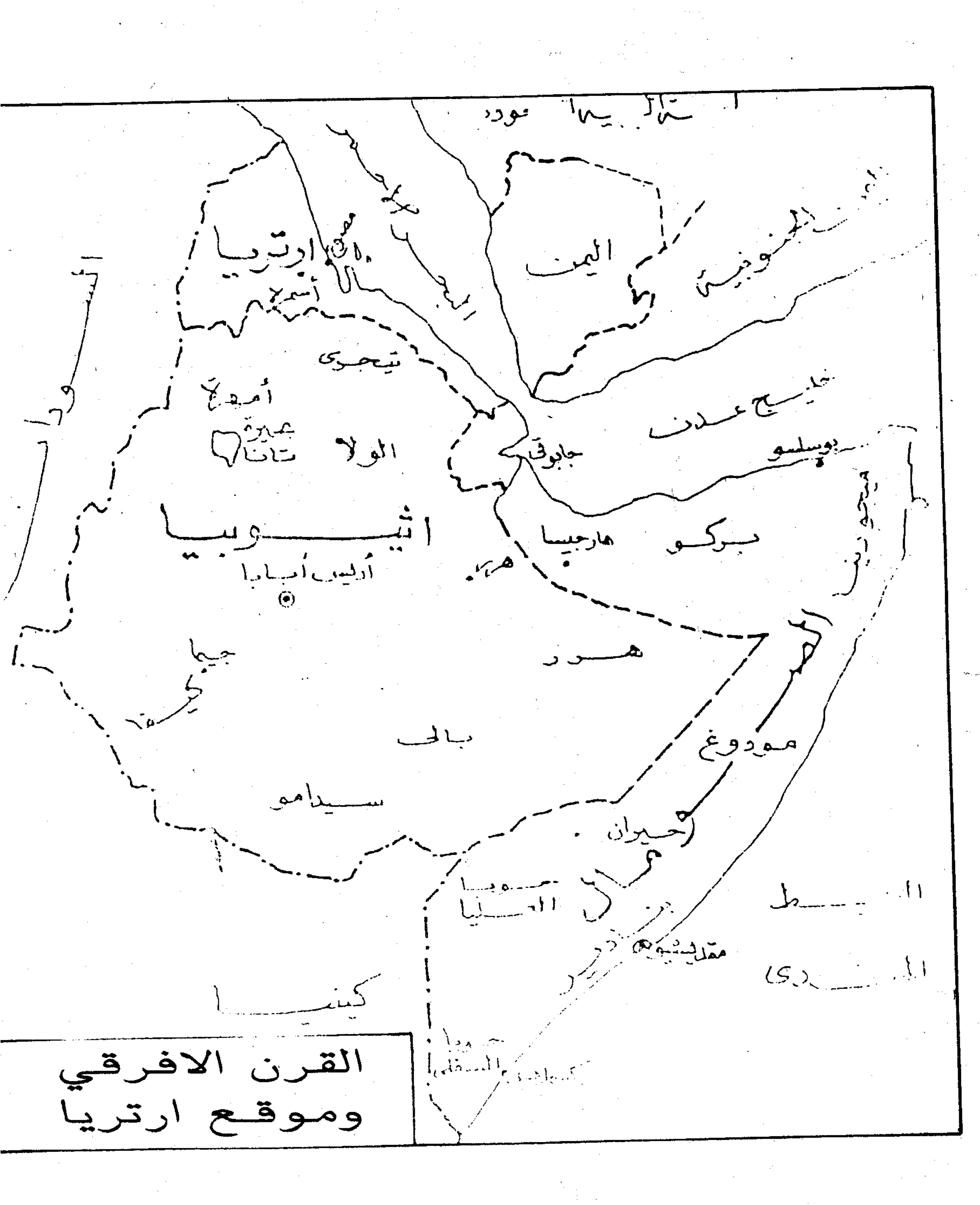
ورغم ذلك بقيت شعلة الإيمان متوهجة فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ما عدا بعض المدن ، وسارعت بعض الدول العربية بتقديم المساعدات التعليمية للمسلمين في الفلبين فهناك حوالي ٣٠ مدرسا من الأزهر وعددا كبيرا من المدرسين من المملكة العربية السعودية وتساهم رابطة العالم الإسلامي في ذلك [٤٩].

المسلمون في إريتريا

دخل الإسلام في مناطق شمال أريتريا وغربها عن طريق التجار العرب والعلماء الذين استقروا بين ممالك البجة وحول مناجم الذهب في هجز وغيرها منذ القرن التاسع الميلادي.

فعلى أثر تكرر غارات القراصنة على ميناء جدة في عامي ٦٣٠م و٦٤٠م من أعداء متنوعين نتيجة الصراع الروماني الفارسي الذي أقحم اليمن واكسوم في حروب طويلة، اضطر العرب الأمويون إلى الاستيلاء على جزر دهلك وشاطئ مصوع وعدو ليس في عام ٨٤ هـ الموافق (٧٠٢م) وأقام الأمويون هناك القلاع.

ويعتقد أن قبائل الدناكل في جنوب اريتيريا والسمهر في ضواحي مصوع تعد من أقدم سكان اريتريا اعتناقا للإسلام، كما انتشر الإسلام بين قبائل الساهو التي تسكن في المنطقة الممتدة من خليج زولا إلى مرتفعات أكلي قوازي في القرن الرابع عشر عن طريق أسر دينية عربية أشهرها أسرة (بيت شيخ محمود) التي تسكن زولا وتدعى الانتساب إلى الزبير بن العوام. أما قبائل الساحل والبني عامر فقد انتشر الإسلام بينها ابتداء من القرن العاشر الميلادي.



القرن الافرقي
وموقع ارتريا

ويذكر تجار البندقية في القرن الخامس عشر قبيلة بيت معلا كقبيلة إسلامية تعيش في سواحل شمال اريتيريا، وهو موطنها حتى الآن مع امتدادها إلى منطقة بركة، وكان لعائلة (عد شيخ حامد ولد نافعوتاي) تأثير كبير في نشر الإسلام بين قبائل الحباب والبني عامر. وتنتمي هذه الأسرة إلى أشراف قريش، وقد قدمت إلى إريتريا عن طريق السودان، ولها حتى الآن زوايا لتعليم الدين في (زقا شيخ) في محافظة الساحل ، كما لها مركز آخر في (امبيرمي) على بعد ١٥ كيلو مترا شمالي مصوع.

وخلال القرن التاسع عشر تحول عدد من القبائل الناطقة بالتجري والتي كانت تعتنق المسيحية، إلى الإسلام، ومنها الماريا والمنسع والبلين والبيت جوك والحباب بفروعها الثلاثة (بيت اسقدي، عد تكليس، عتماريام) وكانت أسر حاكمة نزحت من هضبة حماسين إلى المرتفعات الشمالية وأخضعت لسلطانها قبائل التجري الكثيرة العدد، كما اعتنقت قبيلة الباريا في وادي القاش الإسلام، وكانت من قبل وثنية، وكذلك بعض من قبيلة البازا.

ويعود إسلام هذه القبائل إلى جهود السيد محمد عثمان المرغني ، مؤسس الطريقة الختمية الذي أوفده شيخه أحمد بن أدريس من مكة في عام ١٨١٧ ويصحبته السيد محمد على السنوسي، مؤسس الطريقة السنوسية، حيث افترقا بعد وصولهما إلى مصر، فتوجه الأول صوب الجنوب إلى السودان ثم إرتريا، وعاد بعد أن نشر الإسلام والطريقة الختمية إلى مكة، مخلفا عددا من الأبناء واصلوا بعده جهوده ، بينما توجه الثاني إلى شمال أفريقيا وأسس طريقته هناك.

وهناك أسر دينية أقامت الزوايا لتعليم القرآن والدين في مختلف البقاع الأريتيرية، أشهرها (عد شيخ) في الساحل و(عد سيدنا مصطفى) في بركة، و(بيت درقي) و(عد معلم) في شمال اريتريا وغربها و(بيت الشيخ إبراهيم الخليل) في طيعو

في دنكاليا وعائلة (كبيري) في الهضبة الاريترية، وكانت بالأصل تقيم في جزر دهلك، وهذه كلها بيوتات دينية كانت تتوارث تدريس الدين وتحفيظ القرآن مكرسة جهودها لرسالتها، وتعيش شظف العيش معتمدة في إعاشة طلابها على هدايا عامة المسلمين، وأثريائهم، وتنتسب إلى العرب بصلة الرحم، وكان يبرز من بينها ومن عامة المسلمين فقهاء ينبغون في العلم واللغة العربية ويتلقون علومهم في زبيد أو المدينة المنورة أو الأزهر، وعرفت قرية زولا بالزوايا لتعليم الدين وقد تخرج منها عدد من الفقهاء.

وهكذا انتشر الإسلام في الهضبة الاريترية بين قوم عرفوا باحتراف التجارة يطلق عليهم (الجبرتة) وهي كلمة أطلقت أيضا على أماكن وأقوام مختلفة في العصور الوسطي، فسميت (ايفات) في قلب هضبة (شوا) داخل أثيوبيا بالجبرتة، كما سميت زيلع في ساحل الصومال بهذا الاسم. بل أطلق هذا الاسم في بعض الأحيان على عموم مسلمي الحبشة، وفي الأزهر في القاهرة رواق قديم يعرف برواق الجبرتة، ويذكر الجيمي في كتابه (سيرة الحبشة) (١٦٦٥م) أنه التقى بزعيم (آل كبيري صالح) في اندرته بهضبة التجراي ويقول أن أسرته تقوم بنشر الإسلام وتعليمه فى كل بلاد الحبشة.

وبمرور الوقت انتشر الإسلام في سواحل اريتريا وأجزائها الشمالية والغربية وفي قسم من هضبتها عن طريق عدو ليس وباضع، وهي الطريقة نفسها التي دخلت منها المسيحية من قبل، ولم تحدث بين إتباع الطائفتين احتكاكات أو حروب دينية، بل تعايش السكان بما عرف عنهم من تسامح وبما كان بينهم من وحدة الأصول والمصالح التجارية والزراعية والرعوية المشتركة، تعايشوا بسلام حتى تدخلت قوى أجنبية في القرن السادس عشر ـ برتغال واتراك ـ جرت أهل البلاد إلى صراعات طائفية.

على أن انتشار الإسلام لم ينحصر في السواحل الإريترية بل امتد عبر أريتريا إلى داخل الحبشة حتى تالفت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامي ويعزو اولندورف (Ullfendorff) في كتابه الأثيوبيون (The Ethiopians) سرعة انتشار الإسلام بين الأقوام الحامية الكوشية في سواحل أريتريا ودواخل الحبشة حتى بحرات عروستي على مقربة من الحدود الكينية الحالية، يعزو ذلك إلى رغبة هؤلاء القوم في النجاة بأنفسهم من الاسترقاق، إذ كانت قسوة تجار الرقيق بالغة، وكان اعتناق الإسلام يمنح أمانا من غارات تجار الرقيق باعتبار أن الإسلام يمنع استرقاق المسلم، ويضيف ترمنجهام في كتابه (الإسلام في أثيوبيا) إن اعتناق هؤلاء للإسلام كان يشعرهم بالانتماء إلى أخوة عالمية، من دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ من بيئتهم وعاداتهم التي كان دعاة الإسلام يتسامحون إزاءها.

الحروب المصرية الحبشية:

أراد إسماعيل باشا، خديوي مصر، من مساعدة بريطانيا في حملتها العسكرية ضد تيودروس، أن يستولي هو على بعض الأجزاء من الهضبة الاريترية والهضبة الأثيوبية، بحجة تأمين ظهير للشواطئ الأريترية. ولهذه الغاية أرسل منزجر، وهو سويسري عليم بأحوال اريتريا والحبشة، بغية استمالة المشايخ والرؤوس تمهيدا للغزو، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٢ احتلت الجيوش المصرية إقليم (سنحيت) (كرن).

وفي سنة ١٨٧٥ تنازل الباب العالي لإسماعيل عن ميناءي زيلع وبربرة في الصومال، ثم أراد أن يكون لهما ظهير يحميهما فتطلعت أنظاره إلى منطقة هرر.. ولا سيما أن أهلها كتبوا إليه يستنجدون به من سلطانهم الذي استبد بهم فأرسل إليهم حملة بقيادة رؤوف باشا احتلت هرر في أكتوبر من السنة نفسها، وقبضت على السلطان محمد بن شحيم وقتلته.

وكان يوحنس غير غافل عن الإطماع المصرية ، فأرسل جيشه ليستقر في المرتفعات الاريتيرية يرقب مجرى الأمور هناك، ولم تلبث الحملة المصرية أن خرجت من مصوع في نوفمبر ١٨٧٥ تقصد هضبة اسمرا حتى إذا استولت عليها بعد مقاومة يسيرة، أطمعها ذلك فاتجهت صوب (عدوا) في هضبة التجراي المجاورة لاريتريا، وكان يوحنس يرقب هذا التقدم ويتظاهر بالضعف والتراجع، لكن لم يلبث أن تبين الساعة الحاسمة فيهجم على المصريين و اعوانهم من جنود النائب والسمهر الذين كانوا ينظرون إلى الصراع من زاويته الدينية، بقوة بلغت في تعدادها أضعاف القوة المصرية، مع ما كان يصل إليها من سلاح من انكلترا ، فهزمت القوة المصرية وأبيدت عن آخرها ، مما دفع قائدها أراكيل نوبار - وهو فرنسي الأصل، إذ كان معظم قادة الحملات المصرية من الجنرالات المرتزقة - إلى الانتحار فرارا من عار الهزيمة.

وحاول منزنجر ان يخفف من هول هذه الهزيمة بحملة صغيرة ، فقاد أربعة بلوكات عن طريق زيلع، قاصدا الحبشة من جهة الشرق، لكنه قتل بأيدي الدناكل في أوسا في العام نفسه.

ووصلت أخبار هذه الهزيمة إلى القاهرة، فاندفعت الحكومة إلى فكرة وجوب الانتقام لهذه الحملة الفاشلة، فجهزت حملة جديدة بقيادة راتب باشا، ومعه الجنرال لورنج الأمريكي، رئيسا لهيئة أركان الحرب، وكان التفكير في هذه الحملة وأعدادها سريعا بحيث لم تتعد المدة شهرا واحدا.

واتخذت هذه الحملة الجديدة مصوع قاعدة لها، وبدأت بالزحف في يناير سنة ١٨٧٦ ، وجعلت ترسل الرسل إلى الزعماء الأحباش في محاولة استمالتهم إلى صفها، بينما تقدم يوحنس بجيوشه نحو الشمال يسانده ملك سوا وفي مارس التقى الجيشان ودارت المعركة في (قرع) في الهضبة الاريترية وكان هجوم الاثيوبين دافقا

كأمواج البحر، رغم اشتداد المدفعية المصرية، وكان الأمير حسن بن إسماعيل يشهد المعركة، فلم تلبث الحرب أن اقتربت منه، وأراد هو ومن معه أن يتفاداها فانسحب الأحباش انسحابة فتابعوه وأسروه وكانت هزيمة ثانية أشنع من الهزيمة الاولى، وخسرت مصر أكثر من عشرة آلاف قتيل، بينما شنع بالأسرى باستعراضهم عرايا، ورسم يوحنس صليبين على ذراعي الأمير حسن بالوشم لتبقى في نفسه ذكرى الهزيمة، وطالب فدية مقدارها ٢٥ مليون ريال فضي دفعها إسماعيل عن طريق قروض جديدة، أما خسائر الحبشة من الأرواح، فقد بلغت خمسة آلاف قتيل، وأكثر من ستة آلاف جريح.

وقد احتفظت مصر بعد هذه الحملة الفاشلة بالمناطق الإسلامية في أريتريا وهي سواحل البحر الأحمر، ومرتفعات الحباب وكرن وحوض البركة والقاش، حتى احتلها الطليان في عام ١٨٨٥.

وقد كلفت هذه الحملة الخزينة المصرية التي كانت تعاني من الإفلاس مبالغ ضخمة من الأموال، كما كلفتها آلاف الشباب، إلى جانب الأضرار التي ألحقتها بسكان اريتريا الذين اشتركوا فيها مناصرين هذا الجانب أو ذاك حسب انتماءاتهم الدينية.

الإدارة المصرية في اريتريا:

ألحقت الأقاليم الأريترية التي خضعت لمصر الخديوية في بداية الأمر بمديرية (التاكا) في السودان وجعلت عاصمتها كسلا وفق تقسيم إداري لعموم السودان إلى ثلاثة أجزاء، على أن إسماعيل باشا لم يلبث أن عدل عن فكرة التقسيم هذه، وفصل مصوع وسواكن وعين لكل منهما محافظا خاصا.

ثم فصلت محافظات مصوع وسواكن وبربرة وغيرها من الأقاليم السودانية المطلة على البحر الأحمر ومديرية التاكة عن حكمدارية السودان، وشكل منها جميعا

محافظة عرفت بمحافظة سواحل البحر الأحمر، وعين أحمد ممتاز مديرا لعموم شرق السودان ومحافظا لسواحل البحر الأحمر.

وقام ممتاز برحلة من مصوع إلى بربرة زار فيها كل بلاد السواحل التابعة لإدارته وقدم تقريرا مفصلا عنها.

وذكر في تقريره أن مصوع جزيرة تقدر مساحتها بخمسين فدانا وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة، وكانت معظم مبانيها بالقش، وكثيرا ما تسببت عن ذلك الحرائق، وشجعت الإدارة المصرية الأهالي على بناء بيوتهم بالأحجار وتبييضها بالجير، فكانوا يجلبون الحجر الجيري من جزيرة دعلك، وكان فيها صهاريج لحفظ المياه عند سقوط الأمطار.

وقسم ممتاز باشا عربان مصوع إلى قسمين، كل قسم منها، يخضع لنفوذ ظاهر هما:

أ) نظارة دنكل ، من حرقيقو إلى آخر بلاد الدناكل تحت إشراف نائب حرقيقو.

ب) نظارة سمهر ، من حرقيقو إلى عقيق، تحت إشراف نائب مصوع.

وقد اتجه تفكير ممتاز باشا إلى اتخاذ زولا مركزا لمحافظة مصوع وطلب من عبد القادر باشا بحث هذا الموضوع قبل تنفيذه، حيث أن في مقدوره إن يعطي فكرة صحيحة بعد معاينته شخصيا لتلك الجهات، على أن هذه الفكرة لم تنفذ إذ كان رد القاهرة أن زولا لا تصلح لأن تكون مقرا للمحافظة، وقد نظر إليها من زاوية صلاحية مينائها الطبيعي الواقع في الخليج واحتمال تطوير الزراعة في سهوله التي ترويها مياه السيول صيفا وشتاء[٥٠].

الغزو الأثيوبي لأرتريا :

كان ذلك في البداية من خلال جمعية "حب الوطن" التي تأسست عام ١٩٣٨ م تضم المسلمين والنصارى (بعدد متساو) وأدت دورا وطنيا في ظل الاستعمار

البريطاني إلى أن تمكنت أثيوبيا من احتوائها والإحاطة بها والإنحراف عن أهدافها ، فأصبح شعار الجمعية منذ ١٩٤٣م (أثيوبيا أو الموت) [٥١] .

وبعد انتهاء الحرب وضعت أريتريا تحت الإدارة البريطانية بعد أن كانت مستعمرة وتصارعت الدول التي يهمها الأمر، فالإيطاليون يرغبون في استعادة اريتريا حيث إن الاتحاد السوفيتي والدول العربية يدافعون عن استقلالها لأسباب أخرى، أما أرنست بيفن فقد اقترح تقسيمها بين أثيوبيا والسودان، أما أثيوبيا فقد فضلت التزرع بالصبر، إذ إنها كانت ترغب في ضم أريتريا لأن مينائها ـ مصوع وعصب سيعطيانها مخرجين إلى البحر أفضل من جيبوتي [٥٢] .

وأما حزب الوحدة الأريترية الأثيوبية فقد تأسس فى ١٩٤١/٥/٥ واتخذ شكلا منظما في إبريل ١٩٤٦ م بعد أن اندمجت معه جمعية حب الوطن إثر إنحرافها عن مبادئها الأولى.

وفي نفس العام ١٩٤٦م أسس المسلمون والنصارى حزبين : حزب الرابطة الإسلامية ، وحزب التقدم ، ثم اندمجا تحت اسم (الكتلة الاستقلالية) لتنادي باستقلال أريتريا التام مع احتفاظ كل حزب بكيانه المستقل.

ثم تأسست أحزاب أخرى موالية لإيطاليا (رابطة المحاربين القدماء الأرترية ، الرابطة الإيطالية الأرترية) ثم حدث انشقاق داخل الرابطة الإسلامية يشترط الوصاية البريطانية بعد فترة أو بعد عشر سنوات.

وفي ٢ديسمبر١٩٥٠ م تمت مصادقة الجمعية العامة على مشروع قرار بإنشاء اتحاد فيدرالي في أرتريا نص على:

١ـ تتمتع الحكومة الأرترية بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في ميدان الشئون الداخلية.

٢ـ اعتبار أرتريا وحدة تتمتع بحكم ذاتي في اتحـاد فيدرالي مع أثيوبيا تحت التاج الأثيوبي.

٣ـ حصر اختصاصات الحكومة الفيدرالية بشئون الدفـاع والخارجيـة والعملـة والمالية والتجارة والمواصلات الخارجيتين وبين البلدين.

وفي مارس سنة ١٩٥٢ تم انتخاب أول برلمان (٦٨ عضـوا) وانتخـب البرلمـان حكومته في أغسطس ١٩٥٢ م وأزيـل العلـم البريطـاني في ١٥/٩/١٩٥٢م لـيرتفع علم أثيوبيا[٥٣]

في عام ١٩٥٢ تم الاتفاق على أتحاد أريتريا وأثيوبيا فيدراليا على أن تتمتع أريتريا بالحكم الذاتي تحت التاج الأثيوبي وتنازلت لأثيوبيا عن شئونها الخارجية، وشئون دفاعها وماليتها وجماركها، ووسائل مواصلاتـها، ولكنـها احتفظت بجمعيتـها الـتي كانت تنقسم بين المسلمين والنصارى بالتساوي، كمـا كـانت تنتخـب رئيسـا تنفيذيا لإدارة الشئون الحكوميـة، وكـانت أرض أريتريـا وشـعبها فقـراء، ولكـن شعبها ابتدا تحت الإدارة البريطانية في إصدار جرائده الخاصة وتكوين أحزاب سياسية.

وكان البريطانيون يأملون في أن يؤدي هذا التقدم التدريجي إلى تمكينهم من إقامة نظام تعليمي لأنه بالرغم من أن الإيطاليين كانوا قد أقـاموا بعـض المباني في العاصمـة أسمرة وأدخلوا عنصر الحداثة على المدينة، إلا أنه لم يكن لديـهم أي اهتمـام بتعليـم الأريتريين، ونتيجة لهذا عم شعور عام بالاستياء نتيجـة ارتفـاع تكـاليف المعيشـة بعـد تكوين الاتحاد مباشرة[٥٤].

تأسيس جبهة التحرير الإريترية :

أثـر تصـاعد الإرهـاب البوليسـي في عـام ١٩٥٨ اضطـر عـدد كبـير مـن العمـال الأريـتريين إلى الهجـرة إلى الأقطـار المجـاورة في ظـل أوضـاع شـاقة يفتقـرون فيـها إلى أوراق رسمية تثبت هوياتهم، وعلى رغم التسامح الذي قوبلوا به في الأقطار العربية

المجاورة فإن حياتهم اتسمت بالقلق والتشرد، فتجمعت في نفوسهم، مع ما كان يفتعل فيها من ألم وغضب، حوافز قوية نحو الاشتغال بالعمل الوطني.

وهكذا نشأت جبهة التحرير الأريترية بين الجاليات العمالية والطلابية في أقطار الشرق الأوسط العربية في عام ١٩٦٠، لتنتقل في العام التالي إلى جبال إريتريا أثر الانتفاضة العفوية التي قادها المرحوم حامد إدريس عواتي في ١٩٦١/٩/١ مع بضعة مقاتلين يحملون بنادق إيطالية عتيقة، فتبنت الجبهة الأنتفاضة العفوية لتحولها خلال السنوات التالية إلى ثورة مسلحة منظمة أنسجاما مع أهداف التحرير التي حددها دستور الجبهة بالاستقلال الوطني الكامل عبر الكفاح المسلح الذي تدعمه جهود سياسية ودبلوماسية في الخارج مع الحفاظ على وحدة التراب الأريتري، واختار المؤسسون أن يكون إدريس محمد آدم رئيسا للجنة التنفيذية للجبهة[٥٥].

وكانت أهم أهداف الجبهة كما يلي[٥٦]:

١ـ استقلال أريتريا استقلالا كاملا.

٢ـ وضع سياسية اقتصادية سليمة.

٣ـ وضع سياسة تعليمية تتفق والتراث القومي.

٤ـ تصفية النفوذ الاستعماري والصهيوني.

٥ـ وضع سياسة الداخل والخارج.

تطور الكفاح المسلح:

وتطور الكفاح المسلح باتجاه التصعيد بالإمكانيات الذاتية الأريترية أولا، ثم بدعم الأصدقاء والأشقاء من الأقطار العربية، فقد انضم إلى المقاتلين القلائل في مستهل عام ١٩٦٢ تسعة من ضباط الصف الأريتريين الذين خدموا في الجيش السوداني فترة طويلة بعدما استقالوا من الجيش مؤثرين خدمة وطنهم، وتمكنت الجبهة من شراء خمس بنادق انكليزية الصنع (أو عشر) بخمسمائة جنيه من عدن في

أبريل ١٩٦٢ بالأموال التي جمعها العمال الأريتريون في المملكة العربية السعودية ، واستمرت الحركة على هذا المنوال في شراء السلاح والذخائر بكميات قليلة وتهريبها إلى الثوار متعرضة في كثير من الأحيان إلى المصادرات من قبل بعض حكومات الأقطار العربية المجاورة التي كانت تفضل عدم تكدير صفو علاقاتها الدبلوماسية مع أثيوبيا من أجل الثورة الأريترية ، كما حصل الإريتريون عبر علاقتهم في أديس أبابا على بعض البنادق والقنابل اليدوية ، في تلك الفترة المبكرة.

وفي ١٢ يوليو ١٩٦٢ قام فدائيو الجبهة بعملية فدائية فذة إذ ألقوا قنبلتين يدويتين في حفل أقامه ممثل الأمبراطور في مدينة (أغردات) للدعوة إلى ضم أريتريا إلى الأمبراطورية الأثيوبية وحولوا الحفل إلى ماساة بالنسبة إلى المحتلين الأثيوبيين.

ومضى المقاتلون القلائل في شن هجمات خاطفة على مراكز الجيش والشرطة في الريف ، فهاجموا مركز حلحل وغنموا منه بندقيتين ، وكان أول هجوم لهم ، وأغاروا في وضح النهار على مركز عيكوته متنكرين بزي سواح سودانيين ، وغنموا منه ٥٠ قطعة من مختلف الأسلحة وكمية من الذخائر ، وما أن انتهت سنة ١٩٦٣ حتى زاد عدد المقاتلين المسلحين على المئة.

وأصدر الإمبراطور الأثيوبي أوامره إلى قواته المسلحة في أريتريا لاستعمال العنف بحرية مطلقة من أجل قمع ما سماه بـ (حركة التمرد خلال شهر واحد) وكان مما قيل في خطاب ألقاه الإمبراطور في أسمرا بتاريخ ٢٨يونيو١٩٦٢ ونشرته جريدة (الزمان) الحكومية ، "أن أثيوبيا لن تتخلى عن أريتريا التي جاءنا الغزاه دوما عبرها" ، وشنت القوات الأثيوبية حملات إرهابية ضد الشعب وبلغ عدد المعتقلين في نهاية عام ١٩٦٣ أكثر من ٣٠٠٠ معتقل ، واستعمل رجال التحقيق كل وسائل التعذيب لانتزاع الاعترافات منهم مستعينين بأحبار إسرائيليين ، دابوا لهم فيما بعد

قوة خاصة لمحاربة الثوار، ولا تزال السجون تستضيف آلاف المواطنين حتى الثمانينات، بعضهم يظل بلا محاكمة لعدة سنوات.

وفي عام ١٩٦٤ وجدت الثورة الأريترية دعما ماليا وعسكريا من بعض الدول العربية الشقيقة، مما ساعد على تطوير الكفاح المسلح حتى شمل كل الريف الأريتري، وأمر الأمبراطور الأثيوبي بإخلاء المناطق المتأخمة للحدود السودانية من السكان لإقامة منطقة (مجردة من السكان) وعازلة عن الاتصال الخارجي، وشن الجيش حملات إرهابية على القرى وأباد أكثر من ألفي نسمة دونما تمييز مما أدى إلى لجوء المواطنين إلى السودان هربا من القتل الجماعي ويبلغ عدد اللاجئين في السودان أكثر من سبعين ألفا يعيشون شظف العيش.

أثيوبيا تعلن حالة الطوارئ في إريتريا :

أعلنت أثيوبيا حالة الطوارئ في أريتريا إثر مقتل الجنرال تشومي أرقتو، قائد القوات الأثيوبية في إريتريا، وتصاعد القتال ضد قوات الاحتلال، وبموجب هذا القانون أبيح للجنود أخذ الناس بالظنة فكان النهب والتقتيل.

وظلت قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الأريترية تسيطر على معظم الريف الأريتري وتصطدم في معارك ضارية ضد القوات الأثيوبية مستهدفة تحقيق الاستقلال الوطني الكامل(٥٧).

المسلمون في اريتريا تحت ظل الحكم الشيوعي الأثيوبي :

١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:

في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م قام انقلاب في أثيوبيا وأجبر الامبراطور هيلاسلاسي على التنازل عن الحكم، ثم أعلن أثيوبيا جمهورية اشتراكية، وأعلن قادة الانقلاب (كعادة الثورات الشيوعية) أن من مبادئهم احترام القوميات وحل مشاكل البلاد، وخاصة مشكلة إريتريا، واتجهت الأنظار إلى الصلح، وتقدم السودان باقتراح لوقف

إطلاق النار وفتح حوار عاجل بين الجانبين. ولكن سرعان ما تبين أن قادة الانقلاب ليسوا بأقل من هيلاسلاسي ويقوى الاتحاد السوفيتي هذه المرة.

وكانت قد اشتدت هجمات المجاهدين الإرتريين وحرروا أربع عشرة مدينة حتى عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م و ٩٠ ٪ من أرض اريتريا، فاستعان المجلس العسكري الحاكم بالروس، فعملت روسيا على إعادة بناء الجيش الأثيوبي وتحديثه ومده بالأسلحة الحديثة في ظل أضخم جسر عسكري مده السوفييت في تاريخ العالم ابتداء من الصواريخ إلى الطائرات الميج (٢١، ٢٣) إلى الدبابات الثقيلة، وتولت كوبا وألمانيا الشرقية بناء تنظيم عسكري مواز للجيش وهو "ميلشيا الشعب الثورية التي بلغ عددها في فترة من الفترات ربع مليون مسلح" كما تدفقت على اثيوبيا موجات كثيفة من الجنود الكوبيين والخبراء العسكريين السوفييت وخبراء الأمن الألمان الشرقيين، وقالت التقديرات المحايدة: إن الكوبيين وصلوا إلى ٢٥ ألف جندي، وعدد السوفييت ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ خبير، وجاء نفس العدد تقريبا من ألمانيا الشرقية.

وهكذا تغير ميزان القوى وشهد عام ١٣٩٩ هـ/١٩٧٧م هجوما أثيوبيا وحملات متتابعة على مراحل لاستعادة المواقع التي خسرتها الشيوعية في اريتريا والصومال - وسميت هذه العملية بعملية النجم الأحمر- نفذها منجستو مريام بالخبراء الروس، وبدأت منذ أوائل عام ١٩٧٨م بغارات جوية مكثفة على مدن الصومال وعلى مواقع الثوار، فأخرجت الصومال من القتال، وكانت الفترة ما بين أغسطس ١٩٧٨م وفبراير ١٩٧٩م أقسى فترات الحرج السياسي والعسكري للاريتريين، مثلما كانت أقصى مراحل النصر العسكري والسياسي للأثيوبين، فاستعاد الجيش الأثيوبي سيطرته الفعالة على أهم المناطق الاريترية المحررة وخاصة المدن الأساسية والطرق الهامة، ودخلت الثورة مرحلة من الكمون من جديد

يسودها الصراع الداخلي، وكان من نتيجة ذلك تشريد أكثر من مليون إريتري معظمهم في السودان، وتشريد أكثر من مليون لاجئ صومالي إلى الصومال.

وخلا الجو للنظام الشيوعي الذي رسم محددات لطمس الوجود الاريتري مثل: إلغاء اللغة العربية والتجرينية ، وإجبار التلاميذ والأطفال على الدراسة باللغة الأمهرية ، وأسهم في حدة المجاعة التي تعانيها البلاد، بل وافتعلها النظام الشيوعي في بعض الجهات الإسلامية، ومنع النظام الشيوعي وصول المساعدات إلى البائسين الجياع في أقليم اريتريا وتيجري، وسمم الآبار في أقليم اوجادين، والغريب أن المساعدات المادية يتم تحويلها لشراء الأسلحة والمساعدات الغذائية التي يتم بيعها من قبل الجيش الأثيوبي.

وقد أقدم النظام الشيوعي الأثيوبي على حجز شحنات المساعدة من المواد الغذائية والطبية المرسلة إلى ضحايا الجفاف والمجاعة، ودمر المصادر الطبيعية وأحرق القرى والمزارع وشرد أبناءها(٥٨).

وأخيرا اضطرت أثيوبيا للاعتراف للشعب الإريتري بحق تقرير المصير ، وفي الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١ نال الشعب الإريتيري استقلاله وأختير الرئيس " أسياسي أفورقي " رئيسا للدولة الجديدة(٥٩) .

أما عن علاقة أثيوبيا بالدولة الصهيونية في فلسطين :

نرى في أثيوبيا أوضح الأمثلة لتعاون الصهيونية والنصرانية والشيوعية لضرب الإسلام والمسلمين ، فقد كان هيلاسلاسي (سبط يهوذا) يدعى بفخر واعتزاز انتسابه للدم اليهودي ، ويطبع على رايات بلاده ذات الأكثرية المسلمة " أسد يهوذا " وفي نص الدستور الأثيوبي الذي صدر عام ١٩٥٥ م في المادة الثانية ما يلي : " تظل السلطة الامبراطورية متصلة في سلالة هيلاسي لاسي الأول حفيد الملك سهلا سلاسي الذي ينحدر بدون إنقطاع من أسرة منليك الأول ابن ملكة أثيوبيا ملكة سبأ

والملك سليمان ملك بيت المقدس ، وشخص الامبراطور مسئولية حماية المذهب الأرثوذكسي.

باسم الأصل العرقي المشترك الموهوم وثق صلاته بالدولة الصهيونية ، فقامت عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م بعثة صهيونية برئاسة مدير المخابرات بزيارة اريتريا ، استقدمت اثيوبيا على أثرها أربعين ضابطا إسرائيليا لتدريب الجيش الاثيوبي على حرب العصابات ، كما قام الضباط اليهود بتدريب طلبة الكلية البحرية على حرب العصابات في جبال قندع استعدادا لمعارك برية وبحرية ضد اريتريا ، كما اشترك الضباط اليهود في صفوف الجيش الاثيوبي أثناء الحرب مع الصومال.

وتمكنت عدة شركات صهيونية من تأسيس مراكزها في أديس أبابا وفروعها في اريتريا لاحتكار السوق وتصريف المنتجات اليهودية ، فحصلت شركة انكودي اليهودية للحوم مثلا على مشروع سبأ الزراعي في تسنا وعلى قدر ، كما حصلت عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م على خمسين ألف هكتار هدية من حكومة الأمبراطور لإسرائيل بعد أن نزعتها من أصحابها المسلمون بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال اريتريا ، وأهدت حكومة الامبراطور عشرين ألف هكتار لشركة إسرائيلية لتربية المواشي وزراعة الخضار ، وألفي هكتار لشركة أناجن الإسرائيلية في منطقة عياش ، كما منحت الدولة الصهيونية حق احتكار صيد السمك في البحر الأحمر حيث تعمل في ميناء مصوع الاريتري المسلم ، وتشحن الأسماك بدون أي معاملات أو رسوم جمركية.

وفي عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م حشدت أثيوبيا قوات عسكرية على الحدود الشرقية للسودان بقصد اشغالها عن التدخل الفعال ضد إسرائيل ، وأرسلت نجدة غذائية مستعجلة إلى اليهود تتكون من ١٥ ألف بقرة.

وكانت أمريكا عنصر ربط مشترك آخر (بعد لعبة الأصل العرقي المشترك) بين إسرائيل وأثيوبيا فمن خلال اثيوبيا نجحت إسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجزر الأريترية المطلة على باب المندب والتي تحتلها اثيوبيا خاصة في مينائي عصب ومصوع وفي ارخبيل جزر دهلك التي أقامت عليها إسرائيل تحت الغطاء الاثيوبي مراكز مراقبة واتصال وربما مجموعات عمل عسكرية محدودة بالإضافة إلى تدعيم الطيران الإسرائيلي ليصل مدى قوته الضاربة حتى باب المندب إذا ما زود بالوقود في الجو، ورددت بعض المصادر أن اثيوبيا سهلت لإسرائيل التواجد في جزيرتي جبل الطير وأبو عبل اليمنيتين في مدخل باب المندب بعد أن احتلتها أثيوبيا ، وأقامت عليهما منارات بحرية ونقاط إنذار واستطلاع ومراقبة.

وفي عهد هيلاسي لاسي أيضا قام بإعطاء اليهود الأثيوبين قوة سياسية لا حد لها، وأهتم بدعم منطقة "جندور" التي تعد المركز الرئيس لليهود الأثيوبيين اقتصاديا، وفي عهده ازداد وجود قبائل الفلاشا التي تركزت في هذا الأقليم في القرن التاسع عشر.

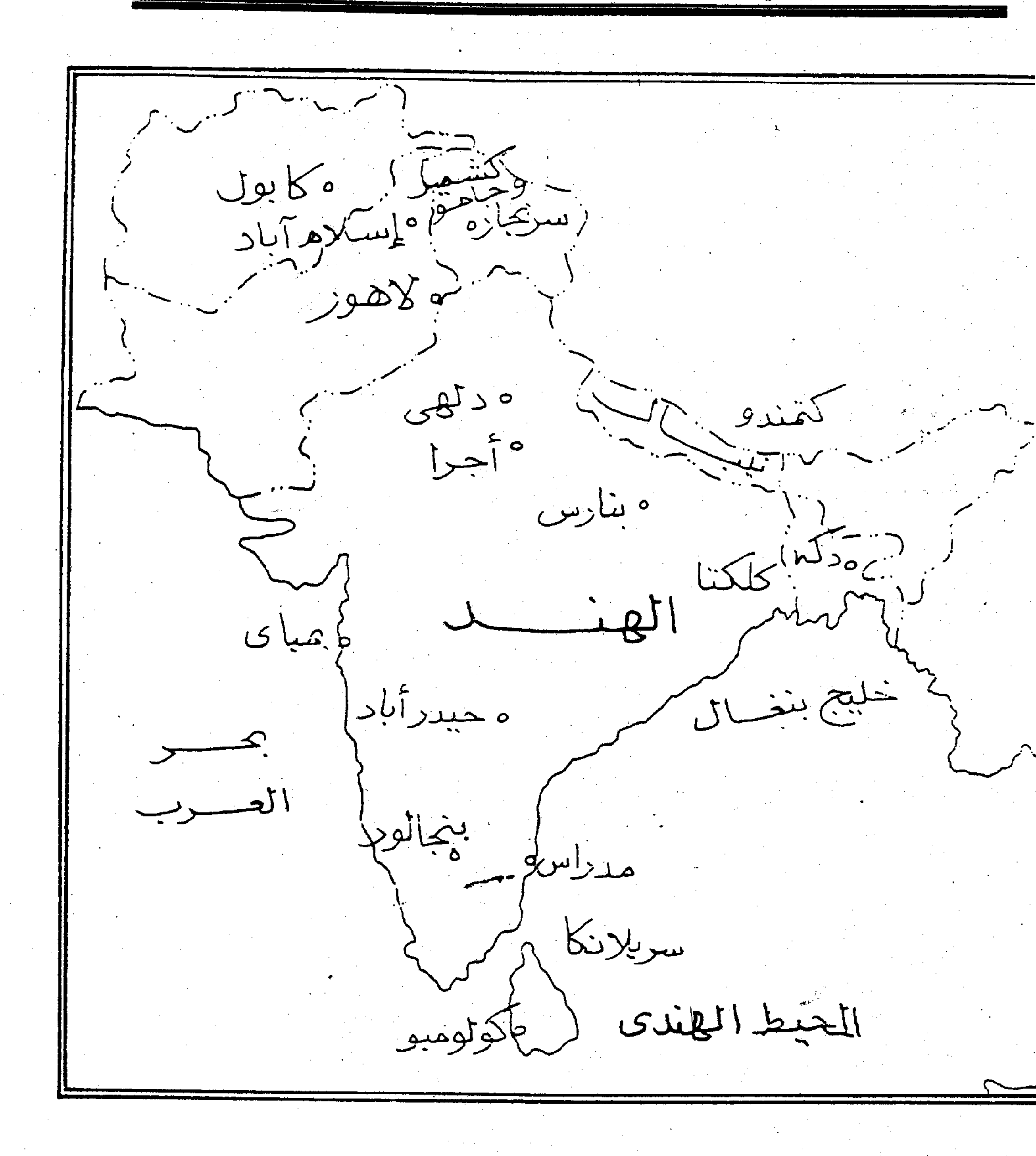
هذا في عهد بطل الوحدة الأفريقية ورئيس منظمة الوحدة الأفريقية هيلاسي لاسي أسد يهوذا، فهل اختلف الوضع في زمن الحكم الشيوعي الأثيوبي؟ لقد استمرت العلاقات قوية والتعاون تام بين النظام الشيوعي والصهيونية فحصل منجستو مريام على السلاح الصهيوني مقابل السماح بترحيل يهود الحبشة (الفلاشا) في عملية قامت بها الصهيونية سميت (عملية موسى) بمساعدة أمريكا وبعلم رئيس جهاز أمن الدولة السوداني ورئيس المخابرات الأمريكية بواشنطن ويذكر أن إسرائيل أعطت أسلحة لأثيوبيا عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ما قيمته ٢٠ مليون دولار بالإضافة إلى الأسلحة وقطع الغيار التي أخذت كغنائم في جنوب لبنان أثناء الغزو عام ١٩٨٢م(٦٠).

كشمير

ترجع مشكلة كشمير إلى ذلك الصراع الدامي والمذابح بين المسلمين والسيخ والهندوس، وفشل حزب المؤتمر الهندي في احتواء الصراع الديني المتأجج في شبه القارة الهندية واحترام الهوية الإسلامية لمسلمي الهند وقد تفاعل المسلمون الهنود مع التيارات الكبرى في العالم الإسلامي فساندوا أفكار جمال الدين الأفغاني واشتركوا في كافة المؤتمرات الإسلامية التي أعقبت سقوط الخلافة الإسلامية في القاهرة عام ١٩٢٤ ومكة المكرمة عام ١٩٢٦ والقدس عام ١٩٣١، ولا شك أن معاناة المسلمين في الهند قد لقيت صدى في العالم الإسلامي الذي رحب بتقسيم شبه القارة الهندية على أساس الأغلبية الدينية في المناطق المختلفة، فنشأت في ١٥/٨/١٩٤٧. دولة باكستان الإسلامية.

ولما كان التقسيم قد تم على أساس نسبة المسلمين وغيرهم في المناطق الهندية، قد أعقب التقسيم عمليات واسعة لانتقال السكان، كما أحدث التقسيم أوضاعا أضحت معها الأقليات الدينية ظاهرة مألوفة، فضلا عن أن أراضي باكستان كانت تعترضها وتقطعها آلاف الأميال من الأراضي الهندية، كما تركت جيوبا إسلامية تحت الحكم الهندي ظلت ترنو ببصرها إلى الدولة الأم الجديدة، ومن أهم هذه الجيوب جامو وكشمير وهما ولايتان تسكنهما الأغلبية المطلقة من المسلمين وتحكم حكما مباشرا من نيودلهي خلافا لما يقرره الدستور الهندي للولايات الهندية في الاتحاد الهندي من سلطات واسعة في الإدارة وغيرها.

وكان طبيعيا أن تتشكل حركات إسلامية قوية تطالب إما باستقلال كشمير أو بحكم ذاتي واضح، أو الانضمام إلى باكستان. وقد حكمت مشكلة كشمير عوامل أساسية أهمها تطور العلاقات الهندية الباكستانية وعلاقات التحالف لكل من الهند وباكستان.



الأقليات المسلمة في جنوب آسيا (كشمير)

أولا : العلاقات الهندية الباكستانية :

منذ إنشاء باكستان على أساس إسلامي والصراع بين البلدين يدور حول سعي كل منهما إلى تكوين تحالفات، ودعم القدرات، والعمل على إضعاف الطرف الأخر.

ولما كان إنشاء باكستان قد صادف اشتداد الحرب الباردة الأولى ، فقد اتجهت الهند - على خلاف المتوقع - إلى الاتحاد السوفيتي بعد أن وجدت صعوبات كبيرة في التحالف مع الغرب أو إضعاف التحالف الغربي الباكستاني ، أما باكستان فقد تحالفت مع الغرب في وقت كانت الأحلاف الإقليمية من أهم أدوات الحرب الباردة، وأحد أهم وسائل الغرب لمنع انتشار الشيوعية ، وكان الغرب على ثقة من مناعة الهند ضد الشيوعية بسبب تقاليدها الديمقراطية الموروثة عن بريطانيا ، كما كان مطمئنا إلى صلابة باكستان بسبب قيامها على الإسلام المناهض بطبيعته للشيوعية المنكرة لكل الأديان.

وهكذا مالت باكستان إلى العالم الإسلامي والغرب ، كما عملت الهند على كسب صداقة الاتحاد السوفيتي ، ثم تأسيس حركة عدم الانحياز التي اتخذتها أداة لمناوأة الغرب وباكستان معا، ثم حدث تقارب بين الصين وباكستان عندما حدثت مواجهات مسلحة على الحدود بين الصين والهند عام ١٩٦٢ ويبدو أن هذه وغيرها من دوافع الهند إلى إضعاف باكستان كانت أسبابا كافية لمساندة الهند لحركة انشقاق باكستان الشرقية وقيام دولة بنجلاديش عام ١٩٧١ وحيث تحالفت الهند بشدة مع الاتحاد السوفيتي لتحقيق هذا الغرض.

وعندما تراخت الحرب الباردة تغيرت الاهتمامات الأمريكية فنشأت مشاكل وصراعات بين باكستان والولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة ، ذلك أن أهمية باكستان الاستراتيجية قد انحسرت مما أدى إلى تقارب هندي أمريكي ، فضلا عن أن

التسلح النووي الباكستاني قد اعتبر موجها إلى إسرائيل فيما عرف بالقنبلة الإسلامية، ولذلك طفت على سطح العلاقات الأمريكية الباكستانية مسائل جديدة أهمها المسألة النووية، والإرهاب والديمقراطية والأصولية والمخدرات، وتجدر الإشارة إلى أن التوافق الباكستاني الأمريكي في شأن دعم مجاهدي أفغانستان ضد الاحتلال السوفيتي قد أسهم في توثيق علاقاتها فتوافق زوال الاحتلال السوفيتي مع انحسار آخر موجات الحرب الباردة، ومن ثم دخول العلاقات بينهما في مرحلة ثنائية الصراع كما ذكرنا.

وقد اتسمت علاقات البلدين الهند وباكستان بالتوتر المستمر وسباق التسلح خاصة النووي بعد أن أعلن عن تصنيع الهند لقنبلة ذرية، وتصاعد التوتر مع دخول البلدين في حرب واسعة النطاق عام ١٩٦٥ توسط الاتحاد السوفيتي لوقفها ولإبرام اتفاقية طشقند عام ١٩٦٦ لتسوية المنازعات المختلفة بين البلدين، وكانت مشكلة كشمير ضمن عوامل التوتر في العلاقات الثنائية، كما كانت أحد أهم عوامل هذا التوتر في الوقت نفسه.

ولم تستطيع الدولتان تسوية المشكلة بسبب رفض الهند قرارات الأمم المتحدة التي نظرت المشكلة منذ عام ١٩٤٩ لأن هذه القرارات تطلبت حل المشكلة على أساس منح سكان كشمير الحق في تقرير مصيرهم، وهو ما يعني أن يختار السكان إما الاستقلال عن الهند وهم في قلب الأراضي الهندية، أو الانضمام إلى باكستان وهو مستحيل عملا سواء لاستحالة ضم كشمير إلى باكستان، أو استحالة نقل سكان كشمير إلى الأراضي الباكستانية.

ويرنو سكان كشمير إلى مساندة باكستان وتبني شكاوي ضد عسف السلطات الهندية، بينما تتهم الهند باكستان بإثارة الجماعات الإسلامية النشطة لمقاومة السلطات الهندية، ونظرا لتعقد المشكلة على النحو السالف إيضاحه فقد اتفقت

الهند وباكستان في اتفاقية سيملا عام ١٩٧٢ على تسوية المشكلة بجهود ثنائية خارج أطار الأمم المتحدة ، وهذا هو السبب في عدم نظر الأمم المتحدة منذ ذلك العام لمشكلة كشمير ، ولكن باكستان بدأت تطالب مرة أخرى بتسوية مشكلة كشمير على أساس حق تقرير المصير مما جدد الخلاف بين الهند وباكستان خاصة كلما وقعت أحداث ومواجهات بين مسلمي كشمير والسلطات الهندية أو بعض متطرفي السيخ والهندوس الذين يتعمدون الإساءة لمشاعر المسلمين ودور عباداتهم.

ثانيا : تطور الموقف الأمريكي والمتغيرات الدولية من كشمير:

أيدت واشنطن مواقف باكستان في كشمير وغيرها ، وفي المواجهات العسكرية مع الهند منذ ١٨٤٧ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧١ وكلها تمت في إطار الحرب الباردة وحلقة المحالفات التي أشرنا إليها ، حيث وقفت موسكو مع الهند على الطرف الآخر ، وقد عكس موقف واشنطن وتطوره تحولات النظام الدولي فبعد مساندتها لباكستان وقرارات الأمم المتحدة تحولت واشنطن إلى مساندة الحلول السياسية والدبلوماسية ، وأخيرا أدى التقارب الهندي الأمريكي في التسعينات - مقابل التوتر في العلاقات الأمريكية الباكستانية - إلى إعلان واشنطن عدم تدخلها في المشكلة إلا بموافقة الهند ، وفي ظل الموقف الأمريكي الجديد سكتت واشنطن عن انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير خاصة عام ١٩٩٥ عندما دمرت الهند مسجدا أثريا عمره عدة قرون في كشمير وهدمت آلاف المساكن مما دفع باكستان إلى إعلان تضامنها التام مع شعب كشمير والمطالبة بتطبيق قرارات الأمم المتحدة حول تقرير المصير ، وقد لاحظ بعض الدارسين أن واشنطن التي تحرص على توازن القوى بين الهند وباكستان تحرص أيضا على تخفيف التقارب الصيني الباكستاني ودفع الهند وباكستان لدعم سياستها ضد الصين ، ولذلك ذبل اهتمامها بقضية كشمير إزاء أولوياتها الجديدة ، وهو ما

يتعارض مع مصالح باكستان ، وينسجم مع تركيز الدبلوماسية الهندية مع حصر المشكلة بين الهند وباكستان دون تدخل أطراف ثالثة.

ثالثا : الموقف الإسلامي من كشمير :

يجب أن نميز بين الموقف الشعبي، والموقف الرسمي، وموقف منظمة المؤتمر الإسلامي من مشكلة كشمير، فالشعوب الإسلامية تتعاطف تعاطفا ظاهرا مع سكان كشمير المسلمين، كما تتفهم حركات الكفاح ضد تجاوز السلطات الهندية، وتشعر بالأسى لما يصيب هذا الشعب من نكبات لاستمرار القهر الذي يعانيه، وتؤيد تدخل باكستان للدفاع عن جزء من شعبها المسلم.

أما الموقف الرسمي الإسلامي فإنه يوفق بين حساسيات علاقاته مع الهند وتضامنه مع شعب كشمير، وأما موقف منظمة المؤتمر الإسلامي الذي يعكس إلى حد ما المواقف الرسمية الإسلامية فقد مر بمرحلتين: المرحلة الأولى منذ قيام المنظمة وحتى منتصف الثمانينات، حيث احترمت منظمة المؤتمر الإسلامي الاتفاق الهندي الباكستاني حول طرق تسوية المشكلة الكشميرية التي كانت تدور حول ما تقرر في سميلا عام ١٩٧٢ حيث اتفقت الدولتان على تسوية المشكلة بالطرق السياسية الثنائية بعيدا عن المحافل الدولية ، وكان هذا الاتفاق تعديلا في موقف الأمم المتحدة التي قررت منذ عام ١٩٤٨ ضرورة منح سكان كشمير الحق في تقرير المصير عن طريق الاستفتاء، وكان سبب هذا الموقف ليس التعاطف مع الشعب المسلم في كشمير، وإنما لأن الجمعية العامة كانت تخضع للسيطرة الأمريكية ، وكانت باكستان جزءا من بنية التحالفات الغربية وسلسلة الأحلاف العسكرية التي انتظمت معظم دول المنطقة من جنوب شرق آسيا حتى الشرق الأوسط والعالم العربي فيها، وربما كان هذا الوضع الباكستاني هو الذي أدى إلى تناقض مواقف بعض الدول الإسلامية

بسبب تحالفها مع الهند غير الموجة إلى باكستان وحرصها على عدم إغضاب الهند عن طريق مساندة شعب كشمير، والنموذج الواضح لذلك هو موقف مصر.

أما المرحلة الثانية في موقف منظمة المؤتمر الإسلامي من مشكلة كشمير والتي بدأت منذ منتصف الثمانينات فتتلخص في تغير التحالفات الإقليمية وتيارات التحالفات العالمية التي أدت إلى إصرار باكستان على التخلي عن إنفاق سيملا الموقع عام ١٩٧٢ والدخول في سباق التسلح النووي مع الهند رغم التحفظات الأمريكية ، بسبب إسرائيل وكانت أحد نتائج هذا التوجه الباكستاني هو إدراج قضية كشمير على جدول أعمال المؤتمرات الإسلامية(٦١).

والجدير بالذكر أن دور حكومة الهند في قضية كشمير هو إبادة من تستطيع إبادتهم من المسلمين، ثم إجبار الباقين على الهجرة إلى باكستان لتمكنه بذلك من تحويل الأغلبية المسلمة في كشمير إلى أقلية، وخطة الإبادة هذه فاقت ما جاء به النازيون والصهاينة من خطط لإبادة الشعوب، فالهند ذات مطامع تسلطية استعمارية، فقد غزت ولايات إسلامية مثل حيدر آباد وجوناكره وغيرها واستولت عليها . كما سيطرت على ولاية كشمير بنفس الرغبة، ويشجعها على ذلك عجز مجلس الأمن عن حل قضية كشمير.

إن قضية كشمير لا تقل أهمية من القضايا الإسلامية الأخرى وهي لا زال تنتظر الحل، كما أنها في حاجة شديدة إلى مؤازرة العالم الإسلامي، وعلى المسلمين المخلصين والمهتمين بهذه القضية مساندتها إعلاميا، لكسب تأييد الرأي العام العالمي لها حتى يتم الضغط على حكومة الهند للتخلي عن أطماعها الاستعمارية في كشمير(٦٢).

المسلمون في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق

تكون الاتحاد السوفيتي قبل انهياره من خمس عشرة جمهورية، منها ست جمهوريات أغلب سكانها مسلمون عانت من الاضطهاد الروسي حيث كانت جمهورية روسيا من أكبر جمهوريات هذا الاتحاد.

المسلمون في سيبريا:

يطلق اسم سيبريا على كل الأراضي الواقعة بين أوربا في الغرب والمحيط الهادئ في الشرق، وبين التركستان والصين في الجنوب والمحيط المتجمد الشمالي في الشمال، فهو إقليم واسع تبلغ مساحته ١٢,٧٦٥,٠٠٠ كم٢ وهو منطقة باردة متجمدة تبلغ درجة الحرارة فيها ٥٠م تحت الصفر، وقد وصفها كثير ممن نفوا إليها: الجحيم البارد، أو الزمهريرا، ويستخرج منها حاليا البترول والغاز الطبيعي والفحم الحجري، بكميات كبيرة، وهناك مناجم الذهب حيث تحاول السلطات الشيوعية التكتم على هذه الثروة الصفراء.

ورغم اتساع هذه المنطقة فليست لها جمهورية ذات استقلال ذاتي كبعض الجمهوريات الأخرى، بل هي أقليم يتبع جمهورية روسيا الاتحادية لتظل منفى لمعارضي السياسة الشيوعية وللمسلمين الذين نقلوا إليها قسرا، فتتبع الإدارة المركزية في موسكو مباشرة، ولا يزيد عدد سكانها على ٢٥ مليون نسمة، منهم ٢,٥ مليونا من المسلمين.

كانت سيبريا جزءا من الدولة المغولية التي أسسها باطو بن جنكيز خان، وصلها الإسلام بواسطة الدعاة من أهل بخاري وقازان الذين شقوا طريقهم إلى تلك البلاد وعاشوا مع أهلها، ولما اعتنق المغول الإسلام وتحمسوا له أصبحت سيبريا بلادا إسلامية وكون فيها المسلمون إمارة عاصمتها سيبر (تحريف من صابري) تولى أمرها

أحد أمراء القبيلة الذهبية عام ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠ م وقد بذل الخان قصارى جهده ليدخل رعاياه الإسلام وأرسل في طلب الدعاة والعلماء من بخارى ليساعدوه في مهمته التي لقيت كثيرا من النجاح.

ولما زحف الروس شرقا تمكنوا من احتلال سيبريا الغربية ، ودخلوا سيبر عاصمة كوتشم خان عام ٩٨٨ هـ/ ١٥٨٠م وقد رفض الخان الاستسلام عندما عرض عليه الروس بعد الانهيار أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكا تابعا لهم.

المسلمون في بلاد القفقاس:

قفقاسيا هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر شاملة جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية التي تعد الحد الفاصل بين أوربا وآسيا، وقد ضمت هذه المنطقة مزيجا من الشعوب انصهرت فيما بينها واحتفظت الجماعات الحربية التي تحصنت بالجبال بلغتها وعاداتها وحافظت على كيانها وعرفت بالشجاعة والإقدام والقوة.

وقد قامت في هذه الجبال حكومات محلية مثل حكومة القوشحة وسط المرتفعات عرفت في المصادر العربية باسم حكومة اللان ، كما أسس الداغستان دولة في السفوح الشرقية للجبال اسماها المسلمون حكومة السرير، كما أطلق المسلمون على الجبال اسم القبق والقبج والقبجوق والقفجاق منذ عهد الخلفاء الراشدين.

وتبلغ مساحة قفقاسيا ٣١٤,٤٠٠ كم٢ ويسكنها اكثر من ١٥ مليونا هم مجموعة من القبائل أهمها: الجراكسة والشاشات والقوشحة، والداغستان إضافة إلى الكرج والأرمن والكرد، وكل هذه البلاد كانت من ديار الإسلام.

وبعد أن ضعفت الدولة العثمانية والفارسية أخذت روسيا بالتوسع في بلاد القفقاس فضمتها بالتدريج بعد جهاد مرير من أهلها يشهد بهذا الجهاد كارل ماركس

نفسه ومن عباراته: "يا شعوب العالم، ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسا لكم".

وقد قسمها الشيوعيون إلى أربعة عشر قسما من أجل إمكانية السيطرة عليها وتتداخل هذه الأقسام والمناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مركزا للتمرد أكثر الأجزاء عددا وصغرا وهذه هي الأقسام:

أ ـ ولايات ذات حكم ذاتي هي:

١ـ الأدبغة وتتبع روسيا.

٢ـ قارتشاي الشركسية وتتبع روسيا.

٣ـ أوستينا الجنوبية وتتبع جورجيا.

٤ـ قره باخ وتتبع أذربيجان وتقع في وسطها.

ب ـ جمهوريات ذات حكم ذاتي في شمال القوقاز وهي:

١ـ داغستان ـ تتبع روسيا.

٢ـ شاشان انجوشيا وتتبع روسيا.

٣ـ قابرديا ـ بلكاريا ـ وتتبع روسيا.

٤ـ أوستينا الشمالية وتتبع روسيا.

٥ـ أبخاريا وتتبع جورجيا.

٦ـ آجاريا وتتبع جورجيا.

٧ـ ناختيشفيان وتتبع أذربيجان.

جـ ـ جمهوريات اتحادية في جنوب القوقاز وهي:

١ـ أذربيجان.

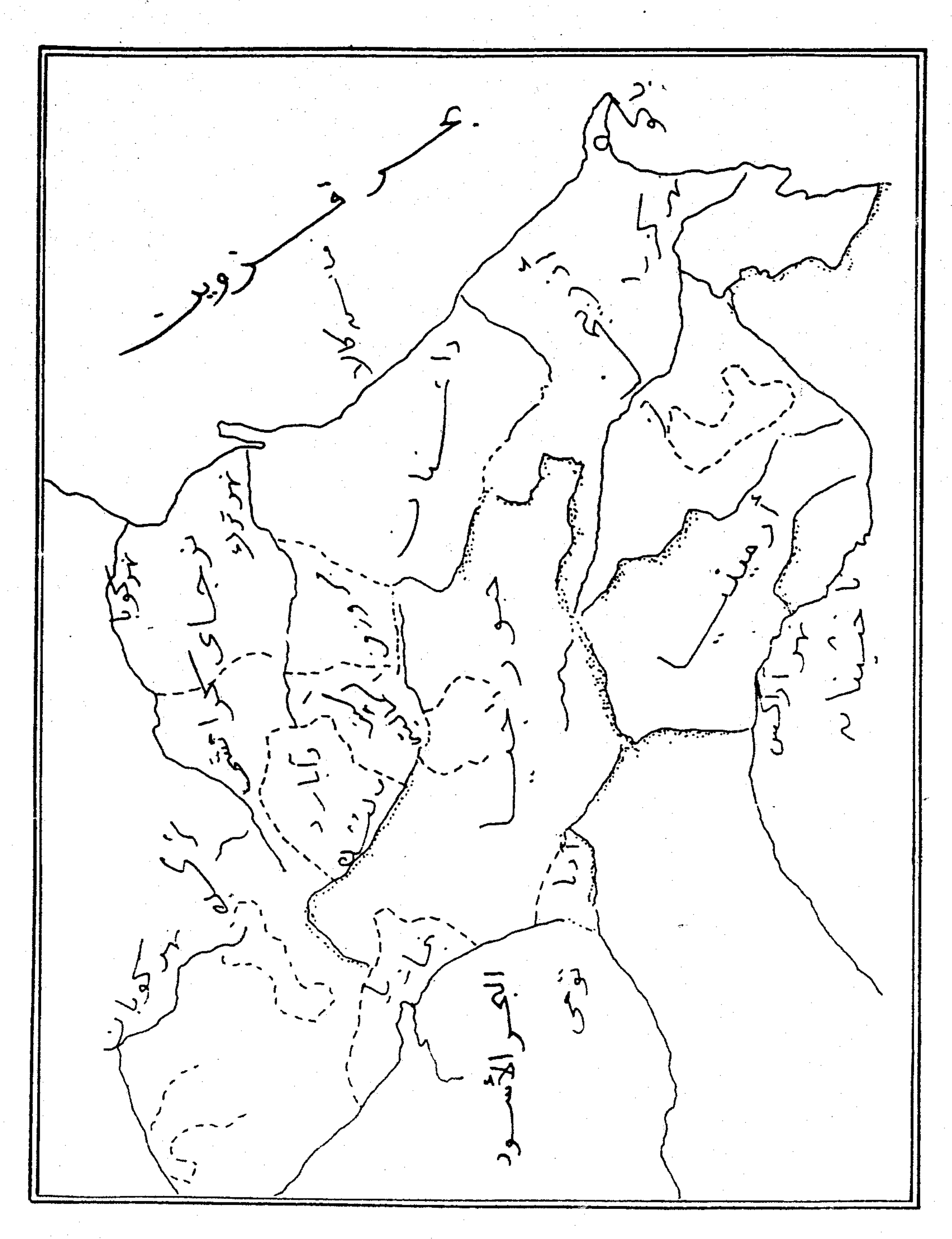
٢ـ جورجيا.

٣ـ أرمينية.

المسلمون في التركستان الغربية:

وهي بلاد ما وراء النهر الواقعة في حوض نهر اموداريا (جيحون) وسيداريا (سيحون) في أواسط آسيا، ومساحتها حوالي ٤ ملايين كم٢ ويسكنها حوالي ٤٠ مليون نسمة، من القبائل التركية القازاق والأوزبك والتركمان والقبرغيز والطادجيك، وجاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون المنطقة ويستثمرون خيراتها ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها.

وتسعة أعشار السكان من الأتراك المسلمين ومعظمهم من أهل السنة، وهناك ١٠٠ ألف إسماعيلي في هضبة بأمير إتباع أغاخان ولهم اتصال بالهند.



مسلمو القوقاز

وقد دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق الفتح والجهاد وأصبحت جزءا من ديار الإسلام إلى اليوم، وأسهمت في مد الإسلام وفي الإنتاج الفكري الإسلامي.

ولما وهن المسلمون وتفرقوا كان ببلاد ما وراء النهر ثلاث إمارات متنازعة هي: بخاري، وخانية خوقند في وادي فرغانة، وخيوة في خوارزم جنوب بحر آرال.

وبعد أن انتهى الروس من حرب القرم ثم دحروا الإمام محمد شامل الداغستاني تفرغت قواتهم المحاربة في القفقاس وانصرفوا إلى اكتساح البلاد الإسلامية التركستانية في عهد اسكندر الثاني ١٢٧٢ ـ ١٢٩٩ هـ ١٨٥٥ ـ ١٨٨١ م ـ فاستولوا عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م على مدينة طشقند عاصمة إقليم الشاش التي كانت تحت سيطرة أمير خوقند، ثم استولوا على مدينة سمرقند عام ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨م وهزموا الجيوش البخارية وأجبروا أمير بخاري على توقيع معاهدة اعترف بموجبها بالحماية الروسية على بلاده.

وفي عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م استولوا على عاصمة إمارة خيوة (خوارزم) ووقعت معاهدة حماية قضت على استقلالها.

وفي عام ١٢٩٢ هـ/١٨٧٥م هاجموا اخوقند (فرغانة) فاستسلمت عاصمتها، وفي العام التالي أزالوا هذه الإمارة من الوجود وألحقت بحكومة تركستان العامة، ودكوا العاصمة فسويت بالتراب، وأبادوا السكان عن بكرة أبيهم إلا من استطاع الفرار، واغتصبت الفتيات المسلمات وامتهنت الكرامات، حيث كانت هذه الإمارة أعدى أعداء روسيا وأخطرها في وسط آسيا.

ونشبت الحرب التركمانية في الفترة ١٢٩٠ ـ ١٣٠٢ هـ ١٨٧٣ ـ ١٨٨٤ م وقاوم التركمان مقاومة شديدة وسقطت المدن الإسلامية الشهيرة، مروونسا وسرخس وبيهق بيد القوات الروسية.

وتمت سيطرة الروس على البلاد التركستانية الواسعة عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بوصولهم إلى هضبة بأمير.

وبعد قيام الدولة الشيوعية جردت حملات على البلاد الإسلامية التي أعلنت قيام جمهوريات إسلامية مستقلة، وقاوم التركستانيون الغزو وتكونت جبهة تركستانية إسلامية، واستطاع السوفييت التغلب على حركة المقاومة الإسلامية عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وأقيمت في هذه الأقطار الإسلامية جمهوريات سوفيتية ليس لكل منها من الجمهورية سوى الاسم، وإلا فهي مقاطعة أو مستعمرة روسية يحكمها مندوبون من الكرملين ولا يستطيعون التصرف حتى في الأمور الداخلية دون الرجوع إلى موسكو[٦٣].

دخول الإسلام إلى روسيا الأوربية وحوض الفلغة:

انتشر الإسلام في روسيا الأوربية في فترتين زمنيتين:

١- على يد البلغار في القرن الرابع الهجري الذين اعتنقوا الإسلام على يد الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها في البلاد الشمالية.

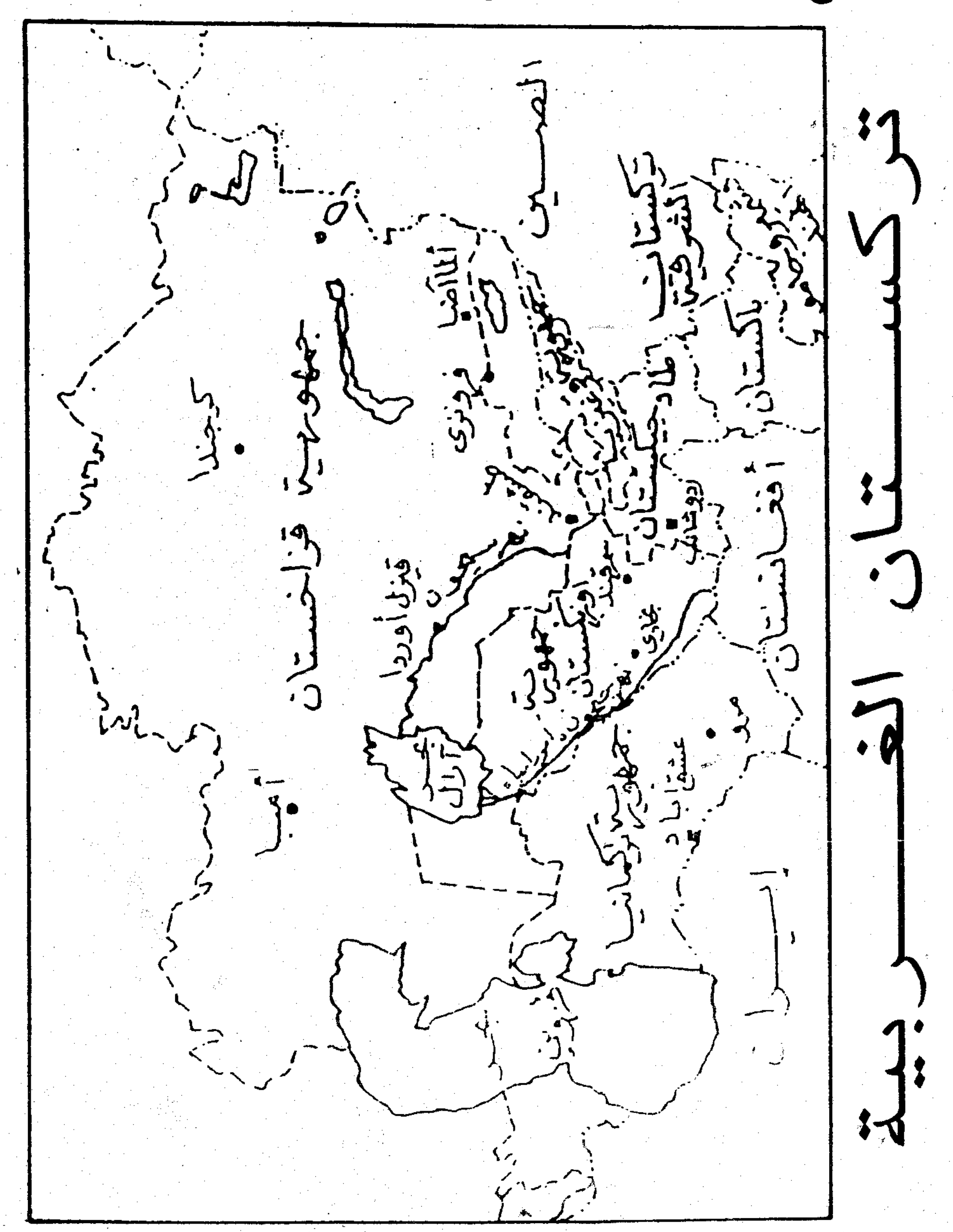
٢- على يد التتار: من القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي بن جنكيز خان، وأسلم أميرها بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٥هـ/١٢٥٦- ١٢٦٧م) فأصبح حوض الفلغة بأكمله إسلاميا وحاضرته مدينة السرا على ضفاف الفلغة[٦٤].

سياسة روسيا القيصرية في بلاد الإسلام:

نشأت روسيا القيصرية نشأة صليبية واعتبرت نفسها وريثة القسطنطينية ونصبت نفسها حامية للمذهب الأرثوذكسي، فأعلنت حربا صليبية سافرة وباركها البابا، ومهما اختلفت هذه السياسة فإنها انصبت على محاربة الإسلام والمسلمين، تلك

السياسة التي افتتحها إيفان الرهيب حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م ويمكن إجمالها في ما يلي:

(١) العمل على تنصير المسلمين بالإكراه: وخاصة في روسيا الأوربية فكان إيفان الرابع يطلب من الأمراء المسلمين في حوض الفلغة أما أن يرتدوا إلى



النصرانية أو الطرد والخراب الاقتصادي الشامل، أو التصفية الجسدية لم يبدي أقل مقاومة، واعتنقت الردة بالقوة منذ عام ٩٦٣ هـ/١٥٥٥م، وانتشرت المدارس التنصيرية من قازان إلى استراخان، وأخذ الروس يخطفون أولاد المسلمين من آبائهم ولتربيتهم في تلك المدارس حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية.

(٢) التهجير والإبادة: وقد تفنن القياصرة في أساليب تهجير المسلمين من أوطانهم بالتضييق عليهم بمختلف الوسائل، فصاروا الأوقاف الإسلامية، وطردوا علماء الدين من المدن، وهدمت المساجد، فقد هدم الروس ١٧٣٨ـ ١٧٥٥م ٤١٨ مسجدا من ٥٣٦ مسجدا في قازان وحدها، واغلقوا المدارس القرآنية في روسيا الأوربية كلها، وأثقلوا المسلمين بالضرائب الباهظة، وأجبروهم على ممارسة أخس الوظائف.

كما أسهمت ثلاثة عوامل أخرى في التهجير وهي:

(٣) الاستيطان الروسي في بلاد الإسلام: فقد صادرت روسيا أراضي المسلمين الخصبة في حوض الفلغة ومنحوها للنبلاء الروس، ثم بعد ذلك للفلاحين القادمين من وسط روسيا والفارين من العبودية، وملئت هذه البلاد بشبكة محصنة من القلاع لتكون سكنا للروس دون سواهم، وطردوا المسلمين من المدن الكبيرة.

أ) سياسة الترويس وخاصة تلك التي اتبعها نيقولا الثاني فاضطر خمسون ألف تتري مسلم إلى الهجرة إلى تركيا، ومنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى امتلأت المدن التركية بالمهاجرين التتار المسلمين الذين عرفوا بالمهاجرين الروس.

(ب) سياسة فرض أعمال السخرة وخاصة في الحرب العالمية الأولى، فقد فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن التاسعة عشرة إلى سن الثالثة والأربعين القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية وجماعة المرتدين

(كرياشن) حيث طرد المسلمون إلى أماكن نائية، فكان سيل الهجرة لا ينقطع من روسيا الأوربية ثم القرم والقفقاس والتركستان.

جـ) سياسة التصفية الجسدية، حيث كان الروس يصفون جسديا الأمراء والطبقات الواعية التي تأبى الذل والخضوع كما حصل لخيوه عندما قاومت الغزو الروسي وفي كثير من مناطق قازان، وطرخان والقفقاس والقرم.

ويعتبر عهد كاترين ١١٧٦ - ١٢١١ هـ / ١٧٦٢ - ١٧٩٦ م من أكثر عهود القيصرية الروسية تسامحا مع المسلمين، فقد منحتهم حق بناء المساجد والمدارس، ومنع التنصير بالقوة، كما منع اختطاف الأطفال وفصلهم عن أهاليهم بالقوة، فشهد عهدها عودة التتار الذين أجبروا على التنصير إلى الإسلام، وتحول كثير من القبائل الوثنية والنصرانية إلى الإسلام، ورغم هذا فقد ألحقت شبه جزيرة القرم بالأمبراطورية الروسية وصادرت أخصب أراضيها الصالحة للزراعة ووزعتها على عشاقها المفضلين بونمكين وبولجاكون وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشنويني، فتدفقت أفواج المهاجرين الروس والأوربيين على شبه الجزيرة وطرد المسلمون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة، فكانت هجراتهم الجماعة إلى تركيا.

واستولى الروس على أراضي القفقاس الخصبة وطردوا منها أهلها وعزلوا المنطقة بنطاق من القلاع المحصنة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين •

وأصبحت تركستان مرتعا خصبا للاستعمار الروسي، فملكوا أراضي المسلمين الخصبة وحولها المستوطنون الروس إلى مزارع للقطن لتغذية مصانع النسيج الضخمة التي أقيمت في روسيا.

(٤) الترويس: عمل الروس على فرض لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه إلى الحرف الكيريلي الروسي، وساعدهم على ذلك جماعة المرتدين عن

الإسلام (كرياشن) باعتبار القومية الروسية مرتبطة بالمذهب الأرثوذكسي، وفي عهد اسكندر الثاني أخذت الحملة على الإسلام طرقا مرنة وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين بالدعاية فقد وضع المبشر الارثوذكسي نيقولا المنسكي سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م سياسة تعليمية جديدة بإنشاء دار للمعلمين خاصة بالتتار المنصرين تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمى هذه المدرسة إلى تنشئة مثقفة بالثقافة الأوربية تؤخذ من المرتدين فقط على أن يقوموا بعد ذلك من دون أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التنصير لدى أخوانهم الذين ظلوا مسلمين، وقام المنصرون من جهتهم بحملة شديدة على الإسلام تساعدهم منظمات أرثوذكسية متعددة، وأدى ذلك إلى ردة فعل عكسية قوية إسلامية في أوساط عامة المسلمون يدعمها التجار والعلماء من المسلمين.

(٥) العمل على إثارة القوميات والقبليات : "سياسة فرق تسد" والتي برع فيها المستعمرون جميعا، ورغم أن هذه السياسة مناهضة لسياسة الترويس فقد ركز عليها الروس في المناطق الإسلامية فعملوا على عزل تركستان عزلا تاما عن تأثير الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية، فقد بذلت الإدارة الروسية جهدها ليظل المسلمون في حالة تأخر فدعمت العادات المنحرفة عن الإسلام ودعمت الجامدين للوقوف في وجه المصلحين من العلماء وشجعت المدارس القرآنية ذات الطابع التقليدي وأبعدوها عن كل تأثير عصري.

وعمدت روسيا في القوزاق إلى تحبيذ قيام حركة وطنية بإثارة القازاق في وجه التتار وغيرهم ، وأنتجت هذه الحركة فريقا من المثقفين بالثقافات الروسية الغربية تردد أقوال المستشرقين بإيجاد ثقافة قازاقية متحررة من الإسلام والمناداة بالتعاون مع الروس من أجل تقدم البدو القازاق، وانشئت عام ١٢٥٧ هـ/١٨٤١م مدارس

روسية قازاقية وفتحت المدارس العسكرية للقوازق ، وبذلت جهود عظيمة لبعث ثقافة غربية تقوم على اللغة القوزاقية.

ومن المؤسف أنه عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني ١,٥ مليون جندي مسلم، ومئات الآلاف في جيوش الحلفاء الإنجليز والفرنسيين اجبروا على قتال إخوانهم من المسلمين الأتراك.

مواقف المسلمين من روسيا القيصرية :

قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة أهمها ثورة الباشكير سنة ١١٨٧ هـ وثورة اندمجان في تركستان سنة ١٨٩٧ م المتأثرة بالوهابية السلفية الداعية للجهاد.

إلا أن هذه الثورات قد فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية، وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية من أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحيانا وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الأحيان كانت جماعات كثيرة توافق البعثات التبشيرية وتقبل الانتساب للنصرانية ظاهرا وعلى المذهب الأرثوذكسي فتسجل في عداد النصارى وتتم عملية التعميد، حتى ظنت الكنيسة الأرثوذكسية بعد مدة طويلة أن الأمر قد تم لها حسب ما تريد، وأنه لم يعد هناك خوف من انتشار الإسلام، وأبلغت ذلك إلى القيصر نيقولا الثاني عام ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥م فأعلن أن جميع الشعوب الموجودة في روسيا تتمتع بالحرية الدينية، فكانت المفاجأة أن عاد جميع المعمدين الذين تظاهروا بالنصرانية إلى الإسلام وأسلمت قبائل بأكملها في نفس العام وارتفعت المساجد، فلما رأى نيقولا اندفاع الناس نحو الإسلام بقوة أذهلت الروس اشتد في عملية الترويس فأنشأ الجمعيات الدينية لحماية النصرانية من الإسلام، وفرض الحروف السلافية واللغة الروسية فأصبحت رسمية والأسماء روسية.

ولم يفد ذلك شيئا فقد قام التتار في هذه المدة بنشاط كبير بالدعوة إلى دينهم سواء في منطقة الاورال أم شبه جزيرة القرم، فعمد نيقولا إلى حل الدوما (البرلمان الروسي) وتعديل قانون الانتخاب بحيث يقل عدد المثلين المسلمين من ٣٥ شخصا إلى ستة أشخاص وفي العام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م أرسل وزير الداخلية الروسي إلى مجلس الوزراء تقريرا يحذر فيه من إعطاء المناطق الإسلامية حرية تكوين جمعيات سياسية ودينية ويأمر بإلقاء القبض على دعاة هذه الحركات واعتبارهم خارجين على القانون بتهمة أنهم جواسيس وعملاء لدولة الخلافة العثمانية.

وكانت دعوة السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية قد وجدت قبولا لدى المسلمين الخاضعين لروسيا... فقامت روسيا بتصفية جميع الجمعيات الإسلامية التي تكونت مثل حركة الاتفاق الإسلامي وحركة تانغ تشيلا وحركة ملي فرقة، وألغت روسيا الحرية الدينية، ولكن المسلمين وأصلوا انتعاشهم، فرغم ظروفهم السيئة فقد حافظوا على إسلامهم ولغاتهم بل وظهرت نهضة ثقافية فانتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية، ففي مدينة أوفا عاصمة بشكيريا كان بها ١٥٥٥ مسجدا و ٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة إسلامية تضم سبعة آلاف طالب ومطبعة إسلامية طبعت عشرون ألف قارئ في السنة، كما وجد فيها ٧٠٠ مسجدا وكما يقول بنجسن ولومر سييه: "وهكذا فما أن أقبل عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون.

وكانت قومية التتار في روسيا العرقية تجد ذاتها في الدين الإسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية في الإمبراطورية الروسية على عكس القوميات التي ظهرت في تركيا والبلاد العربية.

سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام :

نشط المسلمون نشاطا ملحوظا خلال الحرب العالمة الأولى واعتبروها فرصة للاستقلال، ولذلك أيدوا الحركة الاشتراكية الشيوعية بزعامة لينين التي أطاحت بالقيصرية الروسية عام ١٩١٧م /١٣٣٥هـ

وعمد الشيوعيون إلى أسلوب تجزئة البلاد الإسلامية إلى وحدات قومية لغوية صغيرة متنافسة، على أنقاض المجتمعات الإسلامية الكبيرة، ودعموا قيام الشعوبية بينهم، وقضوا على كتابة لغتهم بحروف عربية ليقضوا على صلتهم بالتراث الإسلامي، وهذه سياسة معقدة إدارة واقتصادا وعلما، لأنها تنطوي على خلق لغات مكتوبة، وهي لا تشبه أي مخطط معروف، بل تقوم على آراء مترددة، وأفكار غير مستقرة ولا ناجحة، لا بل على رجوع إلى الوراء، والهدف منها نبذ هذه اللغات جميعا على حساب التركية والعربية إلى الروسية الرسمية.

ولذا فقد اختلفت سياسة القوميات باختلاف الأقاليم، ففي إقليم (حوض الفلغة أورال) فصلوا البشكير عن التتار ، ثم قاموا بتفتيت المسلمين بالاعتراف عام ١٩٢٣م بالقومية للجماعات العرقية التي تعيش هناك وتراجعت الشيوعية عن التجربة سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م بعد أن أدت إلى القضاء على المجموعة البشكيرية التترية الكبيرة التي ظلت قرونا حاملة لواء الإسلام في وجه روسيا.

وفي الداغستان استبعدت العربية وسيلة الوحدة والثقافة الإسلامية ووجدت إحدى عشرة لغة أدبية رسمية، انهارت بعد قليل لتبقى الروسية هي الوحيدة وسيلة التفاهم بين القبائل.

واتبعت الشيوعية أسلوب التهجير من المناطق الإسلامية وإليها لإضعاف شأن الأغلبية المسلمة وليصبحوا أقلية في عقر دارهم.

كما عمد الشيوعيون لأساليب الإبادة، فأباد الشيوعيون خلال خمسين عاما ٢٠ مليون مسلم، وقد ثبت بالإحصاءات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليونا ويكفي أن نذكر النماذج التالية من عمليات الإبادة التي مارسها الروس والنفي إلى مجاهل سبيريا.

وعمد الشيوعيون إلى أسلوب السخرة لإذلال المسلمين وهو نظام يبيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تواري ما تيسر من الجسم.

وقد اختلفت المصادر في تقدير عدد هؤلاء العمال الذين استغلتهم الشيوعية في الاتحاد السوفيتي بما يتراوح بين ستة ملايين وثمانية عشر مليونا يعملون في إنشاء الطرق والسكك الحديدية وردم المستنقعات وإزالة الأشجار واستصلاح الأراضي النائية واستخراج الملح والذهب من المناجم، فضلا عن الكثير من الأعمال الصناعية الثقيلة التي يسخرون فيها داخل معتقلات خاصة بذلك.

واتبعت الشيوعية للقضاء على الإسلام أسلوب مهاجمة الدين الإسلامي بشدة، ذلك لأن الشيوعيون أدركوا أهميته في الوقوف أمام عقيدتهم، ولكنهم لجأوا إلى سياسة النفس الطويل للقضاء عليه(٦٥).

لجأت الثورة الشيوعية بعد أن استتب لها الأمر... إلى نفي شعوب بأكملها ليحل محلها الروس وفي بيان لوكيل الجامع الأزهر ورئيس جماعة الكفاح الإسلامي أرسل إلى الأمم المتحدة .. قدم بعض المهاجرين من الحكم البلشفي الغاشم بعض الحقائق نذكر منها:

(أ) في التركستان وحدها قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم، ونفوا ثلاثمائة ألف، ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم

وأعطتها للصليبيين ليحلوا محلهم... وفيما بين سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ألقت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقا ونفت الباقي.

وقتلوا من علماء الدين: الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة والشيخ خان مروان مفتي بخاري ، والشيخ عبد المطلب داملا ، والشيخ محرم متولي ، والشيخ عبد الأحد دار خان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ، والشيخ ملا عبد الكريم ، وغيرهم كثيرون.

كما قتلوا من الساسة خوجة نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة المآتا ، وعطمان أوراز قائد مقاطعة كاشغر ، ويونس بك وزير الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وطاهر بك رئيس مجلس النواب وعبد الله داملا وزير الأشغال(٦٦).

وبعد الحرب العالمية الثانية قام ستالين باقتلاع بعض شعوب روسيا والقوقاز ونقلهم إلى آسيا الوسطى (الألمان والأتراك والكوريين والأرمن والأكراد والأوكرانيين) وفي المرحلة الأخيرة أي في عهد جوربا تشوف وبعد اندلاع الحروب الطائفية في القوقاز وجورجيا وأرمينيا واذربيجان ، تمت عملية تهجير جديدة في سرية تامة بحيث جرى نقل أكثر من مليوني شخص من هذه المناطق إلى أسيا الوسطي.

ومنذ انتفاضة الطلاب في قرغيزستان عام ١٩٨٦ ضد الطلبة الروس والأجانب التي أدت إلى اضطرابات آلما أتا عاصمة كازاجستان عام ١٩٨٨ ضد الأذريين والروس شهدت دول آسيا الوسطى اضطرابات خطيرة لم يعلن عنها في وقتها بسبب الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام. وفي عام ١٩٨٩ سالت دماء كثيرة على أرض طشقند في أوزبكستان ودوزشنبر عاصمة طاجيكسيان في المظاهرات الغاضبة ضد الروس والأتراك والقوقازيين والتتار ، وقد أدت المظاهرات إلى قتل وجرح أعداد

كبيرة من الأشخاص بجانب إحراق المئات من المباني والبيوت التي كان يسكنها الأتراك المشكوتيون.

إن الإسلام خلافا لما تروجه وسائل الإعلام الغربية ليس بديلا للشيوعية ، بل أن تمسك المسلمون بتراثهم وتاريخهم وعاداتهم من ضمن العوامل التي أدت إلى مناداة المسلمون بإخلاء المجتمع من مظاهر الحياة الغربية والعودة إلى النهج الإسلامي للحياة [٦٧] وللدول العربية عامة والمملكة العربية السعودية ومصر خاصة دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد أواسط آسيا حيث يرسل خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز وكذلك الأزهر الشريف الكثير من المصاحف إلى هذه البلاد ، هذا بجانب الدعاة وبالشئون الدينية المختلفة.

المسلمون في أوربا الشرقية

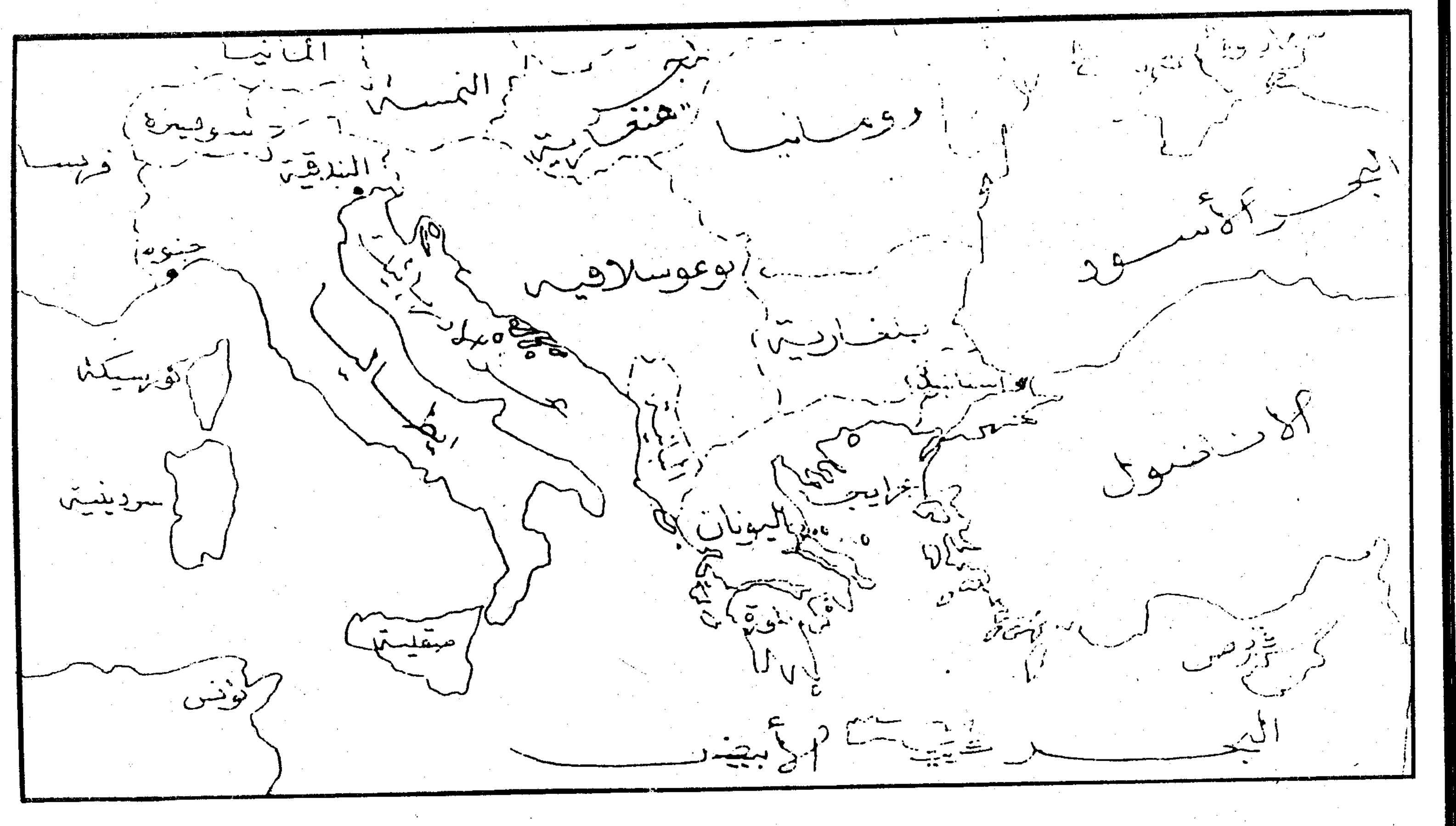
الحديث عن المسلمين في أوربا الشرقية جزء من الحديث عن المسلمين في ظل الاتحاد السوفيتي السابق، حيث إن معظم أوربا الشرقية كانت تتبع المعسكر الاشتراكي الشيوعي وتأتمر في معظم أمورها بأوامر موسكو، وبالتالي فإن الحديث عن سياسة دول شرقي أوربا تجاه الإسلام هو جزء من سياسة الاتحاد السوفيتي تجاهه وأهم هذه الدول:

أولا: بلغاريا:

إحدى دول البلقان ومن دول أوربا الشرقية، تشرف على البحر الأسود، سميت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري، وكان لها ملك مسلم اسمه الماس خان، وهو الذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) إرساله بعثة إسلامية من الفقهاء والعلماء والمهندسين لبناء بلغاريا والنهوض بها.

ثم وصلها العثمانيون واستطاعوا فتحها في زمن مراد الأول وبايزيد ابنه بالتدريج. وامتدت عمليات الفتح من عام ٧٤٤ إلى عام ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م وأصبحت جزءا من دار الإسلام وقاعدة لأنطلاق الجيوش الإسلامية العثمانية إلى أواسط أوربا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب واستمر الحكم العثماني اكثر من خمسة قرون ونصف، فانتشر الإسلام أثناء ذلك انتشارا كبيرا.

وقد انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية بفعل الدسائس الأوربية وإثارة القوميات في البلقان، وكان المسلمون أكثرية قبل الاستقلال إلا أنه نظرا للسيطرة الصليبية



شبه جزيرة البلقان

على البلاد تعرض المسلمون للظلم والاضطهاد فهاجر عدد كبير منهم إلى خارج بلغاريا ، وحل محلهم العنصر البلغاري الذي استقدم من البلدان المحيطة بها ، فقل بذلك عدد المسلمين، وتعرضوا لحملات التنصير الإجباري، وارتد عدد منهم عن الإسلام بالفعل، وبذلت مختلف الجهود لتذويبهم وقطع صلاتهم بماضيهم شأن محاولات المستعمرين في بلاد الإسلام الأخرى، فقد وضع المسئولون في منتصف القرن الرابع عشر الهجري مشروعا شاملا يهدف إلى تنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف إذا اقتضى الأمر.

وكان للمسلمين في بلغاريا مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومدارس أخرى علمية تقدر بنحو ألف مدرسة، كما كانت لهم مئات المساجد يؤدون فيها صلواتهم، وأخذت هذه تقل تدريجيا.

وفي الحرب العالمية الأولى انضمت لألمانيا في الحرب، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها ، كما انضمت أيضا لألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فغزاها الروس وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية " فأصبحت ضمن المعسكر الاشتراكي، فقد أقام الجيش الأحمر الأنظمة الشيوعية بزعماء مهاجرين في حين لم يكن للأحزاب الشيوعية وجود تقريبا.

وقد دخلت القوات الروسية بلغاريا أثناء الحرب العالمية الثانية، وأتم الشيوعيون السيطرة عليها سنة ١٩٤٥م، وبدأت الشيوعية كالعادة في محاولة لكسب المسلمين إلى جانبها فألغوا قرار التنصير وأعلنوا حرية الاعتقاد ، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد بعثوا مشروع التنصير من جديد، وبشكل أكثر عنفا وبربرية، فبدأوا بمنع التوجيه والتعليم الديني الإسلامي أو الدعوة له، ثم نظمت حملات من الكتاب الملحدين والحاقدين على الإسلام للتشويه والتشهير بالإسلام والمسلمين، لأنه كان دين الخلافة العثمانية.

ويمكن تلخيص وضع المسلمين في بلغاريا بما يلي :

- يحرم على المسلمين لبس الزي الإسلامي وخاصة النساء فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة بزيها الإسلامي.

- منع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم، ومن صوم رمضان، ومن أداء فريضة الحج، مع منع النحر في عيد الأضحى.

- منع المسلمون من بناء مساجد جديدة ، ويغلق المسجد الذي يتوفى إمامه، وتتعرض الجماعات التي تزور المساجد المفتوحة إلى المطاردة والعقاب.

- منع المسلمون أن يدفنوا موتاهم في مقابرهم الخاصة بهم، وقد ألغيت مقابرهم، وألغيت إجراءات الدفن التي تقوم على الطريقة الإسلامية.

- منع المسلمون من اقتناء المصاحف ومن الهجرة إلى خارج مناطقهم.

- منع المسلمون من وظائف المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة.

- إجبار المسلمون على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية نصرانية أو يهودية، وقد بدأت هذه العملية سنة ١٩٦٠ م ولكنها اشتدت في الآونة الأخيرة .

وقد أصدرت الرابطة الإسلامية بيانا عام ١٣٩٧ هـ إثر اشتداد هذه الحملة ناشدت فيه الحكومات الإسلامية السعي لحماية المسلمين في بلغاريا وتدخلت تركيا في هذا الأمر وأعلنت عن استعدادها للأنفاق مع حكومة بلغاريا بشأن هجرة الأشخاص المنحدرين من أصل تركي.

ثانيا : يوغسلافيا :

كانت جمهورية اتحادية تقع في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك ، وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي:

صربيا وعاصمتها بلغراد العاصمة الاتحادية الواقعة على نهر الدانوب وكرواتيا وعاصمتها زغرب وسكانها من الكروات.

والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو

ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا.

وسلوفيتيا وعاصمتها لبوبليانا وتقع في أقصى الشمال الغربي.

والجبَل الأسود وعاصمتها تيتوجراد وهي أصغر الجمهوريات وفيها عدد من الألبان.

ويضاف إلى هذه الجمهوريات إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما : كوسوفا وفوجفورنيا ويتبعان جمهورية صربيا.

وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة به، وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب، واحتلها الألمان والايطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية، وسيطر الشيوعيون على حكمها، ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز واهتمت بمصادقة جميع الكتل السياسية العالمية، وحكمها الرئيس تيتو فترة طويلة.

وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ٢٥٥٠٨٠٤ كم٢ وعدد ساكنها عام ١٤٠١ هـ أكثر من ٢٢ مليون نسمة.

وصلها الإسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني، إذ بدأ العثمانيون يتقدمون في هذه البلاد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م إلى عام ٨٥٦ هـ/ ١٤٥٢ م ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب النصرانية طلب البشناق ـ أهل البوسنة ـ مساعدة العثمانيين.

وقد تقدم السلطان محمد الفاتح لنجدة البشناق سنة ٨٦٨ هـ/١٤٦٣م ففتح البلاد وحسم الصراع بين المذاهب النصرانية، وأصبحت البلاد جزءا من دار الإسلام، واعتنق البشناق الإسلام زرافات ووحدانا طواعيه، وصاروا من أقوى أنصاره، وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها: سيراجيفوأو (بشناق سراي).

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا ، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م لإمبراطورية النمسا والمجر.

وفي صربيا كانت شرارة الحرب العالمية الأولى عندما أغتال طالب صربي ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند وزوجته أثناء زيارته لمدينة سيراجيفو عام ١٣٣٧هـ/١٩١٤م.

وبعد الحرب الأولى ـ ظهرت مملكة صربية، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي بعد أن هدم الاتحاد السوفيتي الأنظمة السابقة وأقام دكتاتورية طبقة العمال.

أحوال المسلمين :

تعرض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي ، وإلى عمليات التنصير ، فهاجر العديد منهم فرارا بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م ، وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة وتعرضت المساجد إلى الهدم.

وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم علي فهمي جانيش عام ١٣١٨ هـ وانضم إليهم الأرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧ هـ .

وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا استبشر المسلمون بالتخلص من الاستعمار النمساوي، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال ، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثوذكس.

ومن حركات المقاومة التي نظمها المسلمون : الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور محمد سباهو عام ١٣٣٨ هـ .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية، ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة تيتو وكعادتهم قاموا بمذابح كثيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم، واغلقت بقايا المدارس الدينية وأبيد ٣٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين .

وبدأت المساجد في العقود الأخيرة تزداد فوصل عددها إلى ٢٧٠٠ مسجد واستردت معظم المساجد التي سلبت منهم أيام الاضطهاد وهي تنتشر في معظم القرى والمدن ففي إقليم سيراجيفو يوجد ١٠٩٢ مسجدا وفي مشيخة بريشتينا ٦٧٠ مسجدا ، وفي سكوبيا ٣٧٢ مسجدا، وفي مشيخة تيتوجراد ٧٦ مسجدا والباقي موزع في مناطق أخرى ، وتزداد حركة بناء المساجد في الآونة الأخيرة.

وأخذ التعليم الديني مكانة في حياة المسلمين ، فيتعلم الطفل المسلم مبادئ الإسلام والقرآن الكريم في الكتاتيب التي بلغ عدد طلابها سنة ١٣٩١ هـ ، ١٢٠ ألف طالب[٦٨].

وقد تمثلت مشكلات المسلمين في يوغسلافيا في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وقد بدات المشكلة الأولى في إبريل عام ١٩٩١ بإعلان جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي، فاحتدم الصراع بين الجمهورية الفتية وبين جمهورية الصرب، وتوسع الصراع عندما دخل الصرب في البوسنة في صراع مع المسلمين والكروات ثم اصبحت المشكلة مأساة إسلامية عندما أصبح المسلمون والكروات هدفا للتطهير العرقي وفي عام ١٩٩٩ أعلن المنسق العام لقوات حلف الأطلنطي في سراييفوا عزل رئيس جمهورية الصرب داخل البوسنة وهو ما لقى احتجاجا صربيا واسعا ، واهتمت الدول الإسلامية بقضية المسلمين في البوسنة وزادها غضبا تقاعس الأمم المتحدة والمجتمع الدولي ، لذلك قررت الأمم الإسلامية منذ عام ١٩٩٢ على العمل على وقف أعمال الإبادة الصربية للمسلمين وتقديم العون الإنساني لهم، كما تطوع كثير من المسلمين للجهاد في صفوف البوسنيين وعملت بعض الدول الإسلامية كالسعودية وغيرها على تعزيز مظاهر الوجود الإسلامي في سراييفو والمدن البوسنية الأخرى.

أما كوسوفو فقد أصبحت في العالم الإسلامي صورة أخرى لمأساة البوسنة حيث تجاوبت المنظمات الإسلامية مع المشكلة بما يتفق مع توجهاتها ، ولم يكن صعبا أن تدين المنظمات الإسلامية الرسمية مواقف الصرب وهو استمرار لموقفهم في البوسنة، وطالبت بتسوية المشكلة سلميا ولم يتخذ العالم الإسلامي موقفا إزاء مسألة انفصال الإقليم أو حكمه الذاتي أو استمراره تحت الإدارة الصربيبة لأن هذه مسألة حاسمة، وللعالم الإسلامي موقف واضح وهو التمسك بسيادة الدول وسلامة أراضيها ولا يحبذ الانفصال أو استقلال الأقليات الإسلامية ، وعلى الرغم من أن المبعوث الأمريكي الخاص هو بروك الذي نفذ اتفاق دايتون في البوسنة قد اتفق مع الرئيس الصربي سلوبودان ميلو سوفيتش على تسوية سلمية للمشكلة إلا

أن القوات الصربية استمرت في أعمال البطش بالمسلمين إلى أن انتهت المشكلة بتدخل دولي لحلف الأطلنطي في المنطقة[٦٩].

ثالثا: رومانيا :

رومانيا أحدى الجمهوريات الاشتراكية في أوربا الشرقية ، شمال شبه جزيرة البلقان ومساحتها ٢٣٧,٥٠٠ كم٢ وسكانها عام ١٣٠١ هـ /١٩٨١ م ٢٢,٤٠٠,٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها بخارست.

وصلها الإسلام عن طريق الدعاة الأتراك المسلمين بجهود ذاتية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وكان من أشهرهم : سامي سالتبك وعن طريق هذه الدعوة هاجر إليها عدد من الأتراك المسلمين واختلطوا بسكانها .

وجاء العثمانيون فتمكنوا من إلحاق هذه البلاد بدار الإسلام بين ٨١٤ - ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م فتحولت أسر وقرى ومدن بأكملها إلى الإسلام وعز الإسلام في هذه البلاد.

تعرض المسلمون بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى إلى ألوان عديدة من الاضطهاد ، فهاجر الآلاف منهم إلى تركيا ، فقل عدد المسلمين في رومانيا فأصبح عددهم سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م ٢٢٠,٠٠٠ نسمة ، ثم وصل قبل الحرب العالمية الثانية إلى ٢٦٠,٠٠٠ نسمة.

وبعد استيلاء الشيوعيين على الحكم واستيلاء روسيا وبلغاريا على أجزاء منها عادت هجرة المسلمين من جديد ، فوصل عددهم سنة ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م إلى ٩٠ ألف نسمة فقط.

أما عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م فيقدر عددهم بمائة ألف نسمة من الأتراك والتتار والغجر ، يوجد أكثرهم في شرقي رومانيا في منطقة دوبروجة على ساحل البحر الأسود في مقاطعتي قسطانطة وتولسيه وفي مدينة بخارست.

وقد عـاني المسـلمون في رومانيـا مـن المضايقـات والتحديـات في ظـل الحكـم الشيوعي، بزعمائه مـن خـارج البـلاد، الذيـن عـاملوا المسـلمين بدكتاتوريـة مفرطـة، فقـد أهمـل التعليـم الإسـلامي، وضـاع المسـلمون بـين التحـدي الشـيوعي والتعصب النصراني والعداء التقليدي للأتراك، ويوجـد لهـم مفتي في مدينـة قسـطانطة ولكنـه مسلوب النفوذ.

رابعا : بولندة :

تعد إحدى دول وسط أوربا، مساحتها ٣١٢،٦٨٣ كم٢ وسكانها أكثر من ٣٦ مليون نسمة.

سيطر عليـها الشـيوعيون منـذ سـنة ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢م، ٩٥ ٪ مـن سـكانها كاثوليك، وهي البلد الشيوعي الوحيد الذي يعترف بالتعليم الديني.

وكانت هذه البلاد تتبـع دولـة التـون اورده (٦٢٥ ـ ٩١١هـ ـ ١٢٢٧ ـ ١٥٠٥ م) الإسلامية التي حكمت روسيا وشرق أوربا بأكمله، ولما تلاشـت هـذه الدولـة بعـد حروبها مع روسيا انتشـر المسـلمون إلى الـدول الأوربيـة المجـاورة مثـل اكرانيـا والقـرم والمجر وبولندة الكبرى ولتوانيا.

وعلى ذلـك فقـد بـدأ اتصـال المسـلمين بهـذه البـلاد في القـرن السـابع الهجـري/ الثالث عشر الميلادي، وقد استعان البولنديـون بالتتـار المسـلمين كثـيرا لصـد هجمـات الألمان، وتكونت أول جالية إسلامية في القرن التاسع الهجري في بولندة، وفي القـرن السادس عشر تكونت مـن هـذه الجاليـة فـرق مـن الخيالـة الخفيفـة اقتصـرت عليهـم في الجيش البولندي، ومن القادة المسـلمين المعروفـين في بولنـدة الجـنرال ببـالاق في القـرن الثامن عشـر الميـلادي خـلال حـروب بولنـدة مـع روسـيا، وكـان بجانبـها دولتـان إسلاميتان هما : دولـة تتـار القـرم وعاصمتـها بغجـة سـوراي ويسـميها الـروس الآن سفربول، والثانيـة الدولـة العثمانيـة، وقـد تمتعـت الجاليـة الإسـلامية باحـترام ملـوك

بولندة وبنيت المساجد والمدارس الإسلامية وخاصة في مدينة لوبلان شرق بولندة حاليا .

وعندما قسمت بولندة بين ألمانيا والنمسا وروسيا في أواخر القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) أصبح المسلمون ضمن المناطق المقسمة وكانت الأكثرية من نصيب روسيا القيصرية ، وعادت بولندة بعد الحرب العالمية الأولى إلى الوجود ، وكان فيها آنذاك حوالي ١٥٠ ألف مسلم ، بنوا المدارس والمساجد.

وبعد الحرب الثانية خرجت بولندا وقد تقلصت مساحتها وقل عدد سكانها ، فقل عدد المسلمين فيها حيث كان عددهم سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م أحد عشر ألفا منهم عشرة آلاف مسلم بولندي ، وعام ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م (١٥ ألفا) (٧٠) .

ويستخدم البولنديون المسلمون اللغة العربية لفهم تعاليم دينهم الحنيف ، والمساجد في بولندا تعتبر مراكز إشعاع للثقافة الإسلامية ، وقد اهتم المسلمون العرب بمسلمي بولندا فكانت زيارة مفتي لبنان لها في عام ١٩٨٤ ، وزيارة ممثلو منظمة الدول الإسلامية عام ١٩٨٦ (٧١).

خامسا : ألبانيا :

البانيا اليوم جمهورية شعبية في جنوب شرقي أوربا في شبه جزيرة البلقان تقع بين اليونان ويوغسلافيا ، وتطل بساحلها الغربي على البحر الأدراتيكي وعاصمتها مدنية تيرانا ، وتسمى أحيانا باسم شكبينا ، ولكن اسم البانيا أكثر شيوعا واستخداما.

وتبلغ مساحة ألبانيا ٢٨,٧٤٨ كم٢ ، معظمهما مناطق جبلية كجزء من جبال الألب الدينارية ، ويخط أراضيها أحواض منخفضة تتخللها المستنقعات وتغطيها الغابات التي تمد البلاد بثروة خشبية جيدة.

وسكانها ٢ مليون نسمة يطلق الأتراك عليهم اسم الأرناؤوط، ويطلقون على أنفسهم اسم سكتيبار ، ويتكونون أصلا من قسمين يفصل بينهما نهر شكومي الغج في غيجاريا، والتوسك في توسكاريا، وتقسم كل مجموعة إلى عدد من القبائل، بالإضافة إلى بعض العناصر من الصرب والرومان والبلغاز واليونان والأتراك وعدد قليل جدا من الغجر واليهود.

ويدين بالإسلام في ألبانيا حوالي ٧٣٪، وهم من أهل السنة من الغج والتوسك وهناك الكاثوليك النصارى ويشكلون نحو١٠٪ ، والأرثوذكس النصارى ويشكلون نحو ١٧٪ .

وقد بدأ اتصال الدولة العثمانية بهذه البلاد بالفتح عندما تقدمت جيوش الدولة إلى شبه جزيرة البلقان وبدأت محاولة فتحها عام ٧٨٩ هـ في زمن السلطان مراد الأول .

ولما اشتدت حملة الدول الصليبية الأوربية على الدولة العثمانية وجزأتها أعلن استقلال البانيا عام ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ م وفي مدينة فالونا _ فلورا) قرر مؤتمر لندن تحديد حدودها ، وعين الأمير ولهلم الألماني حاكما عليها ، ووصل الأمير بالفعل إلى مدينة دوراز عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م ولكنه غادر ها في نفس العام ، ووقعت في سلسلة من الاضطرابات التي كان يثيرها تنازع الدول الاستعمارية وأطماعها.

واتفقت الدول الكبرى سرا في لندن عام ١٣٣٣ هـ "/ ١٩١٥ م على تقسيم البانيا ، ولكن إيطاليا نقضت الاتفاق فأعلنت من جانبها استقلال البانيا عام ١٣٣٦ هـ/١٩١٧م.

فأعلنت الجمهورية وأصبح الأمير أحمد زوغو رئيسا لها ، ولكنه أعلن نفسه ملكا بعد ذلك عام ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٥ م وحاول تغيير العادات مسايرة للدول

الأوربية ففرض السفور على النساء ، فاضطر عدد من المسلمين إلى مغادرة البلاد إلى بلاد إسلامية أخرى.

وظل أحمد زوغو في الحكم إلى عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م عندما اضطر للهرب إلى إنجلترا بسبب احتلال إيطاليا لبلاده.

وتم إعلان عزل زوغو عام ١٩٤٦ م بعد الحرب العالمية الثانية ، واعترفت بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا بحكومة انتقالية في البانيا برئاسة الجنرال أنور خوجة على أساس أن تجرى انتخابات حرة في البلاد.

وأسفرت الانتخابات بالدعاية الشيوعية عن فوز الشيوعيين الذين أعلنوا الجمهورية في نفس العام ١٩٤٦ م فقطعت بريطانيا والولايات المتحدة علاقاتها مع ألبانيا التي دخلت بدورها هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م.

وظل حزب العمال الشيوعي الذي تأسس عام ١٩٤١ يحكم ألبانياويلغ عدد افراده في عام ١٩٦١ م ٥٣،٦٥٩ فردا ، وتحكم هذه الأقلية المسلمين وتسؤهم العذاب كالشيوعية في الاتحاد السوفيتي وفي الصين ـ بزعامة أنور خوجة[٧٢] .

ويحتاج هؤلاء المسلمون في الوقت الراهن إلى دعم إخوانهم لتجاوز الأزمات التي مروا بها في بلادهم في الآونة الأخيرة.

هوامش الفصل الخامس

١ـ محمود شاكر ، مرجع سابق ١٠٧.

٢ـ د. شوقي عطا الله الجمل ؛ د. عبدالله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

٣ـ محمود شاكر ، مرجع سابق ص ١٠٧ .

٤ـ د. شوقي عطالله الجمل ، د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧

٥ـ محمود شاكر ، مرجع سابق ص ١٠٨ ، ١٠٩.

٦ـ منار الإسلام عدد ٩ ص ٣٥ .

٧ـ د. عبدالعزيز نوار، مرجع سابق ص ٤٣٣ ـ ٤٤٧.

٨ـ نفسه مرجع سابق ص ٤٤٨.

٩ـ د. على جريشة ، مرجع سابق ص ٧١ .

١٠ـ د. جميل المصري، مرجع سابق ص ١٩٩ ـ ٢٠١ .

١١ـ د. عادل طه يونس، مرجع سابق ص ١٤٤ .

١٢ـ د. جميل المصري، مرجع سابق ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

١٣ـ د. عادل طه يونس، مرجع سابق ص ١٧٥ ، ١٧٦.

١٤ـ نفسه، مرجع سابق ص ١٧٧.

١٥ـ يوسف البدري ، ص ١٠٥

١٦ـ محمود شاكر ، مرجع سابق ص ١٢١ ـ ١٢٣.

١٧ـ يوسف البدري ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

١٨ـ منار الإسلام : العدد التاسع ، رمضان ١٤١٨ ـ يناير ١٩٩٨ ـ المؤتمر السادس لوزراء الشؤون الإسلامية ، دار الأوقاف بإندونيسيا ، ص ٣٥ ـ ٥١.
١٩ـ د. عادل طه يونس ، مرجع سابق ص ١٤٦.
٢٠ـ د. على جريشة مرجع سابق ص ٧٢.
٢١ـ جميل المصري ، جـ ٢ ، مرجع سابق ص ٦٤٠.
٢٢ـ نفسه ، جـ ١ ، مرجع سابق ص ٢٢٣.
٢٣ـ د فرغلى علي تسن : الرأسمالية اليهودية وأثرها على الحركة الصهيونية والتنظيمات الشيوعية ١٨٩٧ ـ ١٩٣٧ (في مصر) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، إسكندرية ٢٠٠٢ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨
٢٤ ـ محمد عبدالله عنان : الصهيونية ـ نشأتها وتطورها قبل عهد بلفور ، مجلة الرسالة ، عدد ٢٢ في ١٤ /١٢/ ١٩ ص ٢٢ .
٢٥ ـ إيمانويل هيمان ، ترجمة ، سعد الطويل : الأصولية اليهودية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٨٥ .
٢٦ ـ د. فرغلى علي تسن : مرجع سابق ص ١٦٨ ، ١٦٩
٢٧ـ د. جمال حمدان : اليهود ، دار الهلال ، طبعة ثانية ، ١٩٩٦ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥
٢٨ـ د . فرغلى على تسن : مرجع سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
٢٩ـ محمد عبدالله عنان : مرجع سابق ص ٢٢ .
٣٠ـ د. فرغلى علي تسن : مرجع سابق ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤.
٣١ـ محمد عبدالله عنان : مرجع سابق ص ٢٢ .

٣٢ـ الأهرام في ١٩٠٢/١٠/٧ ، د. جمال حمدان : مرجع سابق ص ٦٩ ، ٧٦ ، د. فرغلى على تسن ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ ، عبدالسميع سالم الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ، الهيئة المصرية العام للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٨١

٣٣ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٠ ـ ٢٤٥ .

٣٤ـ د. عبدالمنعم ابراهيم الجميعي : مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

٣٥ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

٣٦ـ إدارة الإعلام العام ، حقائق أساسية ، عن الأمم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٠ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ ، بيتز مانسفيلد : مرجع سابق ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، د. الجميعي : مرجع سابق ، ص ٣١

٣٧ـ د. جلال يحي : العالم العربي الحديث ، منذ الحرب العالمية الثانية ـ دار المعارف ، ١٩٨٥ ص ٢٤٨ .

٣٨ـ د. فرغلى علي تسن : موقف الحكومة المصرية من النشاط السياسي للطلاب ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ ، وللمزيد أنظر ، نفس المؤلف : الرأسمالية الأجنبية في مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٥٧ جـ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠٠٢ ، ص ١٣٧.

٣٩ـ د. عبدالمنعم الجميعي : مرجع سابق ، ص ٣١ ، ٣٢ Jhon Marlowe :Anglo Egyptian Relation ١٨٠٠ –١٩٥٣ , london ١٩٥٤ , p ٣٢٦

٤٠ـ مارسيل كولومب ، ترجمة ، زهير الشايب : تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠ ، مكتبة مدبولى ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٤١ـ بيتر ما نسفيلد : مرجع سابق ، ص ٤١٥ ، ٤١٦

٤٢ـ نفسه ، ص ٤١٦.

٤٣ـ د. عادل حسن غنيم : الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، مرجع سابق ص ٣٩ .

٤٤ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ص ١٥٨ ـ ١٦١ .

٤٥ـ د. عبدالله الأشعل : مرجع سابق ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

٤٦ـ د. رأفت الشيخ ، د. محمد رفعت عبدالعزيز : مرجع سابق ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ .

٤٧ـ العربي ، العدد ٤١٠ ، رجب ١٤١٣ هـ ـ يناير ١٩٩٣ م ، مرجع سابق ص ٥٠ .

٤٨ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

٤٩ـ د. على جريشة : مرجع سابق ص ١٥٦ ـ ١٥٨ .

٥٠ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

٥١ ـ عثمان صالح سبي : تاريخ أريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، طبعة ثانية ، ١٩٨٤ ، ص ١١٦ ـ ١٢٠ ، ١٥٣ ـ ١٥٧ .

٥٢ـ د. على جريشة : مرجع سابق ص ١٤٦ .

٥٣ـ جون هاتسن : ترجمة ، عبدالعليم السيد منسي : تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، مصر ١٩٦٩ ، ص ١٦٣ .

٥٤ـ د. على جريشة : مرجع سابق ص ١٤٧ .

٥٥ـ جون هاتسن : ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، د. إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر مرجع سابق ، ص ٢٥٦

٥٦ـ عثمان صالح سبي : مرجع سابق ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

٥٧ـ د. على جريشة : مرجع سابق ص ١٤٨ .

٥٨ـ عثمان صالح سبي : مرجع سابق ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

٥٩ ـ د. جميل المصري: مرجع سابق جـ ٢ ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢

٦٠ ـ د. شوقي عطالله الجمل : د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم: مرجع سابق ص٣٣.

٦١ ـ د. جميل المصري: مرجع سابق، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥.

٦٢ ـ د. عبدالله الأشعل : مرجع سابق ، ص ٧٢ ـ ٧٨

٦٣ ـ د. تاج السر : مرجع سابق ص ٢٢٢، ٢٢٣.

٦٤ ـ د. جميل المصري : مرجع سابق ص ٤٤١ ـ ٤٤٥ ، ٤٥٣ ـ ٤٥٥

٦٥ ـ نفسه، مرجع سابق ص ٤٣٠ ـ ٤٣١، ٤٦٢ ـ ٤٦٧ ، ٤٧١ ـ ٤٧٣

٦٦ ـ د. على جريشة : مرجع سابق ص ١١١.

٦٧ ـ مجلة العربي، العدد ٤١١ ، شعبان ١٤١٣ هـ ـ فبراير ١٩٩٣ م، د. على نور زاده : مسلمو آسيا الوسطي، مرجع سابق ص ٣٩، ٤٢، ٤٣.

٦٨ ـ د. جميل المصري ، مرجع سابق ص ٥٩٣ ـ ٦٠٥

٦٩ ـ د. عبدالله الأشعل، مرجع سابق ص ٤٩، ٥٦، ٥٧، ١٠٤، ١٠٥.

٧٠ ـ د. جميل المصري ، مرجع سابق ص ٦٠٧ ـ ٦٠٩ .

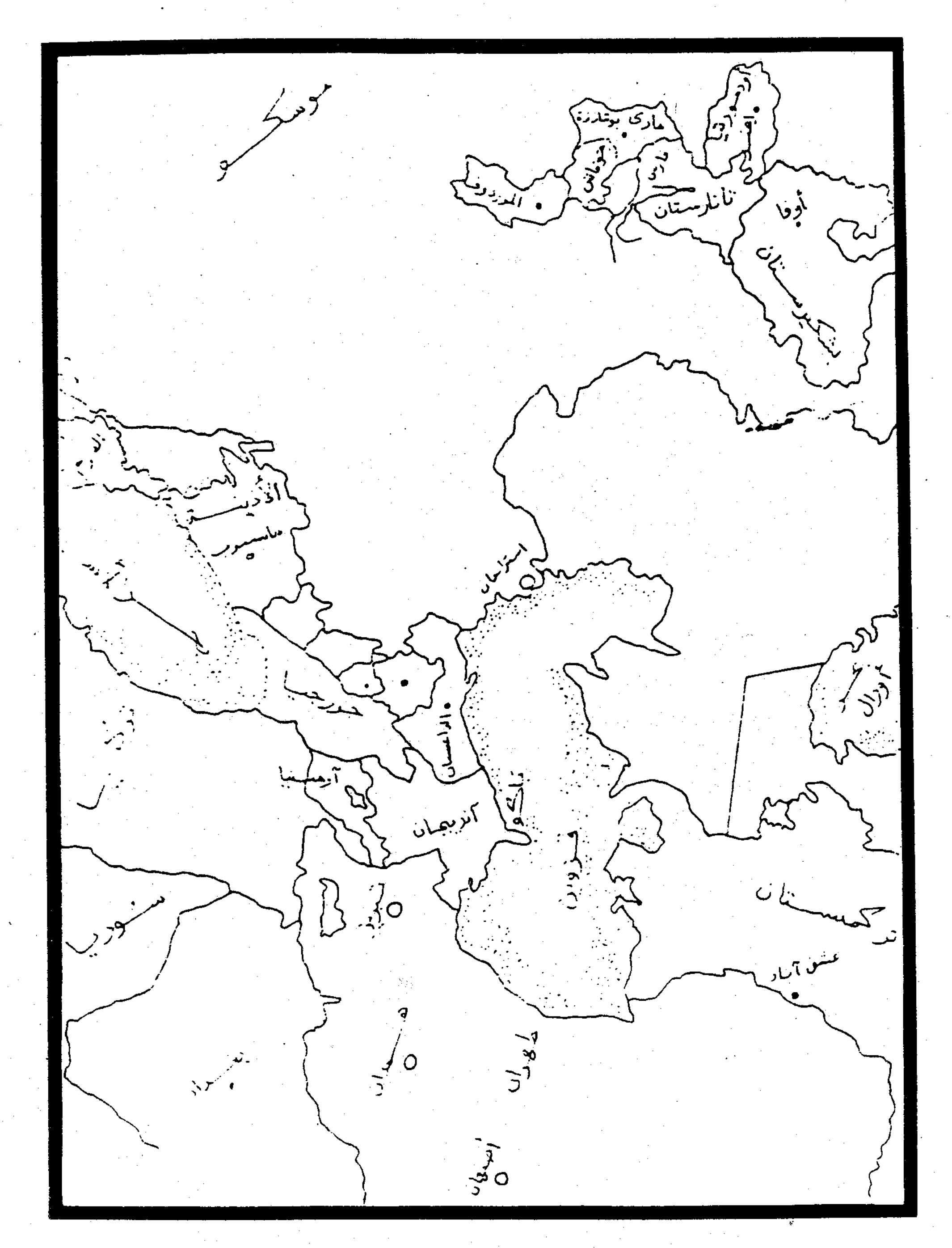
٧١ ـ مجلة العربي، العدد السابق، دوروتا متولى : المسلمون في بولندا مرجع سابق ص ٩٠، ٩١.

٧٢ ـ د. جميل المصري: مرجع سابق ص ٦١٠ ـ ٦١٢.

الفصل السادس

الحلول المقترحة لحل المشكلات الراهنة في العالم الإسلامي

- ترابط المسلمين والتضامن الإسلامي.
- التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- توجيه الاقتصاد الإسلامي توجيها يخدم حاضر العالم الإسلامي.
- الأخذ بأسباب النهضات الحديثة بما يتطابق مع مبادئ الشريعة الإسلامية .



الجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية ضمن روسيا الاتحادية

مشكلات العالم الإسلامي كثيرة ، وقد تم التعرض لها في الفصل السابق، ولكن... ألم يكن هناك حل؟

الواقع أخذ المسلمون يعون هذه المشكلات بشكل متزايدة ويدركون اتصالها بكافة مجالات الحياة، والأمة التي تدرك مشكلاتها، تستطيع أن تجد لها الحلول، كما أن الحلول كثيرة ، ويمكن الفصول إليها من خلال الجهد الفكري في أثناء المؤتمرات والندوات واللقاءات بين المتخصصين المسلمين لمناقشة هذه المشكلات ووضع الحلول لها، وإذا ما وصل المسلمون إلى حلول استطاعوا أن يخرجوا من مآذق كثيرة، مثل: تجنب النفوذ الاستعماري والصهيوني، والقضاء على الفقر والجوع والمرض والجهل، وما إلى ذلك. ويمكن تقديم مؤشرات عامة لهذه الحلول في الصفحات التالية:

التضامن الإسلامي

تنبه المسلمون إلى خطورة تفرقهم، وإلى عوامل ضعفهم، وإلى أهمية وحدتهم وتآلفهم والتقائهم فارتفعت الأصوات تنادي بأهمية التقاء المسلمين للتشاور والتفاهم في شتي المجالات.

وجربت القوى المسلمة التكتلات الأقليمية الوطنية والقومية، وأشهرها الحلف المركزي الذي ضم تركيا وإيران وباكستان ، والجامعة العربية التي ضمت الدول العربية جمعاء ، ودول عدم الانحياز ومؤتمراتها التي ضمت كثيرا من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومنظمة الوحدة الأفريقية وغيرها.

وفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م شهدت مكة المكرمة أول مؤتمر إسلامي قام بالدعوة إليه الملك عبدالعزيز آل سعود، وكان هذا المؤتمر بمثابة بدء المحاولات الإسلامية نحو الاتحاد، كما شهدت الساحة الإسلامية ظهور جماعات إسلامية كثيرة مثل جماعة

الأخوان المسلمين في مصر عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م والجماعة الإسلامية في الهند التي أسسها الأستاذ المودودي عام ١٩٣٨ وسبق ذلك الجامعة الإسلامية التي دعت إليها الخلافة العثمانية، وكانت جميعها محاولات عملت قوى الشر على ضربها بشتى السبل والوسائل.

ولا ينكر أحد أن الشعوب الإسلامية في عصرنا الحاضر متفرقة ومتنازعة فيما بينها، إلا أن هذا يعد مرحلة في تاريخ المسلمين شأنهم في ذلك شأن بقية الشعوب والأمم الأخرى. ولا يعني ذلك أنهم سيظلون كذلك إلى الأبد ، وكما استطاعت الشعوب الأوربية أن تتغلب على عوامل الفرقة والتنازع فيما بينها والتي أدت إلى حربين عالميتين شهدهما القرن العشرون ـ فإن الشعوب الإسلامية سوف تستطيع في مستقبل الأيام أن تتغلب أيضاً على عوامل الفرقة فيما بينها بإذن الله.

وهناك محاولات مستمرة في هذا الصدد وإن كانت بطيئة وذات تأثير محدود ومتواضع، ولعل من هذه المحاولات منظمة المؤتمر الإسلامي، وغيرها من منظمات إسلامية أخرى للوصول بها إلى مرحلة متقدمة من التعاون الأوثق وللأمة الإسلامية في تعاليم الإسلام في الوحدة والتعاون والتآلف والتكامل أعظم سند يضمن لها نجاح هذه المحاولات في مستقبل الأيام.

ولا شك أن هذه المحاولات تستند إلى كون الإسلام في مصادره الأصلية يدعو إلى الوحدة والتضامن، ويحذر من الفرقة والتنازع: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: ١٠٣) ويدعو إلى جعل الأمة مترابطة برابطة الأخوة (إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات: ١٠)، وقد كان لهذه الأمة في رسول الله ﷺ أسوة حسنة عندما آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة.

وهناك أسباب خارجية أدت إلى الانقسام والفرقة بين المسلمين في العصر الحديث، وترجع هذه الأسباب إلى الفترة التي هيمن فيها الاستعمار على بلدان العالم الإسلامي كما سبق أن أوضحنا في فصول هذا الكتاب.

وعندما رحل الاستعمار ترك مشكلات عديدة كان هو سبباً فيها مثل مشكلات الحدود، وكانت القاعدة التي على أساسها خطط لسياساته إرساء مبدأ "فرق تسد"، ومن هنا عمل على إحياء العصبيات العرقية بين شعوب البلاد المستعمرة وقام بنهب خيرات هذه البلاد، وأدى ذلك إلى إفقارها وتخلفها الحضاري الذي لا تزال آثاره باقية حتى اليوم، ولا تزال معظم شعوب العالم الإسلامي تعاني من المشكلات التي خلفها الاستعمار.

أنشغل المسلمون بالمشكلات الكثيرة التي خلفها الاستعمار وغفلوا عن تعاليم الإسلام في الوحدة والتضامن.

ولكن الشعوب الإسلامية لا تزال تحن إلى وحدة جهودها، وتضامنها فيما بينها، ولا يزال المسلم في أي بلد إسلامي يشعر بالآم المسلمين في مناطق العالم المختلفة بوصفه جزءاً من الأمة الإسلامية، وهذا من شأنه أن يعمل على توفير أساس راسخ لمحاولات إعادة التضامن والوحدة بين أقطار العالم الإسلامي.

ولا يجوز الخلط بين الإسلام والواقع المتدني للعالم الإسلامي المعاصر، فالتخلف الذي يعاني منه المسلمون يُعد مرحلة في تاريخهم ولا يجوز أتهام الإسلام بأنه وراء هذا التخلف، كما لا يجوز إتهام المسيحية بأنها وراء تخلف دول أمريكا اللاتينية[1].

وقد تبني الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الدعوة إلى التضامن الإسلامي للوقوف في وجه المخططات الاستعمارية ولم شمل المسلمين ومجابهة الغزو الفكري بكافة أشكاله، وقام من أجل ذلك بعد جولات في البلاد الإسلامية كالمغرب

وغينيا ومالي وتونس والجزائر والسنغال وغيرها، كما أرسلت المملكة عدة بعثات لأفريقيا، وأستقبلت مئات الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والجامعات الأخرى بالمملكة العربية السعودية، وكان من نتائج هذه الدعوة ما يلي:

١ـ تنبهت الدول الأفريقية للخطر الصهيوني الذي تسعي منذ عام ١٣٧٦ هـ وبعد احتلال إسرائيل لمضائق تيران وخليج العقبة وصارت السفن اليهودية تسير في البحر الأحمر والمحيط الهندي وتتصل مباشرة بدول أفريقيا، وبعد اتصالات الملك فيصل قطعت عدد من الدول الأفريقية علاقاتها السياسية مع الدولة الصهيونية.

٢ـ أنشئ البنك الإسلامي للتنمية ليسد الفراغ في مساعدة الدول الأفريقية النامية، وليقوم بمشاريع التنمية الاقتصادية على أسس خالية من المعاملات الربوية.

٣ـ أنشئت الأمانة العامة للدول الإسلامية بجدة، بعد انعقاد عدة دورات لملوك ورؤساء الدول الإسلامية (منظمة الدول الإسلامية) فعقدت عدة مؤتمرات قمة إسلامية أسفر الثالث منها عن تأسيس لجمع القمة الإسلامية في مكة المكرمة.

٤ـ أنشئ المجلس الأعلى للمساجد وبدأ العمل في التنسيق بين مؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي ورعاية المساجد وعمارتها وتكوين الدعاة.

٥ـ عقد في السنوات الأخيرة العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية بين قادة الفكر الإسلامي للتداول في شئون المسلمين، ومد يد العون إلى الشعوب والأقليات الإسلامية التي تعاني من الظلم والاضطهاد، كما أنشئ معهد شئون الأقليات المسلمة التابع لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة لخدمة الأقليات المسلمة ودراسة مشكلاتها. وأنشئت إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة لخدمة الإسلام وقضايا الأقليات المسلمة أيضا، وأصبحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تجمعا كبيرا لأبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض(٢).

وتبرز أهمية الترابط الإسلامي من خلال قيام وحدة إسلامية، فالثروات المتعددة في العالم الإسلامي تجعل منه قوة كبرى، فالظروف الجغرافية المتنوعة والحجم الهائل من التعداد السكاني الموزع على العديد من الدول الإسلامية، ووجود مصادر الطاقة والثروات المعدنية، والجامعات ومراكز البحوث يهيئ إنتاج العديد من الصناعات الكبرى، وهذا يسد حاجة الشعوب الإسلامية من المنتج بدلاً من اللجوء إلى الدول الأخرى للاستيراد.

وهكذا يؤدي الترابط الإسلامي إلى فتح باب التجارة الداخلية بين الدول الإسلامية، ولابد أن يكون للمسلمين نقد موحد للتعامل به فيما بين الأقاليم الإسلامية، ولهذا أهميته حيث إنه يمكن للدول الإسلامية التحكم في النقد العالمي، بل يمكنهم أيضاً إسقاط قيمة أي عملة أخرى وينبغي أن يكون هناك دينار إسلامي يدفع به ثمن صادرات الدول الإسلامية، ففي فترة ماضية أعلنت المملكة السعودية أنها لا تريد أن تأخذ ثمن ريع بترولها بالجنيه الأسترليني، فسقطت قيمة الجنية الشرائية في الأسواق العالمية خلال ساعات، فاضطر وزير المالية البريطاني أن يهرع إلى الرياض ويقابل الملك فيصل (رحمه الله) ويطلب منه إنقاذ بريطانيا بتصريح واحد يعلن فيه أن الجنيه الأسترليني سيبقى ساري المفعول في دفع ثمن ريع البترول.

ولابد من وجود مصرف إسلامي مركزي موحد، ويكون له فروع في كل بلد إسلامي، لتبادل النقد وتمويل المشروعات، ويحتم ذلك إدخال الأموال الإسلامية واستثمارها في البلاد الإسلامية بدلا من المصارف الأجنبية، كما أنه لابد من وجود وحدة إسلامية حقيقية وحكومات إسلامية تتفق على رعاية مصالح المسلمين[٣].

وإن العالم الإسلامي في حاجة ماسة إلى التضامن وهذا يمكن تحقيقه بالثقافة التي تعد العنصر الأساسي في تشكيل المجتمع، ولتحقيق مفهوم تضامن الأمة الإسلامية، يجب أن نحرز هدف التضامن الثقافي.

وفي المؤتمر السابع لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي في استانبول وبإيعاز من العاهل السعودي - الملك فيصل بن عبدالعزيز اقترحت حكومة تركيا إنشاء مركز لأبحاث التاريخ والفنون والحضارة الإسلامية، وطلب من الوفد التركي تقديم دراسة مفصلة عن الموضوع ، وفي آخر الأمر ظهر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والحضارة الإسلامية إلى الوجود في استانبول.

وبدعم مالي " بصورة رئيسية من الحكومتين التركية والعربية السعودية وعدد من المحسنين المسلمين، أنشأ المركز مكتبة ممتازة في قطر "يلدز" الخاص بآخر السلاطنة العثمانيين الأقوياء عبدالمجيد، وتشمل المكتبة مراجع مثل الموسوعات وبيانات بالكتب والفهارس وخرائط ومجموعات من الصور النادرة، وما مجموعة ٥٠,٠٠٠ مجلد في سبع وعشرين لغة[٤].

التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة

تواجه الأمة الإسلامية مخاطر متنوعة تهدد وحدتها، وتقف حائلاً دون تقدمها، وهذه المخاطر هي:

١- الفرقة والتنازع والصراعات المدمرة التي تعد مدخلاً خطيراً لأنهيار وحدة الأمة الإسلامية، سواء كان هذا التنازع والتفرق في أمور الدين، أو السياسة والملك، أو بسبب الفوارق أو الصراعات القبلية أو العرقية، التي تحيي ما كان قائماً في الجاهلية، وقد جاء التحذير الإلهي بالحث على التمسك بالوحدة، والحذر من التفرق وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقد تؤدي الفرقة والصراعات إلى ضعف المسلمين وضياع عزتهم ومنعتهم، وبذلك يكونون لقمة سائغة في يد أعدائهم، وتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قطتها.

٢ـ كما يحذر الإسلام من موالاة الأعداء قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (آل عمران: ١١٨).

إن صلاح الأمة الإسلامية لن يتم إلا بإرادة أبنائها، فإذا صحت إرادة الأمة وصدقت العزائم وخلصت النيات فلا شك أن الله سبحانه وتعالى: سيكون مع هذه الأمة بالتأييد والنصر(٥).

ولابد أن تتجه الأمة الإسلامية إلى التمسك بعقيدتها الإسلامية الصحيحة، وذلك هو الطريق الوحيد إلى استرداد قوتها ومجدها، فالتسلح الإيماني المعنوي قبل التسلح بالسلاح، والأساليب المادية الأخرى، وعلى قادة الأمة وعلمائها ودعاتها أن يغرسوا الإسلام والإيمان من جديد في قلوب أبنائها، ويعملون على ربطهم بقرآنهم، وسيرة سلفهم الصالح، وفهم مبادئ الإسلام الصحيح، وقيمه وأحكامه، وهناك من المؤسسات الدينية التي تقود العالم الإسلامي في هذا الاتجاه، وتعمل على نشر مفاهيم ومبادئ الإسلام الصحيح.

إلا أنه من الضروري أن تتحد جهود المؤسسات الإسلامية للمحافظة على نقاء الشريعة الإسلامية، والدفاع عنها في مواجهة أعدائها والمسيئين إليها، فالإسلام دين واضح، ليست فيه أسرار يختص بها بعض الناس دون سائر الناس، والتسامح في الإسلام هو جوهر العقيدة، والأمر الإلهي للمسلمين: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)، وقولــه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)[٦].

ومما لا شك فيه أن النصر الذي أحرزه المسلمون في حروبهم الماضية لم يكن بسبب الكثرة العددية أو القوة في السلاح والعتاد، وإنما جاء بقوة المسلمين في تمسكهم بعقيدتهم الإيمانية فقدموا الشهادة في سبيل العقيدة، على الحياة فدانت لهم الدنيا واتسعت دولتهم وعظمت قوتهم.

ويرى الشيخ محمد عبده، "أن بإمكان المسلمين أن يلحقوا بركب التقدم الأوربي، إذا ما انطلق الفكر الإسلامي من عقاله، بممارسة التفكير العقلي وتبني العلوم الأوربية، وهي العلوم التي أسهم فيها المسلمون أنفسهم في الماضي[٧]، ولا يعني ذلك بطبيعة الحال إهمال العلوم الشرعية، فهذان خطان متلازمان.

وما أحوج المسلمين إلى التمسك بعقيدتهم، فإن تشريعاتها وتعاليمها ومناسكها توفر لهم حياة نظيفة لكل فرد في مطعمه وشربه وملبسه وبيعه وشرائه، فالعقيدة تقود إلى رسوخ المبادئ والحقائق التي أمر بها الله تعالى، وتؤكد لدى المسلم المبادئ الخاصة بوجود الله، وعالم الغيب الذي يقابل عالم الشهادة، إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره[٨].

وما ذهبت قوة المسلمين ولا ضعفت إلا بانحرافهم عن عقيدتهم، وبقدر ما نزعت العقيدة من قلوبهم، وبعدوا عنها بقدر ما تزعزع سلطانهم وبعد عنهم عزهم، وأصبحوا لقمة سائغة لأعدائهم من الأمم الأخرى، إن العقيدة الإسلامية كانت ولا تزال مصدر خير وفلاح وسعادة للأمم التي رعتها حق رعايتها، واتبعت هداها[٩].

ولابد للمؤمن الموحد بالله تعالي أن يدرك سنن العقيدة الصحيحة التي هي أصل الدين والتي هي الركن الركين والتي هي أساس الملة ، ولا تقبل الأعمال والأقوال

إلا إذا صدرت عن عقيدة سليمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥)[١٠].

وواجب الحكومات الإسلامية الدفاع عن دين الله بتدريب العلماء والدعاة المؤهلين علمياً ولغوياً وعقدياً لمحاورة المثقفين في دول الغرب، وتصحيح معلوماتهم عن المسلمين، وعوامل الرحمة والإنسانية والتكامل والتراحم في دينهم الحنيف، ولعل مناخ الحرية في معظم دول العالم المعاصر يكون فرصة طيبة للحكومات الإسلامية لتتضامن وتنشئ لدين الله جهازاً أعلى يرعى دعوته وينصر كلمته[١١].

توجيه الاقتصاد الإسلامي توجيهاً يخدم حاضر العالم الإسلامي

يمكن توجيه الاقتصاد الإسلامي لخدمة شعوب العالم الإسلامي، وخدمة حاضره ومستقبله، وذلك إذا ما التزم المسلمون بالفكر الاقتصادي الإسلامي، وعملوا على تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي في تعاملاتهم وحياتهم الاقتصادية.

والاقتصاد الإسلامي هو كل التوجيهات الإسلامية المتعلقة بالمال والمعيشة وتطبيقها في الحياة، وهذه التوجيهات تدخل فيها بعض العبادات مثل الزكاة، وهي المؤشر للجانب الاقتصادي في الإسلام، وعندما نقول مؤسسة اقتصادية إسلامية نقصد بذلك مؤسسة تطبق كل توجيهات القرآن فيما يتعلق بالمال، وإذا كان المسلمون اليوم يعيشون أزمة اقتصادية طاحنة أدت إلى تخلفهم وتأخرهم، فإن تطبيق منهج الاقتصاد الإسلامي بمفهومه الصحيح كفيل بالقضاء على هذه الأزمة الاقتصادية والنهوض بالمسلمين، ولهذا يجب إنشاء مؤسسات مالية إسلامية تلتزم الضوابط الشرعية في كل حي من أحياء المسلمين وفي كل دولة على اعتبار أن ذلك هو الوسيلة الاقتصادية الشرعية لنهضة المسلمين[١٢].

ولقد أمر الإسلام أن ينتهج المسلم طرق الكسب الحلال، ووسائل التمليك المشروعة، وهي القرض الحسن، ويقوم بأداء الزكاة المفروضة، والصدقة، إلا أن الاستعمار عمل على مخالفة المسلمين لهذه النظم الإسلامية، فاضطر المسلمون إلى القروض الطائلة مما أدى إلى التدخل الأجنبي ووقوع العالم الإسلامي تحت طائلة الاستعمار(١٣).

ويتميز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من النظم الاقتصادية بمجموعة من الخصائص أهمها ما يلي:

١- ربانية المصدر فالاقتصاد الإسلامي مصدره رباني، وليس من فكر البشر، بمعنى أنه يستمد أسسه ومبادئه من القرآن الكريم والسنة المطهرة والجانب البشري فيه هو: التفكير في التطبيق في مختلف العصور.

٢- ربانية الهدف: فالاقتصاد الماركسي هدفه خدمة الدولة دون النظر إلى الأفراد، والاقتصاد الرأسمالي هدفه إشباع الرغبات الخاصة للأفراد أما الاقتصاد الإسلامي فإنه يرتبط بالناحية الربانية، بمعنى أن له أهدافاً إنسانية تجمع بين المادة والروح، والدولة والفرد، وتحقق مصالح المجتمع بكافة مؤسساته وأفراده.

٣- يجمع بين الثبات والمرونة ، فأي نظام وضعي تجده يتغير كونه من صنع البشر، أما الاقتصاد الإسلامي فيجمع بين الثبات والمرونة فهو ثابت مثلاً في تحريم الربا، ومرن ومتطور في بحث وإيجاد نظم الشراكات والإقراض والضمان المالي... إلخ.

٤- ضمان حد الكفاية لكل مسلم: ونعني به المستوى اللائق للمعيشة مما يختلف باختلاف المكان والزمان.

وللأزمة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية أسباب متعددة تتعلق بتغيب العقل السليم المسلم عن دور الشراكات في نهوض الأمة الإسلامية، وغياب الهوية الإسلامية في كثير من المعاملات الاقتصادية وغير الاقتصادية.

ولا شك أن النتيجة الحتمية للبعد عن المنهج الإلهي في حل مشكلات المسلمين الاقتصادية هو تحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ٢٤)[١٤].

فإذا تمسك المسلمون بدينهم، وطبقوا أحكامه سواء في الاقتصاد أو غير الاقتصاد لوجدوا ضالتهم، وعاشوا في خير وسعادة، وأصبحوا سادة في بلادهم، بدلاً من أن يكونوا أتباعاً للغرب، فهناك أربعة مقومات يقوم عليها النهوض الاقتصادي في ضوء مبادئ الإسلام ليخدم حاضر العالم الإسلامي وهي:

١- البعد البشري أو الإنساني: حيث لا يمكن لأي مشروع اقتصادي أن ينجح ما لم يؤمن به الناس ويعملوا بقناعة على تحقيقه.

٢- البعد الاجتماعي: أي نهضة اقتصادية لابد أن يكون هدفها جعل المجتمع يشعر بالسلام والاستقرار، وينعم أفراده بحياة خالية من النقائض والمتاعب والفساد والانحراف والفقر والجوع.

٣- البعد الإيماني: الذي يتجلى في أن المال هو عصب العمل الاقتصادي، المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وعندما يقوم الإنسان بأي عمل اقتصادي مالي فهو مطالب بأن يرعى الله تعالى ويتبع التعاليم التي جاء بها الشرع الحنيف حتى يكون جديراً بالاستخلاف.

٤- التقوى: فهي أساس أي عمل اقتصادي، يكفي أنها تحقق الوعي بمبدأ مراقبة الله في السر والعلن، وهي التي توقظ الضمير الإنساني وتجعله يفعل الحلال ويبتعد عن الحرام لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، ولو لم توجد التقوى فلن تجدي الرقابة الإدارية[١٥].

الأخذ بأسباب النهضات الحديثة بما يتطابق مع مبادئ الشريعة الإسلامية

سبق القول أن العلم هو سر تقدم الغرب، ولا سبيل للحاق بركب الحضارة العالمية إلا بأخذ هذا العلم الغربي المتقدم، وسبق للمسلمين أن كانوا متقدمين علمياً في الماضي ونجحوا في تحقيق نهضة هائلة أخذ عنها الغرب في بداية حموته.

كما أن تأخر المسلمين عن ركب النهضة الحديثة ناتج عن تخليهم عن إحدى المميزات الأساسية للإسلام، وهي التوافق التام بين العقيدة وبين ضرورات الحياة، فالإسلام دين يحض على العلم والتعلم، وهو دين لا يتعارض مع العلم الحديث الذي هو أساس النهضة الأوربية الحديثة، وقد لجأت الشعوب التي تعرضت للتدخل الأجنبي وعانت من صدمة الاحتكاك بالغرب في بادئ الأمر إلى الاحتماء بالإسلام، والإسلام في هذه الحالة هو إسلام الأنظمة والأخلاق والعقيدة، ثم مال المسلمون بعد ذلك إلى التكيف مع العالم الحديث.

والتمسك ببعض الأصول الحضارية التي تتمشى مع السلوك الإسلامي، والاستعانة بها في تحريك الأمة إلى التجديد الحضاري لا يعيب الرجوع إلى الماضي، والتمسك بالتقاليد العتيدة طالما لا تتعارض مع أصول الدين الحنيف.

أن العالم الإسلامي لن يتجاوز أزمة الجوع والفقر والتخلف إلا بالاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة التي تحتاج إلى تهيئة اجتماعية وتعليمية، فقد تأخذ الكثير من وقت دول العالم الإسلامي التي يرزخ معظم سكانها تحت ظهور الأمية والجهل، ولكن لا مفر من مواجهة التحديات والأخذ بأسباب النهضة الحديثة، بما يتوافق مع الشرع الإسلامي.

ويأتي ذلك من خلال ترجمة الكتب العلمية الكبرى في شتى مجالات التخصص التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية سواء باللغة العربية أو اللغات الأخرى السائدة في المجتمعات الإسلامية.

ولابد من إنشاء هيئات أو مؤسسات لتحقيق هذا الغرض ، وهو نقل الحضارة العالمية إلى اللغة العربية أو الأردية أو غيرها، فالحضارة الإسلامية أسهمت في الحضارة الأوربية الحديثة، التي قامت على ترجمة علوم المسلمين الأوائل ومعارفهم، فالحضارة الإسلامية هي الأساس المتين للحضارة الأوربية الحديثة.

ولتحقيق الهدف المنشود بالاستفادة من الحضارة الغربية الحديثة، فإن على حكومات العالم الإسلامي أرسال البعثات التعليمية إلى الدول الغربية لتنهل من علومها ، فقد قام بذلك محمد على في مطلع القرن التاسع عشر فأرسى قواعد النهضة الحديثة في مصر من خلال هذه البعثات التي أرسلها إلى أوربا في مختلف التخصصات سواء الطب أو الهندسة أو الزراعة أو التجارة، كما قام بترجمة العديد من أمهات الكتب الأوربية، وساعد ذلك في إنشاء العديد من المدارس المدنية والحربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

ولعل النهضة العلمية في العالم الإسلامي الآن تسير بمعدل جيد، ولكنها تحتاج إلى تطبيق الشرع الإسلامي حتى تأتي ثمارها ، فإذا ما فعل المسلمون ذلك كانوا أصحاب حضارة جديدة، وهذا ليس ببعيد على أصحاب حضارة سبقت الحضارة الأوربية التي نريد اللحاق بها.

ويحتاج المسلمون عند التعامل مع الغرب إلى خطوط دفاع عقدية يتمسكون بها لتمييز الغث من الثمين، وللتحاور مع الغرب في أثناء الأخذ من حضارته، وللرد على الحملات الشرسة التي كثيراً ما تثار لتشويه الإسلام، لذا يتوجب على المسلمون القيام بما يلي :

١ـ رصد الحملات التشويهية التي تثار ضد الإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية، ومن خلال المقررات والكتب الدراسية والعلمية والاحتجاج على كل ذلك في كل مناسبة، وتفنيد جوانب هذه المزاعم والحملات.

٢ـ التفكير في ربط جسور التعاون والتواصل بين وسائل الإعلام العربية والشبكات الإعلامية الغربية المهيمنة على مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، وذلك في إطار اتفاقات تعاون وتفاهم مشتركة وتفادي أسباب الاستفزاز وإثارة المشاعر.

٣ـ الإفادة من بعض الكفاءات الفكرية المتميزة العاملة بالديار الغربية والتي يؤمل أن يكون لها دور فاعل في تصحيح المفاهيم حول الإسلام وتحسين صورته عن طريق التحاور والتفاهم، وبخاصة المسلمون ذوو الأصول الأوربية والأمريكية لأنهم أفضل الناس تحاوراً وتواصلاً في هذا المجال لدرايتهم بطبيعة المحاور الغربي وطريقة تفكيره.

٤ـ استغلال شبكة الإنترنت لتقديم معلومات دقيقة، عن مختلف القضايا الإسلامية التي يكثر حولها الجدل(١٦).

إن الإعلام في مفهوم الإسلام هو محاولة توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس ليتجنبوا شروراً سوف تصيبهم في العاجل أو الآجل، وإذا كان الإعلام هو الوسيلة الأولى للاتصال بالمخاطبين، فإن الوسيلة في الإسلام يجب أن تتبع الغاية في شرفها، فإن الوسائل في منهج الإسلام لا تنفصل عن الغايات(١٧).

هوامش الفصل السادس

١ـ ج.م.ع وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية العدد ٧١ ، القاهرة ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ط ٣، د. محمود حمدي زقزوق : حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ، ص ١٤١ ـ ١٤٤، ١٤٧ ، ١٤٨.

٢ـ د. جميل المصري، مرجع سابق ص ٦٣٠ـ٦٣٢.

٣ـ الوعي الإسلامي، العدد ٣٩٠، صفر ١٤١٩ هـ/ يونيو ١٩٩٨م ص ٦١.

٤ـ د. عبدالله الأحسن، ترجمة د. عبدالعزيز بن إبراهيم الفايز، منظمة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسة إسلامية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

٥ـ الأزهر، ذي الحجة ١٤٢١ / مارس ٢٠٠١ جـ ١٢ ، مقومات وحدة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، مقال للدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ١٧٩٨ـ ١٨٠٢.

٦ـ رجب البنا، مرجع سابق ص ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٧ـ د. جمال المرزوقي: الاتجاه العقلي من الإمام محمد عبده ، بحوث ودراسات عن الشيخ محمد عبده، مرجع سابق ص ٣٠٨.

٨ـ يوسف البدري، مرجع سابق ص ٨٠، ٩٦.

٩ـ د. أحمد محمود فؤاد ، ص ٩٢، ٩٣.

١٠ـ الأزهر، رمضان ١٤٣٣ هـ، نوفمبر ٢٠٠٢ جزء ٩ السنة ٧٥ ص ١٤٩٢.

١١ـ منار الإسلام ، العدد التاسع ، رمضان ١٤١٨ هـ / يناير ١٩٩٨ م ، ص ٥٨ ، ٥٩

١٢ـ الوعي الإسلامي العدد ٤٤٤ في شعبان ١٤٢٣ هـ / أكتوبر ـ نوفمبر ٢٠٠٢ م
١٣ـ يوسف البدري ، مرجع سابق ص ٥٣.
١٤ـ الوعي الإسلامي، العدد السابق ، ص ٤٥، ٤٦.
١٥ـ الوعي الإسلامي، العدد السابق، ص ٤٦.
١٦ـ الوعي الإسلامي ، العدد ٤٢٥ في محرم ١٤٢٢ هـ ، مارس /إبريل ٢٠٠١ ، ضرورة مواجهة حملات تشويه صورة الإسلام في الغرب ، مقال للدكتور / حسن عزوزي ـ ص ٣٨ ـ ٤٠.
١٧ـ نفسه، القيم الحضارية للإعلام الإسلامي، محمد حسانين، انتفاضة الأقصى المبارك، ص ٣٤ ، ص٦ .

الفصل السابع

بشائر الصحوة الإسلامية المعاصرة ودور المملكة العربية السعودية

- رابطة العالم الإسلامي ومؤسساتها.
- المؤسسات الثقافية والتعليمية الإسلامية.
- الإذاعات الإسلامية المتخصصة.
- النشاط الإسلامي في الدول الأوربية.

مما لا شك فيه أن هناك من البشائر والأدلة على صحوة إسلامية معاصرة ظهرت مع إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي لمناقشة أوجه الفراغ الذى خلفه إلغاء الخلافة العثمانية، فقد شغل القادة السياسيون والعلماء أنفسهم بنقاش حول كيفية ملء الفجوة التى أوجدها إلغاء مؤسسة مكملة للجماعة الإسلامية، وكان ذلك من خلال عقد عدد من المؤتمرات ، فالمؤتمر الأول عقد في القاهرة في شوال ١٣٤٤هـ/مايو ١٩٢٦م، وقد وجه نداء إلى كل المسلمين بأن لا يتجاهلوا مسألة الخلافة والتي اعتبرها نموذجا روحيا للإسلام.

وعقد الاجتماع الثانى للقادة المسلمين من أجزاء مختلفة من العالم فى مكة المكرمة في ذي الحجة ١٣٤٤هـ/ يونيو ١٩٢٦م تحت رعاية قائد شبه الجزيرة العربية الصاعد في ذلك الوقت عبدالعزيز بن سعود، وقد عهد القادة المسلمون لابن سعود خلال المؤتمر بمسئوليات إدارة الحج والحجاز، بالإضافة إلى إنشاء مؤسسة دائمة سميت بمؤتمر العالم الإسلامي، وتقرر أن يجتمع هذا المؤتمر سنويا في مكة في موسم الحج.

إلا أن المؤتمر لم يجتمع سنويا، وكان انعقاد المؤتمر التالي والذي مثل فيه المسلمون من كل أنحاء العالم في القدس في ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، وتوالت الاجتماعات، حيث شهدت بداية الفترة من عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م حماسا متجددا ونشاطات للوحدة الإسلامية، فعقد المؤتمر اجتماعه الخامس والسادس في عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م وفى عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م في كل من بغداد ومقديشو على التوالي.

ويذلك يمكن القول بأن الأمة الإسلامية تحاول أن تتجاوز المحن والمصاعب التي اعترضت سبيلها، كما تحاول مواجهة المكائد والمؤامرات التي أحيكت حولها.

وقد تقرر إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي في إحدى القمم الإسلامية، وهى القمة الإسلامية بالرباط في عام ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م وكان ذلك كرد فعل على الجرائم الصهيونية في إحراق المسجد الأقصى، أما عن ميثاق المنظمة فقد تم إقراره في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية بجدة عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ووقعته ثلاثون دولة إسلامية، ثم زاد عدد الدول المشاركة في المنظمة فبلغ في عام ١٩٨٤م نحو ٤٤ دولة إسلامية شاركت في مؤتمر صنعاء عام ١٤٠٥هـ وهو المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية.

وقد تبنى الراحل الملك "فيصل بن عبدالعزيز" (رحمه الله) الدعوة إلى التضامن الإسلامي للوقوف فى مواجهة المخططات الاستعمارية، وقام من أجل ذلك بعدة جولات في البلاد الإسلامية، كما أرسلت المملكة العربية السعودية عدة بعثات لأفريقيا، واستقبلت مئات الطلاب في الجامعات السعودية ومن ثم نشر للدراسة ومن ثم نشر العلم في العالم الإسلامي، وفيما يلي تناول بعض مظاهر الصحوة الإسلامية التي أسهمت المملكة العربية السعودية بدور واضح فيها:-

رابطة العالم الإسلامي ومؤسساتها

وهى منظمة إسلامية عالمية، تمثل جميع الشعوب الإسلامية في كافة أنحاء العالم، وقد انبثقت عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة في ذي الحجة من عام ١٣٨٢هـ/ مايو ١٩٦٢م، ومقر الرابطة مكة المكرمة، ولها مجلس تأسيسي مؤلف من كبار العلماء ورواد الفكر في العالم الإسلامي.

وقد لقيت رابطة العالم الإسلامي كل التشجيع والدعم من حكومة المملكة العربية السعودية، ولها عدة مكاتب منتشرة في كافة أنحاء العالم، والرابطة معترف بها دوليا باعتبارها عضوا في منظمة الأمم المتحدة، ضمن المنظمات غير الحكومية،

كما أنها عضو في منظمة "اليونسكو"، وفى صندوق الطفل العالمى بهيئة الأمم المتحدة.

ويقوم "المجلس التأسيسى للرابطة" برسم سياستها، كما أنه يحدد أهدافها، ويتكون المجلس من ست وخمسين عضوا من العلماء والمفكرين المسلمين، ويجوز زيادة العدد ، والسلطة التنفيذية فى الرابطة هي "أمانتها العامة" ومقرها مكة المكرمة أيضا، والأمين العام - إلى جانب مسئولياته التنفيذية - هو المسئول عن التنظيم والتكوين الإداري والمالى للرابطة، وهو كذلك حلقة الاتصال المباشر بين الرابطة ومختلف الجهات والهيئات العالمية، وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة، ورفع التقارير عن تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي الذي يجتمع مرة واحدة في موسم الحج من كل عام، وقد يجتمع أكثر من مرة في العام في الحالات الاستثنائية.

ولقد كانت هذه المنظمة أكثر نجاحا بصورة نسبية من منظمة المؤتمر الإسلامي، وعندما ووجهت بتحدي القومية العربية التي تزعمها في مصر الرئيس جمال عبدالناصر قام ولى العهد السعودي في ذلك الوقت الأمير فيصل بن عبدالعزيز بنشر فكرة الوحدة الإسلامية المبنية على مفهوم الأمة، وتبنت الحكومة السعودية المؤتمر الإسلامي الدولي المشار إليه سابقا، لمناقشة سبل مكافحة العلمانية في العالم العربي والإسلامي، وحضر المؤتمر مندوبون حكوميون وغير حكوميون في البلاد الإسلامية، وفى هذا المؤتمر تم إنشاء رابطة العالم الإسلامي والتي كان هدفها الأساسي نشاطات نشر الإسلام.

وهذا البرنامج لنشر الدين لم يرض طموح ولى العهد الذي تولى مسئولية الحكم في المملكة العربية السعودية بعد ذلك في ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م إذ استمرت في جهوده لجمع الدول القومية على أساس الهوية الإسلامية بدلا من التجمعات القومية اللغوية والأفكار العلمانية، لكى يبرهن على شرعية جهوده ذكر الملك في بعض

المناسبات: "أنه في هذه اللحظات عندما يواجه الإسلام اتجاهات خفية عديدة تشد المسلمين يمينا ويسارا، شرقا وغربا، نحتاج وقتا لتعاون أكثر وعلاقات أوثق لتمكننا من مواجهة كل المشاكل والصعوبات التي تعوق طريقنا كأمة إسلامية مؤمنة بالله ورسوله وشريعته".

وسافر الملك إلى إيران والأردن والسودان وباكستان وتركيا والمغرب وغينيا ومالي وتونس خلال منتصف الثمانينيات الهجرية/الستينيات الميلادية لنشر فكرة جمع المسلمين تحت سقف واحد، ودعا إلى مؤتمر قمة لكل الدول القومية الإسلامية لمناقشة المشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية[1].

وتتبنى رابطة العالم الإسلامي تحقيق مجموعة من الأهداف من أبرزها ما يلي:

١- تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات عنه.

٢- التصدى للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم.

٣- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم.

٤- دعم الجمعيات الإسلامية التى تعمل على خدمة المسلمين، ونشر الدين الإسلامي في كافة أنحاء العالم.

٥- تقديم الخدمات للمسلمين في جميع دول العالم.

وهناك جملة من الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق أهدافها، ولعل من أهم هذه الوسائل ما يلي:

١- العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية.

٢- الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار العلماء في العالم الإسلامي لتبادل وجهات النظر، وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الإسلامية.

٣- تشجيع الدعاة المسلمين - ماديا ومعنويا- للعمل على نشر الدين الإسلامي وتنسيق جهودهم.

٤- دعم المنظمات والمؤسسات الإسلامية التى لها صلة بالرابطة والعمل معها لخدمة الدعوة الإسلامية.

٥- العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي مما قد يلحق بها من تأثيرات وأفكار غريبة عن روح الإسلام.

٦- نشر التعليم الإسلامي بالمساهمة في إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي، ودعمها في حدود الإمكانات المتاحة.

٧- دراسة مشاكل الأقليات المسلمة، والتعرف على مطالبهم ومد يد المساعدة لهم.

٨- الاستفادة من مناسك الحج في مجال التوعية الإسلامية، وذلك عن طريق المحاضرات والندوات الإسلامية التي تقيمها الرابطة في موسم الحج.

٩- العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة حتى تكون لغة التفاهم بين جميع المسلمين.

١٠- تشجيع التأليف الإسلامي، والاعتناء بالكتب التي تشرح حقائق الإسلام الناصعة، وتشجيع المؤسسات الصحفية، ودور النشر التي تخدم الدعوة الإسلامية.

- وتقوم الرابطة بمهامها عن طريق عدد من الأجهزة من أهمها:

١- المجلس التأسيسي: ويتكون من ٥٦ عضوا من العلماء وقادة الرأي والفكر في العالم الإسلامي.

٢- الأمانة العامة للرابطة: وهى السلطة التنفيذية للرابطة ومقرها الدائم مكة المكرمة، ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات

والتوصيات التي يصدرها المجلس التأسيسي في الداخل والخارج ، ومن مهمة الأمانة النظر فى أحوال المسلمين في كل مكان وخاصة الأقليات الإسلامية.

٣- الجهاز المالي والإداري : وهو المسئول عن أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي.

انشطة رابطة العالم الإسلامي:

بلغ عدد مكاتب الرابطة في كافة أنحاء العالم ٢٥ مكتبا عام ١٤٠٥ هـ، تقوم بتنفيذ قرارات الرابطة في الوقوف على أحوال المسلمين وتعليمهم ودعم الجمعيات الإسلامية ، وتقديم المساعدات لها ، كما بلغ عدد الدعاة التابعين للرابطة في نفس العام ٩٣٦ داعية.

وللرابطة نشاط بارز في تقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين والمتضررين من الكوارث ، وقد أنشأت لهذا الغرض " هيئة الإغاثة الإسلامية " ومقرها مكة المكرمة ، ولها عدة مراكز فى عدد من البلدان الأفريقية والأسيوية ، مثل الصومال والنيجر وبنجلاديش وباكستان وغيرها.

ناهيك عن دور الرابطة في نشر الفكر والوعي الديني ، حيث أنشأت من أجل ذلك مطبعة خاصة ، تقوم بطباعة الكتب والنشرات في هذا المجال ، وقد اهتمت الرابطة بترجمة معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات ، وأنشأت لذلك إدارة شئون وأبحاث القرآن الكريم وترجمة معانيه.

أضف إلى ذلك أن الرابطة تصدر مجلتين : عربية وإنجليزية ، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ، وكتاب دعوة الحق الشهرى ، وتقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

ليس هذا فحسب، فقد أسست الرابطة "المجمع الفقهي الإسلامي"، ويتكون من جماعة من العلماء والفقهاء يتولون دراسة واقع الأمة الإسلامية ومشكلاتها، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها، وإحياء التراث ونشره، وضم المجمع عدة لجان منها: لجنة المصطلحات الفقهية، ولجنة التراث الفقهى، ولجنة البحث العلمي.

وشكلت الرابطة المجلس الأعلى العالمي للمساجد بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م بدعوة من رابطة العالم الإسلامي، وبلغ عدد أعضاء هذا المجلس ٥٥ عضوا يمثلون مختلف الشعوب والأقليات الإسلامية في العالم، ومن أهدافه:

١- تكوين رأى عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.

٢- محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين.

٣- بناء الشخصية الإسلامية فكرا وعقيدة وسلوكا.

٤- العمل على حرية الدعاة وحمايتهم من الاضطهاد.

٥- حماية المساجد من أي اعتداء.

٦- الحفاظ على الأوقاف الإسلامية.

٧- الحفاظ على حقوق الأقليات الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، مظهران من مظاهر الصحوة الإسلامية المعاصرة، فكلاهما دعوتان نشيطتان للتضامن الإسلامي، أسهمت المملكة العربية السعودية في دعمهما ونشاطهما بدور بارز، وكلاهما محاولتان لدرء الأخطار عن الدول والأقليات الإسلامية[٢].

وللارتقاء بأحوال العالم الإسلامي نحو مزيد من الترابط والتضامن والوقوف صفا واحدا أمام المؤامرات الاستعمارية والصهيونية، فالإسلام في دعوته يدعو إلى

الإيمان بعقيدة تحترم الإنسانية كلها وتدعو إلى الوحدة على كلمة سواء وعدم التفرق لأن الوحدة الدينية هي أساس كل خير يرجى للجماعات البشرية، ولذا تركز رابطة العالم الإسلامي على العمل على وحدة المسلمين، بصفة خاصة وفق قوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " (الأنبياء: ٩٢).

المؤسسات الثقافية والتعليمية الإسلامية

اهتمت المملكة العربية السعودية بهذه المؤسسات، ولها دور كبير في هذا المجال، كما أن هذه المؤسسات كثيرة ومنتشرة في عدد من بلدان العالم الإسلامي، وكلها مؤسسات هدفها الاهتمام بشئون التعليم والثقافة الدينية فى البلاد الإسلامية وأهم هذه المؤسسات ما يلي:

١- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو):

أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على نمط اليونسكو طبقا للقرار (٢/١١/س) والذي تبناه المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وتسعى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف كما يلي:

أ- تقوية التنسيق بين الدول الأعضاء في ميادين البحث التربوي والعلمي والثقافي وجعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم فى جميع مستوياته.

ب- دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة وحماية استقلال الفكر الإسلامي فى مواجهة عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه.

جـ- تشجيع التعاون بين الدول الأعضاء في ميادين الأبحاث العلمية وتطوير العلوم التطبيقية واستخدام التقنية المتقدمة في إطار القيم والمثل العليا الإسلامية الثابتة والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية.

د- إيجاد سبل لحماية الشخصية الإسلامية للمسلمين في البلدان غير الإسلامية.

هـ- تدعيم التفاهم بين شعوب العالم والمساهمة في حفظ السلم والأمن في العالم بشتى الوسائل ولاسيما عن طريق التربية والعلم والثقافة.

و- التنسيق بين المؤسسات المتخصصة في منظمة المؤتمر الإسلامي في مجالات التربية والعلوم والثقافة وبين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بهدف تدعيم التضامن الإسلامي والتكامل الثقافي في العالم الإسلامي.

ويتكون المؤتمر العام للمنظمة من ممثلي الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ويجتمع مرة كل ثلاث سنوات، ويتكون المجلس التنفيذي بها من خمسة عشر عضوا ينتخب المؤتمر العام اثني عشر منهم ويختار الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الثلاث الباقين، وينتخب المؤتمر العام أمينا عاما للمنظمة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، ويقع المقر الرئيسي للمنظمة في الرباط بالمغرب، وتنشر المنظمة مجلة تدعى " الإسلام اليوم " (٣).

٢- المؤسسة الإسلامية للعلوم والتقنية والتنمية:

قررت منظمة المؤتمر الإسلامي إنشاء المؤسسة الإسلامية للعلوم والتقنية والتنمية في المؤتمر السادس لوزراء الخارجية الذي عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م وتعمل المؤسسة من أجل:-

أ- تشجيع البحوث في مجالات العلوم والتقنية ضمن إطار إسلامي وتطويرها للمساعدة على حل بعض المشاكل الحاضرة للعالم الإسلامي.

ب- تطوير التعاون والتنسيق في مجالات العلوم والتقنية في داخل العالم الإسلامي لتقوية روابط التضامن الإسلامي.

ج- تأمين استفادة جميع الدول الأعضاء في المنظمة من العلوم والتقنية لتقوية الشخصية والهوية الإسلامية.

ويشرف على المؤسسة مجلس علمي مكون من خمسة عشر عضوا يعينـهم مؤتمر وزراء الخارجية لمدة ثلاث سنوات، ويتم تمويل المؤسسة من قبل المنظمة، وهبات من الدول الأعضاء ، ويوجد مقر المؤسسة في جدة بالمملكة العربية السعودية.

٣- المركز الإسلامي للتدريب التقني والمهني والبحوث:

أنشأته منظمـة المؤتمر الإسـلامي في المؤتمـر التاسـع لـوزراء الخارجيـة في ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م، ومقره دكا - بنجلاديش، وأهم أهدافه:

أ- تدريـب المعلمـين والتقنيـين فـى الميـادين المهنيـة والتقنيـة ذات الفـائدة للبلـدان الأعضاء.

ب- إجراء البحوث حول التعليم التقني والمهني في الدول الإسلامية.

ج- تشجيع التعاون التقني وتبادل المعرفة التقنية في الدول الإسلامية.

د- تنسيق سياسات التدريب والعمل في البلدان الإسلامية.

٤- مركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية:

أنشأته المنظمة في استانبول - تركيا، لتحقيق الأهداف التالية:

أ- إقامة مركز يمكـن العلمـاء والمؤرخـين والكتـاب ورجـال الفـن مـن البـلاد الإسـلامية من القيام ببحوث حول التراث المشترك بهدف إيجاد تفاهم أفضل بين الشعوب الشقيقة في العالم الإسلامي.

ب- توفير الظروف الملائمة للتعاون بين المؤرخين والكتاب في البلدان الإسلامية لوضع حد للأحكام المتحيزة التي يروجها بعض المؤلفين الأجانب حول تاريخ الشعوب الإسلامية.

ج- نشر البحوث على شكل كتب لخلق بيئة من التفاهم والصداقة بين المسلمين.

د- تصحيح المعلومات الخاطئة في الكتب المدرسية المتداولة في بعض الدول الإسلامية حتى لا تؤدى إلى الانقسام بين الأجيال القادمة من المسلمين.

هـ- تشجيع التعاون وتبادل الكتب في ميدان التاريخ والفن والثقافة بين الجامعات وغيرها من مؤسسات البحث في البلدان الإسلامية.

و- تنظيم حلقات دراسية أو ندوات دورية سواء في المركز أو في الدول الأعضاء في المنظمة، وتنظيم مؤتمر يعقد كل ثلاث سنوات في التاريخ والفن والثقافة في إحدى الدول الأعضاء.

ز- نشر مجلة ربع سنوية حول تاريخ وفنون وثقافة البلدان الإسلامية.

وبدعم مالي من الحكومتين: المملكة العربية السعودية وتركيا وعدد من الأفراد، أنشأ المركز في عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) مكتبة ممتازة، تشمل محتوياتها مراجع مثل الموسوعات وبيانات بالمؤلفات والفهارس والأطالس والخرائط ومجموعات من الصور النادرة، ويطبع المركز أخبار نشاطاته في نشرة تصدر كل شهرين.

وبالمدينة التركية "استانبول" تم إنشاء جهاز آخر مرتبط بالمنظمة هو "اللجنة الدولية للتراث الإسلامي" وأهدافها هي:

أ- تطوير الأنشطة الهادفة إلى جمع التراث الثقافي وصيانته ضمن إطار عمل إسلامي.

ب- العمل على تبادل الأفكار والمعلومات الخاصة بالتراث الثقافي في العالم الإسلامي.

ج- تصنيف المؤلفات والمخطوطات ومصادر التراث الإسلامي الأخرى والعمل على نشرها.

د- إنشاء صناديق لتقديم المساعدة المالية للدول الأعضاء في هذا المجال مع التركيز على القدس.

ويتم تمويل اللجنة من تبرعات ومساهمات الدول الأعضاء والأفراد، وكان للأمير الراحل فيصل بن فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- جهود ملموسة في ترأس هذه اللجنة وتوجيه أعمالها، ولذلك فإن[٤] المملكة العربية السعودية قامت وما زالت تقوم بدور رائد في مجال إنشاء ومساعدة وتمويل المؤسسات التعليمية والثقافية على المستوى الإسلامي.

٥- المركز العالمي للتعليم الإسلامي:

بجانب دور المملكة العربية السعودية البارز في المجالات التي سبق الإشارة إليها، فقد برز دورها أيضا في إنشاء المركز العالمي للتعليم الإسلامي الذي أنشىء بموجب توصية صدرت عن المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في عام ١٩٧٧ بمكة المكرمة، وقد أشرفت على تنظيمه وإعداده جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ثم انتقل الإشراف عليه إلى جامعة أم القرى مع بداية العام الجامعي ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨١- ١٩٨٢م، وقد صودق على لائحته الأساسية وميزانيته من قبل مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في مدينة إسلام أباد في باكستان عام ١٩٨٠، ومقره الرئيسى مكة المكرمة، وافتتح رسميا في عام ١٩٨١ م، ومن أهداف هذا المركز ما يلي:

أ- وضع الكتب والمناهج الدراسية على أساس من التعاليم الإسلامية بما يحقق غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة.

ب- ترسيخ القيم الإسلامية وتدعيمها بين الناس عن طريق مناهج التعليم ذات السمة الإسلامية.

ج- تغيير المفاهيم العلمانية المعادية للدين وإحلال مفاهيم إسلامية في شتى فروع المعرفة.

د- العمل على تحقيق توصيات ما يعقد من مؤتمرات للتعليم الإسلامي.

ويقوم المركز بمشروعات الأبحاث في مختلف ميادين التعليم، وقد تم إنشاء مراكز فرعية للتعليم الإسلامي في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وإعداد المطبوعات والمنشورات بالتعاون مع الجامعات الإسلامية والعربية حول مختلف موضوعات التعليم الإسلامي، ولهذا المركز فروع في باكستان وبنجلاديش وإندونيسيا وغيرها.

٦- الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية:

هو مؤسسة عالمية للتربية والثقافة الإسلامية هدفها نشر الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي، وقد أنشئ في الرياض في الفترة ما بين ٢٢-٢٦ ربيع الأول ١٣٩٦هـ /٢٢-٢٦ مارس ١٩٧٦م، ومدينة الرياض هي مقر أمانته العامة، وله مكاتب في كل من جدة والقاهرة والخرطوم ولندن ونيويورك، ويتكون الاتحاد من عدد من المؤسسات التعليمية التي تعمل على نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي، ويشترط في الاتحاد أن يكون تلاميذه من المسلمين، وتعليم اللغة العربية مادة أساسية في منهجه، وأن تكون المبادئ الإسلامية أساس التربية والثقافة فيه، وأن يهيىء للتلاميذ بيئة إسلامية من حيث العقيدة والخلق(٥).

الإذاعات الإسلامية المتخصصة

عند تعريف الإعلام الإسلامي يجب أن نحصر هذا التعريف بين المفهوم الجغرافي والمفهوم التاريخي ومفهوم الواقعية التجزيئية، فالمفهوم الجغرافي للإعلام الإسلامي هو على أساس أنه صادر عن دول العالم الإسلامي، أو التي تنتسب إلى الإسلام، وتكاد تكون هذه النظرة هي السائدة في الدراسات الأجنبية عن الإعلام الإسلامي، أما المفهوم التاريخي للإعلام الإسلامي يكاد ينحصر في إطار زمني ضيق، وترى أنه

مفهوم تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة، أو الخلفاء الراشدين، أما المفهوم الواقعي فيستند إلى تحليل صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة، والعمل على فهم هذا الإعلام باعتباره إعلاما متخصصا[٦].

ولا شك أن القيم الإخبارية جزء رئيس من الكيان الثقافي والاجتماعي، لذا يجب الاهتمام بالنشاط الأخباري في وسائل إعلامنا الإسلامي فهو محور أساسي في إطار تحسين صورة المسلمين، وحتى تكون الأخبار الإسلامية مقبولة لدى الغرب[٧].

لذا يجب النظر إلى الإعلام الإسلامي على أنه قضية أشمل من مجرد صفحات دينية معزولة ومحكومة في جرائد أو دوريات أو أحاديث وخطب رتيبة في إذاعة وتليفزيون - وتكتسب المطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الإعلام، والعمل على تنقية الإعلام - إلى جانب التعليم - من المؤثرات العلمانية والإلحادية وتفنيد ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من انحرافات شرعيتها وأهميتها مع مرور الوقت[٨].

وقد شرعت منظمة المؤتمر الإسلامي في برنامج جاد للنشاطات الإعلامية لسببين هما:

أ- أنها ستمكن الأمة الإسلامية من التعبير عن آمالها في التحرير والاستقلال الدولي، ولتستمر في كفاحها ضد العنصرية والصهيونية والفصل العنصري.

ب- أن البرنامج "سيصحح" المفهوم الخاطىء لدى الرأى العام العالمى حول حقائق العالم الإسلامي.

وقد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامي عددا من الأجهزة التي تأمل أنها ستؤسس ما تدعوه بنظام عالمي جديد للإعلام والاتصالات.

وقد أصبحت المنظمة مدركة للأهمية المركزية للإعلام ووسائله في التعامل مع القضايا السياسية المختلفة، ورغم أن وسائل الإعلام الغربية والأمريكية الشمالية

تجاهلت الأخبار المرتبطة بنشاطات المنظمة، فإن معظم بلدان المنظمة تعتمد على وسائل الإعلام الغربية.

وتعتبر مشكلة التحريف وسوء الفهم هي مشكلة كبيرة في الواقع، فإن العالم الإسلامي قد فشل الاتصال بالجزء الكبير من الرأي العام المستقل في الغرب، كما أن انسياب الاتصال بين البلدان الإسلامية نفسها قليل من حيث المحتوى والكم معا، وجزء كبير منه يأتي عبر نفس المصادر الأوربية، والقرار بإنشاء وكالة أنباء دولية عبر عن الاعتراف بالمشكلة.

ومن أجل التعامل مع المشكلة، فقد أنشئت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية، ومقرها جدة، وذلك في عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م كأول جهاز متفرع من منظمة المؤتمر الإسلامي، وكل وكالات الأنباء في البلدان الأعضاء هي أعضاء في وكالة الأنباء الإسلامية الدولية، وبعد فشلها في إنشاء شبكة اتصالات آلية خاصة بها نتيجة لصعوبات مالية، وقعت الوكالة عقدا مع شركة مقرها روما لبث أخبارها عبر جهاز إرسال عالي الذبذبة، وجهاز الإرسال هذا متصل باثنتين وعشرين وكالة أنباء عضو عبر الأقمار الصناعية، لذا فإن أخبارها غير متاحة بصورة مباشرة للعامة ولا لعدد من وكالات الأنباء فى الدول الأعضاء أيضا.

وتبث وكالة الأنباء الإسلامية الدولية يوميا سبع ساعات باللغة العربية وسبع ساعات باللغة الإنجليزية، ورغم أن اللغة الفرنسية هي إحدى اللغات الرسمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي وللوكالة، فإن الأخيرة لم تنجح بعد في وضع ترتيبات لبث الأخبار بالفرنسية.

ولا تحتفظ وكالة الأنباء الإسلامية الدولية بمراسلين متفرغين خاصين بها، فوظيفتها هي مراقبة نشرات أخبار الدول الأعضاء فقط.

ومن جهة أخرى، فقد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة اذاعات الدول الإسلامية لتحقيق أهداف مماثلة، وتسعى منظمة الإذاعات إلى نشر الدعوة وتعزيز الوعي بتراث الإسلام، كما تسعى إلى التعريف بما نسميه "القضايا الإسلامية"، ولتعميق روح الأخوة الإسلامية، وتهدف إلى تحديد الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية للتضامن الإسلامي، وإلى تحسين العلاقات بين الدول الأعضاء من هذه المنطلقات، كما تخطط أيضاً لتنسيق البث الإذاعي والبرامج الإذاعية والمعلومات التقنية بين البلدان الأعضاء.

وقد اقترحت المملكة العربية السعودية أصلاً إنشاء منظمة إذاعات الدول الإسلامية في المؤتمر السادس لوزراء الخارجية عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ومثل وكالة الأنباء الإسلامية، فإن منظمة إذاعات الدول الإسلامية تمول من مساهمات الدول الأعضاء في الميزانية العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وتعتبر هيئات الإذاعة والتليفزيون في الدول الأعضاء أعضاء في منظمة إذاعات الدول الإسلامية، ولا تبث منظمة الإذاعات نفسها أي برامج، ولكنها تنتج برامج تستعملها الدول الأعضاء بصورة أساسية في الإذاعة، رغم أنها قد أنتجت بعض البرامج التليفزيونية، وشمل إنتاجها برامج عن القدس وأركان الإسلام وحياة النبي محمد ﷺ وصحابته بالإضافة إلى برامج مبنية على الشخصيات والأحداث التاريخية [٩]، وتسعى منظمة إذاعات الدول الإسلامية إلى تحقيق الأهداف التالية:

أ- نشر الدعوة وتقوية الوعى بالتراث الإسلامي.

ب- تعميق روح الأخوة الإسلامية.

ج- تحديد الأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للتضامن الإسلامي.

د- تحسين العلاقات بين الدول الأعضاء.

هـ- تنسيق البث الإذاعي والبرامج الإذاعية بين البلدان الأعضاء في المنظمة.

وقد عهد إلى المنظمة أن تنتج برامج باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية[١٠]

وقد حثت المنظمة المسئولين عن الإعلام الإسلامي على الاهتمام بما يأتي[١١] : -

أ- إعادة النظر في كل ما يقدم في وسائل الإعلام المختلفة بما يلائم المواطن المسلم من حيث توخي الجودة والدقة في المواد الإعلامية التي توجه إليهم.

ب- ضرورة التنسيق والتعاون بين كل قنوات الإعلام العربي والإسلامي ووسائله الإعلامية المختلفة ، لضمان تحقيق أكبر قدر من الفاعلية في أدائها الإعلامي ولوظيفتها ، وتحقيقاً لأهدافها المثلى لتحسين صورة المسلم أمام الإعلام الغربي.

ج- ضرورة الاهتمام بأبناء الأمة العربية والجاليات الإسلامية في الخارج وتلبية حاجاتهم الثقافية والإعلامية ، دعما للصلات الحضارية الأصيلة.

د- ضرورة الاهتمام ببحوث القراء والمستمعين والمشاهدين للإعلام الإسلامي في الخارج ، ودراسة تأثيرات وسائل الإعلام العربية والإسلامية سواء كانت سلبية أم إيجابية في الغرب من جهة ، وتشجيع التعاون بين القائمين ببحوث الإعلام في الغرب والعالم الإسلامي من جهة أخرى.

هـ- تدريب الإعلاميين المسلمين القائمين على إنتاج المواد الإعلامية التي تخاطب جمهور الغرب مع مراعاة التحديث والابتكار في إطار الإعلام الإسلامي.

و- رصد التحيز الغربي ضد الإسلام والعمل على مواجهته على أساس علمي سليم منطلقا من المبادئ الإسلامية المدعومة بالحجج والأسانيد المنطقية.

النشاط الإسلامي في الدول الأوربية

أن الوجود الإسلامي في أوربا أصبح يمثل ثقلا حضاريا وبشريا يستأثر باهتمامات المسئولين في العالم الإسلامي وفى المجتمعات الغربية على حد سواء ، وأمام ذلك عملت الأمة الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية على إيجاد

استراتيجية لحماية الهوية الثقافية للجاليات المسلمة من الاستلاب الفكري الذي يهدد الأجيال المسلمة ويهدد معتقداتها الدينية، والعمل المستمر على تقديم الزاد المعرفي والروحي والأخلاقي الذي سينير الطريق لأبناء الجاليات والأقليات المسلمة، انسجاما مع الوسطية الإسلامية وتفاديا للسقوط في متاهات التفريط أو الإفراط.

ويؤكد علماء "الايسيسكو" أن النشاط الثقافي الإسلامي في الوسط الأوربي، مسموح به فى حدود عدم إحداث تغيير في بنيات المجتمع، فالمسألة بخصوص الإسلام ليست مسألة وجود، وإلا لما سمح لمؤسساته ومعتنقيه بمكتسبات ومجالات عمل واسع، بل المسألة مسألة مرجعية في صياغة تعليم الأجيال وتثقيفها.

ولا شك أن الإسلام قد أصبح حاضرا في أوربا بقوة سكانية من جهة ، وقوة ثقافية من جهة أخرى إلى درجة دفعت ببعض المتطرفين في أوربا إلى الادعاء بأنهم أمام غزو ديني أو استعمار عقدي[١٢].

ولتصحيح التصورات الغربية عن الإسلام يجب إقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقات الثقافية التي تعقد بين بلدان العالم الإسلامي ودول أوربا وأمريكا، حيث توجد هناك بعض الجامعات التي لديها الاستعداد للاستجابة لذلك، وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعض الدول العربية كانت قد سعت إلى إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة سيدنى باستراليا، ولكن حالت نفقاته التي تبلغ خمسة عشر ألف جنيه بينها وبين إنشاء هذا الكرسي، في حين أن هبات الأفراد في أمريكا لكرسي اللغة العربية في جامعة "هارفارد" تبلغ نحو مائتي ألف دولار[١٣].

وقد نجح المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية في تأسيس أول مجمع فقهي يضم خمسين من أبرز فقهاء العالم الإسلامي وذلك خلال مؤتمرهم الأول الذي عقد لهذا الغرض في ١٩ من رجب ١٤٢٣هـ/٢٦من سبتمبر٢٠٠٢م، ويهدف

المجمع إلى الإجابة عن أي أسئلة فقهية في القضايا المستحدثة ورسم خطة الوجود الإسلامي في أمريكا في ضوء المتغيرات بعد أحداث سبتمبر وإعداد بحوث فقهية عما يتعلق بآمال وآلام الأمة عامة والأقلية الإسلامية في الولايات المتحدة خاصة.

وتولى الأمانة العامة للمجمع الدكتور صلاح الصاوى رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بأمريكا، وقرر المجمع استخدام كل الوسائل التكنولوجية وفى مقدمتها الدوائر التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية للربط بين الراغبين في السؤال وأي عضو في المجمع في الدولة التي يقيم فيها[١٤].

والجدير بالذكر أن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة استنكرت تطاول البرنامج الأمريكي "هانيتى آند كولمز" الذى تبثه قناة "فوكس" التليفزيونية على شخص رسول الله ﷺ. وقد أصدر الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى بيانا أعرب فيه عن استياء الشعوب والأقليات الإسلامية فى العالم من تطاول هذا البرنامج على الإسلام بالإساءة إلى شخص رسول الله واتهامه بالكذب والجنون وابتداع الرسالة وأكد البيان أن الافتراء على الإسلام والهجوم على رسوله ﷺ دليل على ازدياد الإقبال على اعتناق الإسلام[١٥].

ناهيك عن نشاط رابطة العالم الإسلامي في الغرب حيث شكلت المجلس الأعلى العالمى للمساجد بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة المكرمة عام ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م، وانبثق عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد: المجالس القارية، فى آسيا والمحيط الهادي ومقره جاكرتا، وفي أوربا ومقره في بروكسل، وفي أمريكا وكندا ومقره في أوتاوا، ثم انبثق عن هذا المجلس "صندوق لإعانة المساجد" في كافة أنحاء العالم ميزانيته عشرون مليون ريالا تبرعت بها حكومة المملكة العربية السعودية صاحبة الدور الأكبر في هذا النشاط، بل يأتي دورها فى مقدمة العالم الإسلامي[١٦]، ليس هذا فحسب، فالاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، الذي

أسس في الرياض عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م من أهم نشاطاته في الغرب أن أنشأ له مكاتب في كل من لندن ونيويورك[١٧].

وهكذا يتضح أن هناك صحوة إسلامية معاصرة حقيقية ورائها المملكة العربية السعودية رائدة النضال الإسلامي المعاصر أرض الكعبة المشرفة... أرض النبوة، وراعية الدعوة الإسلامية الحديثة.

هوامش الفصل السابع

١- د. عبدالله الأحسن: مرجع سابق، ص ٤٧-٤٩ ، د. تاج السر حران: مرجع سابق، ص ١٤٣ ، مجلة العربي، العدد ٣٦٣ جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ/ فبراير ١٩٨٩م، ص ٣٥، ٣٩، وانظر ، السياسة الدولية ، العدد ٦٣ يناير ١٩٨١ ،ص ٢٨٥ ، والعدد ٦٥ يوليو ١٩٨١ ، ص ٢٤٩.

٢- د. جميل المصرى: مرجع سابق ، ص ٦٣٤- ٦٣٧ ، د. تاج السر ، ص ١٤٤-١٤٧ .

٣- د. عبدالله الأحسن ، مرجع سابق ص ٩٣ - ٩٥.

٤- نفسه، ص ٧٥ - ٨٠.

٥- د. تاج السر ، مرجع سابق ص ١٤٨ - ١٥٠.

٦- منار الإسلام، العدد التاسع ، رمضان ١٤١٨ هـ/ يناير ١٩٩٨م ص٧٤.

٧- الوعي الإسلامي، العدد ٤٤٣ رجب ١٤٢٣هـ/ سبتمبر- أكتوبر٢٠٠٢ م، ص ٢٥.

٨- منار الإسلام ، العدد السابق، ص ٧٣، ٧٤.

٩- د. عبدالله الأحسن، مرجع سابق ص ٢٢٨-٢٣٢.

١٠- نفسه، مرجع سابق ص ٨٩، ٩٠.

١١- الوعى الإسلامي، العدد السابق ، ص ٢٥ •

١٢- نفسه ، العدد ٤٤٤ شعبان ١٤٢٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٢ م ص ٥٧.

١٣- د. حمدى زقزوق : الاستشراق، مرجع سابق، ص ١٥٨.

١٤- مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، رمضان ١٤٢٣ هـ / نوفمبر ٢٠٠٢ م ص٤٩٦، ١٤٩٧.

١٥- نفسه، مرجع سابق ص ١٤٩٧.

١٦- د. جميل المصرى، مرجع سابق ص ٦٣٦ - ٦٣٧.

١٧- د. تاج السر ، مرجع سابق ص ١٥٠.

المصادر والمراجع

أولا : وثائق غير منشورة :

١- دار الوثائق القومية بالقاهرة

دفاتر عابدين ، دفتر س/٥/٢١/٤ وارد تلغرافات - السودان.

محافظ مجلس الوزراء ، محفظة ١/١/٩ - السودان.

٢- معهد الدراسات والبحوث الأفريقية - جامعة القاهرة، منشورات المهدى.

ثانيا : وثائق منشورة :

١- إدارة الإعلام العام، حقائق أساسية عن الأمم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٠ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٠.

٢- د٠ محمد إبراهيم أبو سليم : المرشد إلى وثائق المهدى ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، ١٩٦٩.

٣- محمود الشاذلى: الوثيقة، الإسلام الخطر، نص الخطاب الذي ألقاه و.هـ.ت. جايردنر في مؤتمر أدنبره للتبشير (التنصير) الدولي المنعقد بالقاهرة عشية السبت ١٨ يونيو ١٩١٠ ، دار نافع للطباعة والنشر ، ١٩٨٥

٤- وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، الأزهر - تاريخه وتطوره ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٤.

ثالثا : مذكرات وبحوث

١- المجلس الأعلى للثقافة : الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٥.

٢- المجلس الأعلى للثقافة : بحوث ندوة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة عبدالله النديم ، الفترة من ٢٧ مايو إلى ٢٩ مايو ١٩٧٥.

٣- سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ، جامعة عين شمس، البحر الأحمر فى السياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩، القاهرة ، ١٩٨٠.

٤- مذكرات اسكندر باشا فهمى، تقديم وتحقيق، د. فرغلى على تسن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية، ٢٠٠٢.

رابعا : المراجع العربية:

١- أبو الحسن على الحسنى الندوى : القاديانى والقاديانية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ٦ ، ١٩٩٠.

٢- إحسان إلهى ظهير : البابية - القسم الأول، إدارة ترجمان السنة، باكستان ، ط ٣ ، ١٩٨١ .

٣- أحمد أحمد سيد أحمد : تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى ١٨٢٠ - ١٨٨٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.

٤- د. أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر، دار الفكر العربى ، ١٩٩٨ .

٥- د. أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية، ج ٦ ، المجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٨ ، ١٩٩٤.

٦- د. أحمد محمود فؤاد : أضواء على الثقافة الإسلامية ، أشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان ، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.

٧- د. إسماعيل أحمد ياغى، محمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ٢ ، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣.

٨- السيد يوسف : جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٩- الطاهر عبدالله : الحركة الوطنية التونسية، دار المعارف للطباعة والنشر، ط ٢ (ب.ت).

١٠- الكسندر شولش، تعريب، رؤف عباس حامد: مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨- ١٨٨٢ ، دار الثقافة العربية، ١٩٨٣.

١١- اللورد كرومر ، تعريب ، عبدالعزيز أحمد عرابى: بريطانيا في السودان، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

١٢- إيمانويل هيمان ، ترجمة، سعد الطويل: الأصولية اليهودية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

١٣- بيتر مانسفيلد ، ترجمة ، عبدالحميد فهمى الجمال : تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

١٤- د. تاج السر أحمد حران : حاضر العالم الإسلامي، إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠١ .

١٥- د. جلال يحيى: العالم العربى الحديث - الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، دار المعارف، ١٩٨٠.

١٦- جمال حمدان : اليهود ، دار الهلال ، ط ٢ ، ١٩٩٦.

١٧- د. جمال عبدالهادي محمد وآخرون : مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الإنجليزي- من عهد محمد على وحتى عهد محمد توفيق ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٥.

١٨- د. جميل عبدالله محمد المصرى: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، جزءان ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٦.

١٩- جورج يانج ، تعريب ، على أحمد شكرى : تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل ، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.

٢٠- جون هاتس، ترجمة، عبدالعليم السيد منسى : تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، مصر، ١٩٦٩

٢١- حسام محمد عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية فى القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

٢٢- حسن صادق : جذور الفتنة فى الفرق الإسلامية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩١ .

٢٣- دليب هيرو، ترجمة، عبدالحميد فهمي الجمال : الأصولية الإسلامية فى العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

٢٤- ذوقان قرقوط : تطور الفكرة العربية فى مصر ١٨٠٥ - ١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢.

٢٥- د. رأفت الشيخ، د. محمد رفعت عبدالعزيز : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧.

٢٦- رجب البنا : الغرب والإسلام ، دار المعارف ، ١٩٧٧.

٢٧- د. رفعت السعيد : الأساس الاجتماعي للثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

٢٨- د. زين العابدين شمس الدين نجم : الجمعية الوطنية المصرية ١٨٨٣ (جمعية الانتقام) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

٢٩- د. سعيد مراد : الفرق والجماعات الدينية فى الوطن العربي - قديما وحديثا، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٧.

٣٠- سلاطين باشا ، تعريب ، جريدة البلاغ : السيف والنار في السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.

٣١- سير ونستون تشرشل ، ترجمة ، عزالدين محمود : حرب النهر - تاريخ الثورة المهدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢.

٣٢- د. شوقى عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر، ج ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠.

د. شوقى عطا الله الجمل، د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم : تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦.

٣٣- صموئيل بى. هانتيجتون ، ترجمة ، مجدى شرشر: الإسلام والغرب، مكتبة مدبولى ،١٩٩٥.

٣٤- طارق عبدالعاطى غنيم بيومى : سياسة مصر فى البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦-١٢٦٥ هـ/١٨١١-١٨٤٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.

٣٥- د. عادل حسن غنيم: الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧.

٣٦- د. عادل طه يونس: العالم الإسلامي اليوم ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ، ١٩٩٠.

٣٧- عبدالحميد يونس، عثمان توفيق: الأزهر، دار الفكر العربى، ١٩٤٦.

٣٨- عبدالرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى - باعث نهضة الشرق ١٨٣٨-١٨٩٧ ، دار المعارف ، مصر، ١٩٩١.

٣٩- ---------- : عصر محمد على ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٨٩.

٤٠- د. عبدالرحمن عميرة : المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، (ب. ت).

٤١- د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ط ٥، ١٩٩٠.

٤٢- عبدالسميع سالم الهراوى: الصهيونية بين الدين والسياسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧.

٤٣- د. عبدالعزيز نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية - العصر الحديث ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٨.

٤٤- د. عبدالقادر محمود: الفكر الصوفي في السودان - مصادره وتياراته وألوانه ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٩.

٤٥- د. عبدالله الأحسن، ترجمة، د. عبدالعزيز إبراهيم الفايز: منظمة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٦- د. عبدالله الأشعل: المسلمون والنظام العالمى الجديد، دار المعارف، ١٩٩٩.

٤٧- د. عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: دراسات في تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر، مطبعة الجبلاوى، القاهرة، ١٩٩٠.

٤٨- د. عبدالمنعم حفنى: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولى، ط٢ ، ١٩٩٩.

٤٩- عثمان صالح سبى: تاريخ أريتريا، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط ، ١٩٨٤.

٥٠- د. عزت قرنى: في الفكر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

٥١- د. على جريشه: حاضر العالم الإسلامي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٦.
٥٢- د. على حسنى الخربوطلى : التاريخ الموحد للأمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠ .
٥٣- د. عمر عبدالعزيز عمر: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥.
٥٤- د. فرغلى على تسن : الرأسمالية الأجنبية في مصر ١٩٣٧-١٩٥٧، ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢.
٥٥- ------------: الرأسمالية اليهودية وأثرها على الحركة الصهيونية والتنظيمات الشيوعية١٨٩٧ - ١٩٣٧(فى مصر)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية، ٢٠٠٢
٥٦- ------------: تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، اسكندرية ، ٢٠٠١ .
٥٧- ------------: موقف الحكومة المصرية من النشاط السياسى للطلاب ١٩٤٥- ١٩٥٢ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، اسكندرية ، ٢٠٠٣.
٥٨- د. قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٩٨٣.
٥٩- كارل بروكلمان ، ترجمة ، د. نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ٥ ، الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٢.
٦٠- كريم ثابت: محمد على، مطبعة المعارف، مصر، (ب.ت).

٦١- د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، المبحث الأول، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣.

٦٢- د. لينوار تشامبرز رايت ، ترجمة، د. فاطمة علم الدين عبدالواحد: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر ١٨٣٠ ١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧.

٦٣- مارسيل كولومب، ترجمة، زهير الشايب : تطور مصر ١٩٢٤- ١٩٥٠، مكتبة مدبولى، (ب . ت).

٦٤- محمد إبراهيم المرشدى: عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضارى قومى ، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

٦٥- محمد البهى: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، مكتب الصحافة والإعلام، القاهرة، ١٩٦٣.

٦٦- د. محمد السيد الجلنيد: الاستشراق والتبشير، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٥.

٦٧- ------------: الأصولية والحوار مع الآخر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩.

٦٨- ------------: فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩.

٦٩- محمد العزب موسى: وحدة تاريخ مصر، المركز العربى للصحافة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠.

٧٠- د. محمد حسن العيدروس: تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٦.

٧١- محمد عبدالمنعم خفاجي : الأزهر فى ألف عام ، ج١ ، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة ، ١٣٧٤هـ.

٧٢- محمد عمارة : العروبة في العصر الحديث، دراسات في القومية العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٧٣- محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ج ١ ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٦.

٧٤- د. محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، دار المعارف ، مصر، ١٩٩٧.

٧٥- ------------- : الإسلام والاستشراق، مكتبة وهبه، ١٩٨٤.

٧٦- محمود شاكر : العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، ط ٢ ، ١٩٨١.

٧٧- د. مصطفى خالدى، د. عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٢

٧٨- د. مكى شبيكة: السودان والثورة المهدية، ج١ ، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٨.

٧٩- ---------: مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

٨٠- نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

٨١- هانز كوهن ، ترجمة، عبدالرحمن صدقى: عصر القومية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، ١٩٦٤.

٨٢- هـ. س. جاكسون ، تعريب، عزيز يوسف عبدالمسيح: غوردن باشا، جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق مصر، ومكتبة السودان بالخرطوم، (ب . ت).

٨٣- يوسف البدرى: بصمات الاستعمار في المجتمعات الإسلامية، دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

خامسا: المراجع الأجنبية

-١-**crabites**, Pierre : Ibrahim of Egypt, London, ١٩٣٥
-Creasy, Edward S. : History of the Ottoman Turks, London, ١٨٧٨.
٣-Cromer, The Earl of : Modern Egypt, Vol. ١, London, ١٩٠٨.
٤- Fisher, W. B. : The Middle East ,Printed in Great Britain, ١٩٥٢.
٥- Hake, A. Egmont : The Journals Major Gen. C. G. Gordon C. B. At Kartoum, London ,١٨٨٥. -
٦- Marlowe, Jhon : Anglo Egyptian Relation ١٨٠٠- ١٩٥٣, London, ١٩٥٤
٧- Wingate, Magor F. R. : Mahdism and the Egyptian Sudan, London, ١٨٩١

سادسا: الدوريات

- الأهرام. - الرسالة.
- السياسة الدولية. - المجلة التاريخية المصرية
- المصري. - الوعي الإسلامي.
- ج.م.ع. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية.
- مجلة الأزهر. - مجلة العربي - منار الإسلام.

فهرس الموضوعات